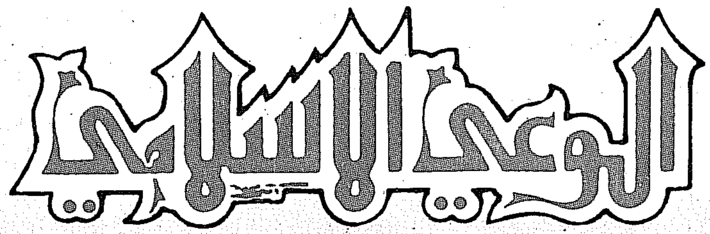
هديتك مع العدد
براعم الإيمان



اسلامية — شهرية — جامعة
العدد ٣٣٣ - جمادي الاولي ١٤١٤هـ - نوفمر ١٩٩٣

أسباب خوف الغرب من الإسلام

أسس التشريع الإسلامى
مرونة وواقعية

أصول الديبلوماسية الثقافية فى الإسلام

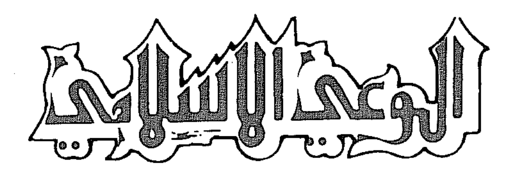
ترقبوا ...

اعتبارا من شهر رجب المقبل .. مجلة الوعى الإسلامى ستكون بأيدى الكرام إن شاء الله تعالى بحجمها الكبير فى ثوب جديد مادة وإخراجا. وبهذه المناسبة تدعو مجلة الوعى الإسلامى كافة الأخوة المهتمين بالقضايا الفكرية والإسلامية المساهمة فى عملية تطوير المجلة بمدها بنتاج فكرهم وكل ما يهم قضايا الأمن فى مسيرتها المعاصرة.

والله ولى التوفيق ،،،

الوعي الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم



AL-WAEI AL-ISLAMI

العدد ٣٣٣ – السنة الثلاثون – جمادي الاولى ١٤١٤ هـ – نوفمبر ١٩٩٣

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE, PUBLISHED BY THE MINISTRY OF AWQAF & ISLAMIC AFFAIRS - KUWAIT

كلمة الوعي

الآدميون!!

هل يمكن لأحد أن يتصور أن المخططات اليهودية التوسعية ستصل إلى الفلبين وتقيم على أرضها مستوطنة صهيونية في قلب منطقة مورو المسلمة!!؟ نعم هذا الأمر حدث فعلاً حيث أقام الصهاينة مستوطنة يهودية في محافظة لانا والشمالية إحدى محافظات بلاد مورو الواقعة تحت سيطرة حكومة الفلبين، وزيادة في التمويه تستر اليهود باسم تنظيم اسموه (الآدميون) هذا التنظيم يدعي الأممية والإنسانية والاهتمام بمصلحة الإنسان وعدم التفريق بين جنس وآخر أو قبيلة وقبيلة كل الناس سواء فهم أبناء آدم عليه السلام، لهذا يرحب التنظيم بالنصارى والوثنيين واليهود والمسلمين في هذه المستوطنة!

الأمل كبير أن يتمكن مسلمو الفلبين من تفويت الفرصة على هؤلاء (الآدميون) وكشف أهدافهم ومخططاتهم الماكرة التي يتسترون وراءها قبل أن يستشري داؤهم ويستفحل خطرهم وتنتشر شرورهم وآثامهم.

ثمن النسخة

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ٤٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.



رئيس التحرير
CHIEF EDITOR

بدر سليمان القصار
BADER AL-QASSAR

مدير التحرير
MANAGING EDITOR

صلاح الدين أرقه دان
S.S. ARKADAN

المخرج الفني
ART DESIGNER

صالح محمد صالح
S.M. SALEH

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧
الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-WAEI AL-ISLAMI
P.O.BOX: 23667
AL-SAFAT 13097 KUWAIT
TEL: 965-2466300
EXT.: 1005
FAX: 965-2431740

هـاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

الافتتاحية :

الطريق إلى المستقبل

الهجمة التغريبية التى تشهدها ساحتنا الإسلامية على امتدادها والتى تقودها أطراف وجهات معادية من أجل تشويه عقائد المسلمين وأفكارهم بغرس أيديولوجيات متنافية مع قيمنا ومبادىء إسلامنا الحنيف فى ظل سياسة التطبيع والترويض لخلق جيل مهزوز الايمان والفقه ضعيف الثقة بنفسه وأمته.

نقول إن مثل هذه الهجمة ليست غريبة علينا نحن المسلمين والمطلع على التاريخ يجد أن بداياتها تعود للقرن الثالث الهجرى حين هبت على الدولة الإسلامية الناهضة رياح الثقافة اليونانية وتسللت فى ذلك الوقت إلى عقول العديد من العلماء والمفكرين المسلمين فانبهرت بها عقولهم وزاغت بها أبصارهم فراحوا ينهلون من معينها بلا روّية أو تمحيص.. يأخذون منها حلوها ومرها.. غثها وسمينها مما أحدث بلبلة وشرخا فى فكرنا الاسلامى، فى تلك الأيام قيض الله للأمة عددا من العلماء النابهين الذين تمكنوا من الوقوف فى وجه تلك الهجمة التغريبية وصدوها وحصنوا الأمة ذاتيا من كل فكر دخيل يريد العبث بهوية الأمة وكان فى مقدمة هؤلاء العلماء حجة الاسلام (أبو حامد الغزالى) الذى ألف كتابه المتميز (تهافت الفلاسفة) والذى أجمع أكثر المؤرخين على أن الفضل يعود له بعد الله سبحانَه وتعالى فى وقف المد الفلسفى اليونانى الوافد وإجباره على التراجع الى خارج الحدود وتنقية الفكر الإسلامى من كل شائبة دخيلة، لم يعتمد الغزالى فى تصديه للفكر اليونانى علي منهجية واهية ولا على أفكار ضبابية ولا على قلة منهم وإدراك للفكر المعادى وإنما اعتمد على قاعدة إسلامية صلبة وعلى فهم عميق لفلسفة الغازى لهذا جاءت محاولاته النقدية لتصيب مقتلا من فكر الخصوم.

واليوم فإن العقل المسلم قد غاب أو غُيِّب عن مجريات الأحداث

فأصابه الركود والخمول وانبهر بحضارة الخصوم وظهرت دعوات من هنا وهناك تطالب بالتخلى عن التراث الذى ورثناه لأنه فى نظرهم سبب تخلفنا وتراجعنا فى سلم الحضارة.. هذا الاستعمار الجديد يحاول جاهدا أن يكرس الفجوة بين حاضرنا وماضينا ليفرض علينا فرضا فكره وثقافته وينسف من الجذور هويتنا الحضارية المتميزة. إن التصدى لهذه الهجمة المعاصرة تحتاج الى نفس المنهج الذى سار عليه الغزالى دون أن نعيش فى عزلة عن حضارة العصر بكل ما فيها من حضارة وتقدم وهذا يتطلب:

١ - دراسة متأنية لفكرنا الإسلامى الأصيل المستمد من الكتاب والسنة ليقوم عليه المشروع الاسلامى الحضارى المتكامل لأنه من الجريمة بمكان كما قال أحد مفكرى الاسلام المعاصرين أن ننتمى إلى الإسلام ثم لا نحسن فهمه ولا عرضه ولا العمل به ولا الدفاع عنه.

٢ - قراءة مفصلة لفكر الخصوم مبينين قصوره وعجزه وفشله ومما يسهل علينا هذه المهمة. أن الواقع المعاصر قد أثبت لنا فشل هذا الفكر حتى فى حل أصغر المشكلات المعاصرة وما سقوط الشيوعية والتحولات الجارية فى روسيا ودول المعسكر الاشتراكى السابق ولا تخبط الرأسمالية على الرغم من وصولها الى درجات عالية من الرقى المادى إلا شاهد صدق على ما نقول.. ما علينا إلا أن نقدم البديل الإسلامى لهذا الفكر المهزوم.. لسنا فى حاجة لتضييع الجهود فى نقد وكشف زيف هذا الفكر لقد كشف نفسه بنفسه وظهر أمام الجميع بمظهر العريان المفلس الذى ارتكب جريمة بحق نفسه والإنسانية جمعاء عبر عقود من الزمان وهذا لا نقوله تجنيا على هذا الفكر بل يشهد بذلك المنصفون من القلة الذين يعترفون الآن وبكل صراحة بأن الحضارة الغربية قد وصلت الى الطريق المسدود!

إنه بقدر اعتزازنا بماضينا فإن الحاضر يفرض علينا أن نبذل الجهد الكافى لنقدم المشروع الإسلامى الحضارى بأسلوب العصر وإسقاطه على الواقع إسقاطا سليما خاليا من الشوائب والأخطاء فبقاء أمتنا وديمومتها مرهون بوجود هذا المشروع وهذه القيم حتى نحدد معالم الطريق إلى المستقبل.

الوعي الإسلامي

من أنشطة لجنة استكمال تطبيق الشريعة

وفد اللجنة الاستشارية العليا يزور كلا من ماليزيا وبروناي

غادر البلاد يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الأول ١٤١٤هـ الموافق ٩٣/٩/٧ وفد من اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الديوان الأميري إلى ماليزيا وسلطنة بروناي، وذلك للاطلاع على الدراسات والأبحاث الخاصة بالشريعة الإسلامية إضافة إلى التطبيقات في كافة المجالات.

وقد ترأس الوفد الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا، ويسرنا في هذا العدد أن نتعرف على أنشطة الوفد الكويتي هناك.

الدكتور المذكور يوضح أهداف الزيارة

وصرح الدكتور المذكور قبيل مغادرته أرض الوطن قائلا: «تأتي زيارة اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية إلى ماليزيا وسلطنة بروناي، ضمن الزيارات التي يقوم بها الوفد في الدول الإسلامية للتعريف باللجنة ومن ثم الاطلاع على النشاط الإسلامي هناك وعلى الخبرات التي تكون عند الدول الإسلامية فيما يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع المجالات وسوف يكون لهذه الزيارة الأثر الكبير في دفع اللجنة إلى الاستزادة من الخبرات، خاصة فيما يتعلق بالاقتصاد الإسلامي، وكذلك تغير القوانين وفق الشريعة الإسلامية، وفي ماليزيا سوف يزور الوفد بعض الوزراء وبعض المسؤولين، كما يزور المراكز الإسلامية والجامعة الإسلامية العالمية.

وفي بروناي سوف يلتقي بالخبراء والمختصين الذين يراجعون القوانين لكي تكون وفق الشريعة الإسلامية.

وفد اللجنة يصل ماليزيا

وصل وفد اللجنة الاستشارية العليا إلى ماليزيا يوم الأربعاء ١٩٩٣/٩/٨، وكان في استقبالهم سفير الكويت في ماليزيا الشيخ الدكتور/ سالم جابر الأحمد الجابر الصباح والسكرتير الأول في السفارة السيد داوود العبدالجليل والسيد فايز المطيري الملحق بالسفارة.

زيارة المركز الإسلامي الماليزي

وفي اليوم التالي بدأ الوفد ببرنامج الزيارات المعدة وكانت الزيارة الأولى إلى

المركز الإسلامي الماليزي حيث التقى الوفد مع القائمين على المركز والمسؤولين عليه وبعض أساتذة الجامعة والمحامين، ويقوم المركز بالعديد من الأعمال الإسلامية. في بداية اللقاء رحب البرفسور أحمد إبراهيم – المحامي – بالوفد الكويتي ووضح أن الحكومة الماليزية قد شكلت لجنة برئاسة نائب رئيس الوزراء وبعض أعضاء البرلمان الماليزي، كما قامت هذه اللجنة بتشكيل عدة فرق عمل (لجان فرعية) لتقوم بالدراسات والأبحاث الخاصة بالشريعة الإسلامية وتطبيقاتها.

بعد ذلك قدم الدكتور خالد المذكور تعريفا باللجنة الاستشارية العليا وأعمالها وانجازاتها ثم قدم المستشار عبدالله العيسى رئيس اللجنة التشريعية تعريفا بالقضاء وتاريخه في الكويت.

ثم جرى حوار ونقاش حول مختلف القضايا الخاصة بالشريعة الإسلامية.

زيارة المرصد الفلكي

ومن الإدارات التابعة للمركز الإسلامي الماليزي (المرصد الفلكي) والذي يعد مفخرة لماليزيا للتطور العلمي والتقني.

وقد قام الوفد الكويتي بالتجول في أقسام المرصد الفلكي واطلع على آخر ما توصلت إليه التقنية الفلكية المبسطة للجمهور الكريم.

وفي ختام الزيارة سجل الدكتور خالد المذكور كلمة في سجل الزائرين، كما قدم درعا تذكاريا لمسؤول المركز بمناسبة الزيارة.

حوار مثمر مع المحكمة الشرعية

بعد ذلك توجه الوفد إلى المحكمة الشرعية، وقد كان في استقبالهم رئيس المحكمة الشرعية الشيخ غزالي



عبدالرحمن.

وبعد التعريف بالمحكمة الشرعية ومن ثم باللجنة الاستشارية جرى حوار مثمر بين القضاة والمستشارين والأعضاء حول مختلف القضايا الشرعية والقانونية.

الوفد يزور البنك الإسلامي الماليزي

كما قام الوفد بزيارة البنك الإسلامي الماليزي المحدود، وقد رحب مدير عام البنك بالحضور شاكرا لهم زيارتهم للبنك، ثم قدم لهم تعريفا تفصيليا عن إدارة البنك وتشكيل مجلس الإدارة ومكتب الرقابة الشرعية المكون من علماء ماليزيين.

بعد ذلك قدم الدكتور المذكور تعريفا باللجنة الاستشارية وبالأخص اللجنة الاقتصادية، التي يرأسها د. عبدالله محمد عبدالله، والذي قام بدوره بالتعريف باللجنة الاقتصادية وما قامت به من أبحاث ودراسات. ثم جرى حوار ونقاش حول مختلف القضايا الاقتصادية.

المغادرة إلى ولاية ترنجانو

غادر الوفد مدينة كوالالمبور متوجها إلي ولاية ترنجانو وهي تقع في الشمال الشرقي لماليزيا وذلك لزيارة بعض الجهات العلمية الإسلامية، وللمقارنة بين التطبيق في الولايات حيث إن النظام في ماليزيا فيدرالي، فكل ولاية لها سلطان ونائب سلطان ورئيس وزراء ووزراء ولها أحكامها الخاصة وقوانينها المميزة.

الوفد يشارك في حفل تخريج الكلية الدينية

بدعوة من مدير كلية السلطان زين العابدين الدينية في ترنجانو توجه وفد اللجنة الاستشارية إلى القاعة الكبرى لحضور حفل تخريج الدفعة العاشرة من طلبة الكلية. وأقيم الحفل برعاية وحضور ولي عهد ترنجانو تنكو ميزان ابن السلطان محمود المكتفي بالله شاه، وذلك بمناسبة عيد العلم في ترنجانو.

وفد اللجنة في ضيافة كبير وزراء ترنجانو

تلبية لدعوة كبير وزراء ترنجانو داتو الحاج وان مختار بن أحمد حضر وفد اللجنة الاستشارية العليا وليمة العشاء التي أقيمت على شرف ضيوف ولاية ترنجانو، وفد اللجنة الاستشارية العليا في الكويت. وقد شارك في العشاء في جو مليء بالود والتآخي.

الدكتور المذكور يشكر حسن ضيافة حكومة ترنجانو

ثم ألقى د. خالد المذكور كلمة شكر فيها ضيافة فخامة السلطان وشكر دعوة الوفد لحضور حفل تخريج طلبة كلية السلطان زين العابدين الدينية مشيدا بحسن التنظيم لهذا الحفل.

كما شكر دعوة كبير الوزراء للوفد لوليمة العشاء وتكريمه لهم.

زيارة الإدارة الدينية

قام وفد اللجنة الاستشارية بزيارة الإدارة الدينية في ترنجانو، وقد كان في استقبالهم رئيس وأعضاء الإدارة الدينية.

وقد رحب رئيس الإدارة الأستاذ تنكو سري بالحضور وقدم لهم تعريفا تفصيليا بعلم الإدارة والتي تهتم بنشر الوعي الإسلامي الصحيح وتوفير الدعاة ولائحة عمل الدراسات والأبحاث الإسلامية.

ثم قدم د. خالد المذكور تعريفا باللجنة وأهدافها وأعمالها وجرى بعدها حوار ونقاش حول العديد من القضايا. وفي ختام الزيارة قدم الدكتور خالد المذكور درعا تذكاريا لرئيس الإدارة كما تم إهداء نسخة من الموسوعة الفقهية ومجموعة نسخ من القرآن الكريم.

وفد اللجنة يطلع على نظام الحج في ماليزيا

زار وفد اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة، مؤسسة صندوق تمويل الحج «مؤسسة التوفير وشؤون الحج الماليزية».

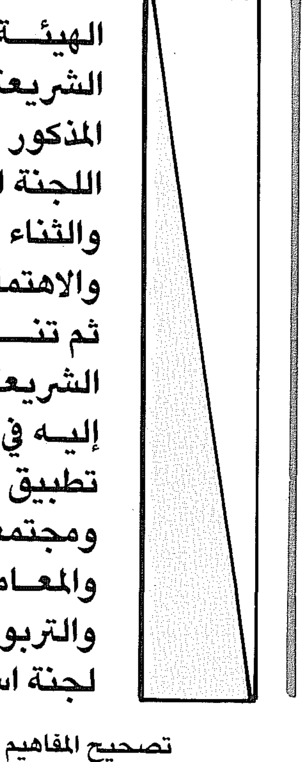
وقد قدم مدير الشؤون الصحية شرحا موجزا عن المؤسسة وأقسامها، ثم عرض فيلما تعريفيا عن المؤسسة بشكل أكثر تفصيلا، وقد عرض الفيلم بشكل جيد ومتطور. وقد أثنى د. خالد المذكور على هذا العمل الرائع مشيدا بحسن تنظيم الحجاج الماليزيين.

وزير التربية يستقبل وفد اللجنة

بعد ذلك توجه الوفد الى مقر وزارة التربية حيث كان في استقبالهم الوزير الأستاذ سليمان حجي داود الذي رحب بالوفد معطيا فكرة سريعة عن التعليم في ماليزيا والاهتمام بالجانب الديني والأخلاقي من خلال المناهج الدراسية، حيث إن مادة التربية الإسلامية ملزمة لجميع الطلبة المسلمين في كل المراحل الدراسية، وغير المسلمين يعوضون بمادة الأخلاق.

وفي ختام الزيارة قدم د.خالد المذكور درعا تذكاريا لمعالي وزير التربية، كما قدم معالي الوزير هدية للدكتور خالد المذكور.

لجنة التعريف بالإسلام تستضيف الدكتور خالد المذكور



استضافت لجنة التعريف بالإسلام مؤخراً رئيس الهيئة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فضيلة الشيخ الدكتور خالد المذكور حيث قام بإلقاء محاضرة قيمة في ديوانية اللجنة استهلها بالإشادة بلجنة التعريف بالإسلام والثناء علي دورها الرائد في مجال التعريف بالإسلام والاهتمام بالمهتدين الجدد ومتابعتهم والعناية بهم، ثم تناول مهمة لجنة استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وطبيعة عملها وآخر ما توصلت إليه في مشروعها، وبين ان المسلم يتطلع ويهدف إلى تطبيق شريعة الله ليلتزم بها في نفسه واسرته ومجتمعه ويعيش في بيئة تكون فيها كل العلاقات والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والتربوية وفق شريعة الله، وهذا ما تعمل من أجله لجنة استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

تصحيح المفاهيم

وأضاف د. المذكور متحدثاً عن اللجنة الاجتماعية وهي لجنة خامسة مكملة لسابقاتها ويقع على عاتقها توثيق صالة اللجنة العليا بالجمهور وذلك من خلال الخطب والمحاضرات والزيارات لتوعية الناس وتصحيح مفاهيمهم حول الشريعة وأسلوب تطبيقها، وليكون هؤلاء القاعدة العريضة لمشروع الهيئة العليا.

دور اللجان الخيرية

بين د.المذكور ان عمل اللجان الخمس المنبثقة عن اللجنة الاستشارية يتم وفق مراحل وأطر وأسس ابتداء من مرحلة التأسيس وحتى مرحلة النماء والعطاء وذلك لتتمكن من تقديم أنظمة مفصلة ومدروسة جاهزة وقابلة للتطبيق، ثم أشار إلى أهمية عمل اللجان الخيرية المنتشرة في الكويت ودورها المؤثر والمكمل لمهمة هيئة استكمال

د. المذكور: قوانيننا تراجع مادة مادة وتعدل لتوافق الشريعة



تطبيق الشريعة واعتبر أن كل واحدة من هذه اللجان تسد ثغرة من الثغرات وتدافع عنها، وهكذا يتكامل عملنا جميعا.

بعد نهاية المحاضرة أجاب د.المذكور على باقة منوعة من أسئلة الحضور دارت حول أساليب التعريف بالإسلام وأمور المهتدين الجدد بالإضافة إلى مسائل فردية واجتماعية عامة.

درع تكريمي

يجدر بالذكر ان الدكتور المذكور قام بجولة على أقسام اللجنة والتقى أعضاءها وتعرف على نشاطاتها، وفي نهاية هذه الزيارة وتقديراً للدكتور خالد المذكور قام رئيس مجلس إدارة لجنة التعريف بالإسلام عبدالوهاب صالح الشايع بتسليم الضيف درع اللجنة التكريمي.

مراجعة القوانين

وعن المرسوم الأميري الصادر لإنشاء اللجنة قال د.المذكور إنه أسند إليها مهمتان: الأولى، تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية، والثانية مراجعة القوانين لتتوافق مع الشريعة، وقد قامت اللجنة الاستشارية لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة بناء على هذا، بإنشاء خمس لجان فرعية، كانت مهمة

الأولي مراجعة كل قوانين الكويت وخصوصاً الأساسية منها، وقد ضمت هذه اللجنة فرق عمل من العلماء والمستشارين والقضاة وأساتذة الجامعات الذين يعملون عملاً دؤوباً ومتواصلاً لمراجعة كل القوانين، مادة بعد أخرى، وتعديل كل ما يخالف الشريعة إلى مايوافقها.

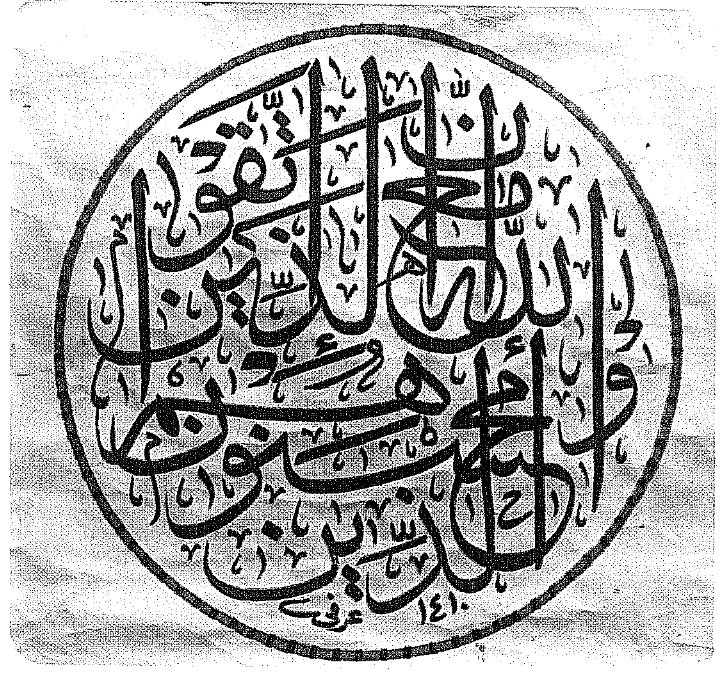
– أما مهمة اللجنة الثانية فكانت مراجعة النظام الاقتصادي وكل القوانين المتعلقة به بمساعدة خبراء ومتخصصين اقتصاديين في الداخل والخارج لكي يصبح اقتصادنا على مستوى الدولة والأفراد والمصارف والمؤسسات وفق شريعة الله وبعيداً عن الربا.

نظام تربوي جديد

مسألة التربية والتعليم كانت مهمة الإشراف عليها من اختصاص لجنة ثالثة تضم فرق عمل من مستشارين ومتخصصين يراجعون النظام التربوي بهدف وضع نظام جديد متكامل ومدروس من جميع النواحي ليكون متوافقاً مع الشريعة وليغرس المنهج الإسلامي في نفوس أبنائنا.

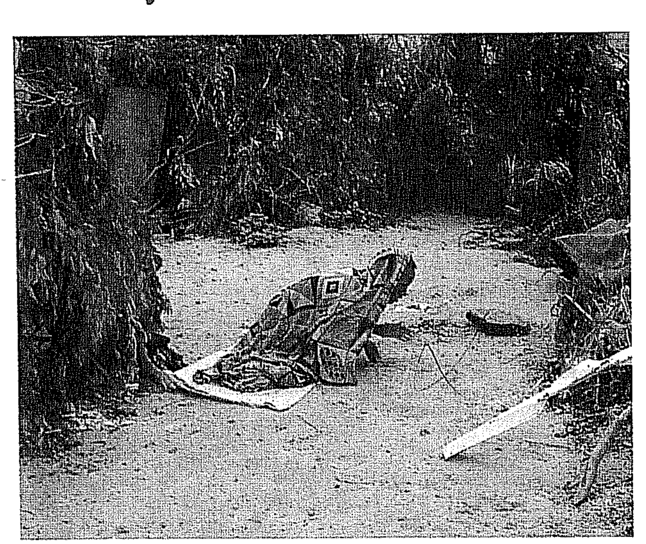
لا نحرم التلفزيون والفيديو

وعن اللجنة المكلفة بوضع نظام إعلامي جديد قال د.المذكور إن مهمتها كبيرة جداً، فهي تعمل لتنقية هذا القطاع مما دخل فيه والارتقاء بفنونه لتكون في خدمة الإنسان، وتقوم الآن بوضع نظام جديد مبني على تعديل مايبث وينشر ليكون متوافقاً مع مقاصد الشريعة، دون إطلاق القول بحرمة تلك الأجهزة كالتليفزيون والفيديو وغيرها، فهذه أدوات لا توصف بالحلّ ولا بالحرمة ومهمتنا تحويلها إلى أدوات مفيدة تساهم في ارتقاء الذوق والعقل والإنسان عموما.



سعيد كامل معوض

حقوق الإنسان بين مواثيق الإسلام ووثيقة الأمم المتحدة



حدث عام ١٩٤٨م

عندما أعلنت الأمم المتحدة وثيقة حقوق الإنسان في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م، صفق العالم طويلاً، وانبرى الكتاب والمفكرون والمثقفون يقرظون ويمجدون، وأصبح الاحتفال باليوم الذي ظهرت فيه هذه الوثيقة شيئا مقدسا وحدثا جللا تقام فيه المسابقات والمباريات، وتوزع الجوائز، وتعقد الندوات والمؤتمرات سنويا ــ في يوم ذكرى إصدار هذه الوثيقة ــ للتعريف بالأمم المتحدة وأياديها البيضاء في كافة النواحي والمجالات الإنسانية!

ونحن عندما نعرض لهذا الموضوع في هذه العجالة لا نغبن حقا لمن يستحق، ولكن سؤالا يطرح نفسه: هل أتت الأمم المتحدة في وثيقتها بجديد؟!

ولكي نجيب عن هذا السؤال ـ بموضوعية ـ لابد من الإجابة عن سؤال آخر: ماذا تحوي هذه الوثيقة؟! فنقول:

١ ـ تتناول المادتان الأولى والثانية من الوثيقة مفهوم أن البشر جميعا يولدون أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق وأن لهم جميعا حق التمتع بكافة الحريات المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة دون التمييز بينهم بسبب لون أو عرق أو دين أو رأي سياسي أو ثروة أو نسب أو غير ذلك من الأسباب.

٢ ــ وتتناول المواد من الثالثة إلى الثالثة والعشرين الحقوق المدنية والسياسية في المعاملات والمراسلات والتملك والتنقل، وحرية الإنسان في حياته الخاصة وحرية الفكر والرأي والعقيدة، وحقه في تكوين الأحزاب وحكم بلده، وفي تقلد كافة الوظائف المتاحة لقدراته.

٣ ــ والمواد من الثالثة والعشرين إلى الثلاثين تتناول الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كحق الفرد في معيشة كريمة والضمان الاجتماعي والصحة والتعليم، كذلك تناولت المواد مسئوليات الفرد في المجتمع.

ـ هذه نظرة عامة في محتويات وثيقة حقوق الإنسان فهل أتت الأمم المتحدة بجديد؟!

عود على بدء

ونحن مع تقديرنا لكل الأهداف النبيلة التي تم إنشاء الأمم المتحدة من أجلها، والتي إذا خرجت من حيز النظرية إلى حيز التطبيق لعم الخير والسلام ونعم البشر جميعا بالأمن والطمأنينة، إلا أننا نقول إن الأمم المتحدة لم تأت بجديد!!، فقبل إعلان الأمم المتحدة بحوالي أربعة عشر قرنا من الزمان ظهر الإسلام وجاء نبيه حاملا دستورا سماويا يمنح الفرد الحياة الكريمة، ويهب المجتمع السمو والرقي، دستورا كاملا لا حوب فيه ولا إعوجاج، ولم لا وهو صادر عن رب الناس الخالق الأحد المعبود المنزه.. فماذا يقول الإسلام في دستوره العظيم؟!

أولا: المساواة

يقول عز وجل: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** الحجرات (١٣)

ويقول: **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾** النساء (١٢٤)

ويقول صلى الله عليه وسلم: (الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب) رواه الترمذي.

ويقول: (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) رواه البخاري.

ويقول: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى) رواه البخاري.

ـ بهذه النصوص السماوية السامية يقرر الإسلام واحدا من أهم المبادىء التي أقام عليها مجتمعه: المساواة.. لا فرق بين عربي وأعجمي، لا فرق بين أبيض وأسود، لا عنصرية ولا عصبية، المفاضلة هنا بالعمل، العمل وحده هو المعيار: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** الزلزلة (٧، ٨).

هكذا التقدير وهكذا المفاضلة دون محاباة أو ظلم.. دقة ووضوح، فهل نرى هذه المساواة الحقيقية في المجتمعات الأخرى؟! وإذا كانت موجودة فلماذا ينادون بها بعد ظهور الإسلام بأربعة عشر قرنا؟!

وتعالوا معا نقرأ ما كتبه «توينبي» فيلسوف حضارتهم في هذا الشأن: «إن انعدام التعصب العنصري ــ كما هو الشأن بين المسلمين ــ من أبرز ما حققه الإسلام في ميدان الأخلاق، والواقع أن ثمة حاجة ملحة في العالم المعاصر إلى نشر

هذه الفضيلة الإسلامية»!

ـــ ولعل بلالا بن رباح ـــ وهو العبد الأسود ـ مثل واضح للمساواة الحقيقية وانعدام التعصب والعنصرية ـ فقد ارتقى قمة القمم عندما اختاره الرسول مؤذنا ينادي إلى الصلاة!، وسلمان الفارسي ـ ولم يكن عربيا ـ أصبح بإسلامه نموذجا للصحابة المقربين إلى رسول الله وأحد الذين يأخذ الرسول بمشورتهم في المعارك! فماذا يحدث الآن في جنوب أفريقيا؟!

ـ ويقول عز وجل: ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص**﴾ المائدة (٤٥)

ويقول: ﴿**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾ النساء (٥٨)

ويقول: ﴿**وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم**﴾ الشورى (١٥)

ويقول عز وجل في حديثه القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» رواه مسلم.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن) رواه مسلم والنسائي.

ويقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» رواه الدرامي.

ويقو: «والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» متفق عليها.

العدل: وجه آخر من وجوه المساواة، والعدل في المجتمع الإسلامي مكفول للجميع، لا فرق بين حاكم ومحكوم، أو بين قوي وضعيف، أو بين كبير وصغير، لا محاباة.. الجميع سواسية ينعمون بمظلة واحدة، وقمة العدل في الإسلام القصاص، فحق القصاص يمثل حجر الزاوية في العدل الإسلامي، فالنفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن والسن بالسن، من قتل يُقتل، ومن ضرب يضرب، ولعل قولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (اضرب ابن الأكرمين) مازال يتردد صداها عبر التاريخ! فهل يحدث هذا في غير حضارة الإسلام؟!

ثانيا: الحرية

أ ـ حرية العقيدة

باب الحريات في الإسلام، باب واسع عريض، وعلى رأس هذا الباب تأتي حرية العقيدة، وهي الحرية الأم في الإسلام.

يقول عز وجل: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ البقرة ٢٥٦.

ويقول: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الكهف ٢٩.

ويقول مخاطبا نبيه ورسوله الخاتم في استفهام غرضه النفي والإنكار: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يونس ٩٩. وبهذه النصوص السماوية يقرر الإسلام أن حرية العقيدة مكفولة للبشر جميعا.. الاختيار للفرد دون تدخل من أي عامل خارجي أو إجبار، وهذا رسول الله يقول لطفيلي بن عمر ـ عندما سأله أن يرسل معه قوة تحمل قومه على الدخول في الإسلام ـــ (عد إلى قومك، فادعهم وارفق بهم)! ولقد تمتع غير المسلمين في بلاد الإسلام بكل ما يتمتع به

المسلمون ماداموا يؤدون للمسلمين حقهم عليهم: الجزية، ويقول «ريتشارد ستيبز» مقررا هذا المعنى: (لقد سمح الأتراك — يقصد الدولة العثمانية — للمسيحيين جميعا — للإغريق واللاتين — أن يعيشوا محافظين على دينهم وأن يصرفوا ضمائرهم كيفما شاءوا بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم المقدسة في القسطنطينية وفي أماكن أخرى كثيرة، على حين أستطيع أن أؤكد بحق أننا لا نرغم على مشاهدة الحفلات البابوية فحسب بل إننا في خطر على حياتنا وأولادنا)!

هكذا شهد شاهد من أهلهم ولعل مايحدث الآن في سراييفو وليبيريا واريتريا والصومال والسودان والجمهوريات الإسلامية في اتحاد دول الكومنولث السوفيتية (الاتحاد السوفيتي سابقا) وغيرها وماحدث بالأمس في اسبانيا والبرتغال وفلسطين.. لعل ماحدث وما يحدث من اضطهاد للمسلمين لإجبارهم على ترك عقيدتهم واعتناق عقائد أخرى لدليل سافر علي أن حرية العقيدة — في غير المجتمعات الإسلامية — مجرد حبر على ورق!! وحقوق الإنسان التي ينادون بها مجرد شعار أجوف لا قيمة له ولا معنى.. والانتهاكات التي تحدث هي إدانة للضمير الإنساني بصفة عامة، وللضمير الإسلامي بصفة خاصة، ويجب على المسلمين إعادة النظر في أمورهم الحياتية لأن الاكتفاء بمجرد الشجب والإدانة — مثلما يحدث دائما — استسلام للظلم الذي يتعرض له المسلمون في معظم بلدان العالم.. يجب علي المسلمين العودة إلى الله واللجوء إليه في كل ما يعرض لهم من محن وملمات لا اللجوء إلي أعداء الله وأعدائهم!

ب — حرية الذات

يقول عز وجل: ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة﴾.

ويقول: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة﴾ النساء ٩٢.

يا الله.. مجرد القتل الخطأ لمؤمن يوجب تحرير مؤمن من نير الرق والعبودية.. فهو — أي القاتل — مادام قد أخرج — ولو بالخطأ — مؤمنا من زمرة الأحياء وجب عليه إدخال مؤمن آخر في زمرة الأحرار!

وفي هذا المعنى يقول الإمام النسفي في تفسيره، لهذه الآية: (إنه — أي القاتل — لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء، ألزم أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار.. لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج١ ص ١٨٩.

وبلغت درجة السمو الإسلامي المرتبة العليا عندما حث علي عدم مناداة الخدم بألفاظ مثل عبد أو أمة.. فالعبودية لا تكون إلا لله وحده.. يقول صلى الله عليه وسلم: (لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي).

رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن حنبل.

فهل يحدث هذا في غير مدنية الإسلام؟!، إن عصابات التجارة في الرقيق مازالت تمارس تجارتها — في رواج — في معظم أنحاء العالم، فقد نشرت الصحف أخيرا عن عصابة كبيرة تتاجر في الرقيق بالبرازيل.

ج — الحرية الشخصية

يقول عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**

لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون. فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ النور ٢٧، ٢٨. ويقول صلى الله عليه وسلم: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فلينصرف» رواه البخاري.

ـ هكذا كفل الإسلام للفرد حرية التصرف في بيته وتسيير دفة أسرته وفقا لإمكاناته وطبقا لأوامر الله ونواهيه.. بل لقد فرض علي الآخرين احترام هذه الحرية وتقديرها حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح» متفق عليه.

ثالثا: الشورى

يقول عز وجل: **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾** الشورى ٣٨.

ويقول: **﴿وشاورهم في الأمر﴾** آل عمران ١٥٩.

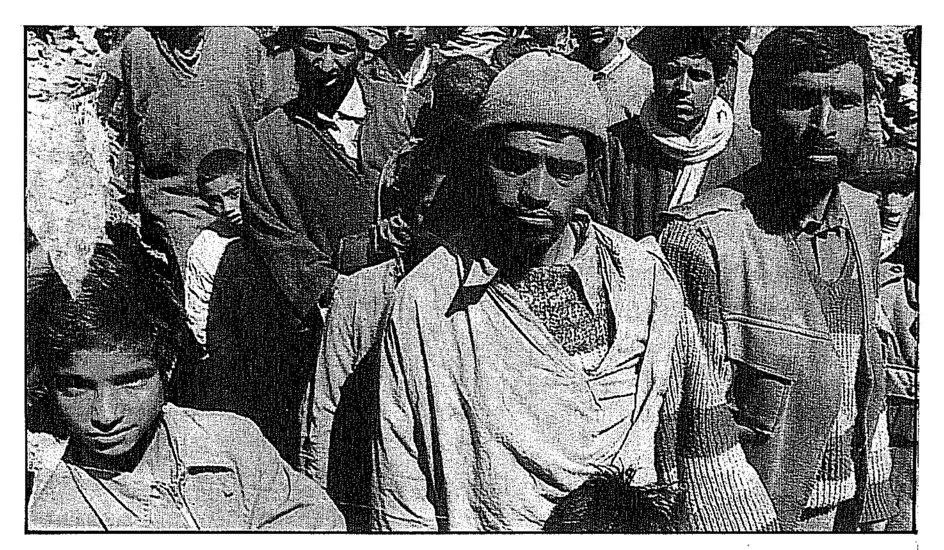
هذه هي الشوري في مدنية الإسلام أو الديمقراطية كما يحلو للمدنيات الأخرى تسميتها، والشوري في الإسلام تمنح الفرد حرية الرأي، وحرية التعبير، وحرية الكلمة ومن ثم كانت الأساس الذي اعتمد عليه في بناء المجتمع القويم، وكانت حجر الزاوية في بناء الفرد النافع لنفسه ومجتمعه، فلقد قرر الإسلام في صراحة ووضوح أن المجتمع عبارة عن مجموعة متماسكة من الأفراد، وعلي كل فرد أن يدلي بدلوه من أجل الصالح العام، بهذا يرقى المجتمع ويزدهر، ويحس كل من فيه أنه شريك في مسئولية البناء والحكم، ولقد كان الرسول ـ وهو سنام الأمة الإسلامية ـ القدوة والمثل في مشاورة أصحابه مادامت الشورى في أمر دنيوي لم يرد فيه نص إلهي قاطع، وفي هذا يقول أبوهريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه الترمذي.

فهاهو المصطفى الخاتم يقرر في سماحة وسعة أفق لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب: (لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما) رواه ابن حنبل.

لا ديكتاتورية هنا ولا تعنت، ولعل غزوة بدر تكشف في جلاء عن درس من دروس الشورى علمه الرسول القائد للجميع: (لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر خرج فاستشار الناس، فأشار عليه أبوبكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم! فقالوا: يارسول الله والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكباد الإبل حتي تبلغ برك الغماد لكنا معك) رواه ابن حنبل.

هكذا اتخذ الرسول قراره بالحرب.. قرار المصير الذي أشرك فيه الجميع، وكما شاور الرسول رعيته في اتخاذ قرار الحرب، شاورهم في أمر أسرى هذه الواقعة الخالدة، وكذلك كانت كل قراراته الحيوية ـ والتي كما أسلفنا لم ينزل فيها نص إلهي ـ لا تتخذ إلا بالشورى، وعلي هذا المنوال سار الخلفاء الراشدون ومن تبعهم من قادة التاريخ الإسلامي، ولهذا ازدهر المجتمع الإسلامي واتسعت رقعته.

رابعا: التكافل الاجتماعي



يقول عـز وجل: ﴿**خذ مـن أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ التوبـة ١٠٣.

ويقـول: ﴿**والذين في أمـوالهم حق معلوم. للسائل والمحروم**﴾ المعراج ٢٤، ٢٥.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «من كان معه فضل ظهر فليعـد به على من لا ظهر له، ومن كان معـه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» رواه البخاري.

ويقول: «واللـه في عون العبد مـا كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم.

ـ هذا هـو التكافل الاجتماعي في أرقى صوره، يتجلى في الـزكاة والصـدقة، ففي الإسـلام لا يجب أن يكـون هنـاك فقير معدم ولا غنـي مستغل، لا توجـد طبقات لأنـه لا يكفي لقيـام الطبقات أن تتفـاوت الثروات، ولكن الذي ينشيء هـذه الظاهرة تحول المال بـالتراكـم إلى الاستغـلال، والإسلام عندما يأخذ من الفرد المستغني ليعطي الفـرد المحتـاج إنما يحول دون الصراع الطبقي، والفقير في الإسلام له حق حقيقي مكفـول بـالقـوة، وليس مجرد إحسـان اختيـاري كما قـد يظن البعض وذلك لقوله تعـالى: ﴿حق معلوم﴾ فالحق يقتضيه دائن مستحـق، والدائن هنـا هو الفقير، والمدين هـو الغني!، فهل هنـاك سمو بكـرامة الإنسان مثل هـذا السمو؟! وهل هناك نظام بمثل هذا التواد والتراحم والرقي؟! لا أعتقد!

ـ وهذا النظام في التكافل الاجتماعي ـ الذي لا يوجد في غير مجتمعات الإسلام ـ يؤدي إلى شعور الغني بحاجة الفقير إليه فيبره ولا يبخل عليـه، ويؤدي إلى شعـور الفقير بحب الغني لـه فيبادله حبـا بحب ولا يحسده على نعمـة الله عليـه، وبذلك تزول الضغائن والأحقاد، فينشـأ المجتمع كله على الترابط والحب والألفة والتعاطف العام، وبالزكاة أوجد الإسلام الحل المثالي لمشكلـة العـوز والفاقـة، وفي هـذا المعنى يقول العلّامة «دروسن»: (... ولقد وجدت في الإسلام حـل المشكلتين اللتين تشغلان العـالم طـرا.. الأولى في القـول القرآني الكريم ﴿إنما المؤمنـون أخوة﴾(١) فهذا أجمل المبـاىء الاشتراكيـة، والثـانيـة في فـرض الـزكـاة على كل ذي مـال)، والمشكلتـان اللتان يقصـدهما «دروسن» هما: مشكلـة الفقـر ومشكلـة انعـدام الروابط الأسرية في مجتمعات المادة.

ـ وبهذا النظام السماوي الرفيع جعل الإسلام المجتمع كله يتنفس برئة واحدة، ينبض بقلب واحد، يحيـا بروح واحدة في توازن دقيق لا يختل ولا ينفصـم، تكافل

عام وأخوة مطلقة.

خامسا: العلم وحق التعليم

يقول عز وجل: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ المجادلة (١١)

ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن العلماء ورثة الأنبياء) رواه مسلم.

ويقول: (فضل العالم على العابد كفضلي علي أدناكم) رواه الترمذي.

ويقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة) رواه مسلم.

ـ من هذه النصوص نتبين مدى إدراك الإسلام لقيمة العلم وأهميته، فالعلم يفتح الأذهان ويوسع المدارك، فيمنح البصر البصيرة، ويهب العقول القدرة على الاختيار الصحيح والتمييز بين الخبيث والطيب، وبذلك يمكن للفرد أن يفرض إرادته بقوة المنطق والإقناع، وبهذا يتحرر من عبودية الجهل والتقليد والتبعية، وكان العلم حقا أوجبه الله للإنسان، فجاء الإسلام ليمنحه هذا الحق الذي حجبه عنه بعض أبناء جلدته لحاجات في أنفسهم، لعل أهمها أن الجاهل أسلس قيادا وأضعف جانبا!، والإسلام عندما جاء للإنسان بحق العلم، إنما جاء ليفرضه، فكانت «اقرأ» أول كلمة نزلت من الوحي علي الرسول، وهي صيغة أمر تحمل معنى الفرضية، وكذلك قرر الرسول: (طلب العلم فريضة علي كل مسلم) رواه مسلم.

ـ وفي غزوة بدر الكبرى كان فداء الأسير الذي لا يملك مالا يفتدي به نفسه، أن يعلم عشرة من المسلمين، والعلم في الإسلام هو علم الدين والدنيا معا، وكذب من ادعى أن العلم المقصود في الإسلام هو العلم الديني فقط!

ـ وبعد.. فهذه قطوف من دستور الإسلام العظيم، أوجزنا فيها باختصار شديد مواثيق الإسلام التي نظمت حياة الإنسان، وأوضحت لكل فرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات.. ونحن هنا لا نقارن بين المواثيق الإسلامية ووثيقة الأمم المتحدة.. لأنه لا مجال لمقارنة بين تشريع الخالق واجتهاد المخلوق.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ جامع أحكام القرآن: القرطبي (دار الكتب المصرية ١٣٥٤هـ)

٣ ـ صحيح البخاري بشرح ابن حجر (المطبعة المصرية القاهرة ١٣٤٨هـ)

٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووي (المطبعة المصرية ـ الأزهر ١٣٤٧هـ)

٥ ـ صحيح الترمذي (مطبعة الصاوي ـ القاهرة ١٣٥٢هـ)

٦ ـ اشتراكية الإسلام: د. مصطفى السباعي (الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٠هـ)

٧ ـ الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية: د. محمد السعيد الدقاق (منشأة المعارف ـ الاسكندير ١٩٧٧م)

٨ ـ القانون الدولي والعام وقت السلم: د. حامد سلطان ط ٤ (دار النهضة العربية الاسكندرية ١٩٦٩م)

٩ ـ الغنيمي الوجيز في قانون السلام: د. محمد طلعت الغنيمي (منشأة المعارف ـ الاسكندرية ١٩٧٥م)

١٠ ـ مبادىء الأمم المتحدة: د. حسن الجلبي (معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة ١٩٧٠م)

١١ ـ المنظمات الدولية ط ٣: د. محمد حافظ غانم (مكتبة النهضة الجديدة ـ القاهرة ١٩٦٧م)

١٢ ـ المنظمات الدولية: د. محمد سامي عبدالحميد (مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ١٩٧٢م)

خوارزم
الحضارة المنسية لمنطقة ما بين بحري قزوين وآرال

بقلم الأستاذ : خالد عزب

تفتقر المكتبة الإسلامية لدراسات عن منطقة بلاد التركستان والقوقاز، سواء في التاريخ أو الحضارة الإسلامية، وقد لمست منظمة العواصم والمدن الإسلامية هذا النقص فقدمت للقراء المسلمين هذا العام باكورة دراستها عن هذه المنطقة وهو كتاب عن العمارة الإسلامية في خوارزم سيليه كتاب آخر عن بخاري.

والكتاب من تأليف المهندس المعماري القدير أمجد بوهميل بورخازكا الذي قدم لنا دراسات متميزة في العمارة الإسلامية منها «المدخل إلى العمارة الإسلامية» «المساجد»، «الأسس المحددة للعمارة الإسلامية»، وقد بدأ المؤلف كتابه بمقدمة شيقة ذكر فيها أقوال الرحالة والمؤرخين عن خوارزم فقد بهر بها ياقوت الحموي حتى قال عنها «لم أرفي حياتي أبدا بلدة تزدحم بالسكان مثلما في خوارزم. فهى عبارة عن صفوف متراصة من القرى ترتبط كل منها بالأخرى وفيها كثير من محال الإقامة والقصور والتي يصعب أن تجد فيها مكانا غير مزروع. إني لا اعتقد بوجود أي مكان اخر في العالم بأسره يمكن أن يكون بمثل هذه الكثافة السكانية العالية علاوة علي غناها ووفرة ماتحتويه»

تقدم لنا خوارزم مثلا عظيما لوظيفة الإسلام البارزة كأداة للوحدة السياسية الحضارية والروحية والتي عملت أيضا على ازدهار الإنتاج والتكنولوجيا والتجارة. فالتأثير الروحي والفني للديانة الإسلامية يظهر بوضوح وبطريقة موثقة في الشواهد الأثرية المعمارية القيمة التي سوف نعرضها من خلال هذا الكتاب.

ونوضح بادىء ذي بدء أن العمارة القديمة في خوارزم تعتبر من الأعمال

التأثير الروحي والفني للديانة الإسلامية يظهر بوضوح في الشواهد الأثرية المعمارية

الهامة أخذا في الاعتبار نوعية البناء والتي تم تحسينها عبر الأجيال واختيارها عبر العصور.

يرجع تاريخ إقليم خوارزم إلى تاريخ أودية النيل والفرات. ومع هذا و بسبب الظروف المناخية القاسية، ولصعوبة التحكم في مجرى نهر جيحون وتغيره المستمر خلال الحقبات التاريخية المختلفة، فإن الحضارة على امتداد هذا النهر كانت أبطأ في تطورها ونموها.

لقد دخل الإسلام خوارزم وعمها في القرن ٧م، ١هـ حيث كانت خوارزم في هذا الوقت غير ذي شأن مثل بعض المناطق المرتفعة الكثافة مثل سوريا، ومصر وإيران والمزدهرة بتراثهم النابع من تاريخهم الحضاري ومع الوقت بدأت الخلافة في التفكك، وبقيت الولايات الأبعد عن مركز الخلافة مستقلة، مع بقائها شكليا مرتبطة بها.

وتطور تاريخ هذه المنطقة مع حركة التاريخ في العالم الإسلامي. وبدخول الإسلام خوارزم بدأت بعض المدن الصغيرة القديمة في التطور إلى مدن ذات هيكل إسلامي، وبمساندة تجارة آمنة وأعمال حرفية مزدهرة وزراعة منتجة أثر هذا في توسع هذه المدن. وقد أدلى تولستوف المستشرق الروسي المعروف برأي هام وهو «أنه لم يكن هناك مدن في خوارزم خلال القرن السابع الميلادي ومع ذلك فقد سجل أول رحالة مسلم بعد الفتح الإسلامي وجود ثلاث مدن نمت حتى وصلت إلى ست عشرة خلال قرن

واحـد، وتضـاعفت مـرة أخـرى في فترة زمنية مماثلة.

من الممكن تتبـع تـاريخ خـوارزم بمتابعـة الكثافـة السكانيـة لعواصمهـا الثلاث: كاث (فيل) عـاصمتها في العهود القديمة، جوجنج (والآن كونيا اورجنتش) في العصـور الـوسطى وخيـوة في الـزمن الحديث. (أما كاث فيل فقد اختفت جزئيا بسبب نهر جيحـون وفيضـاناتـه وتغير مجراه. وقد ركز المؤلف في هذا الكتاب على كل من جورجنج وخيوة.

آثار جورجنج

لقـد تبقي في جورجنـج ستة مبـان أثرية. هذه المباني لاتـزال محتفظة بحالة جيدة جدا تدعو لـلأندهاش خصوصا إذا مـا أجـرينـا مقارنـة بينهـا وبين البيئـة الخالية المحيطة بها حيث لم يمكن العثور على أي بقايـا أثرية لأي مبان فيهـا. وقد لـوحظ التبـاين في أشكـالها والتأكـد من كونها أصلية حيث لا يـوجد لها أي مثيل سـواء في منطقـة تركستـان أو في العـام الإسلامي بأسر ه.

مئذنة كوتلغ تيمور:

حكم كوتلغ تيمـور خوارزم من قبل السلطان المغـولي «أوزبك خان» ومئـذنة كـوتلغ تيمور هي أعلي مئـذنه في منطقـة وسط آسيا وتمثل أقـدم الآثار التي تعود إلي أيام المغـول، وهي تقع في وسط المدينة قائمة دون مسجدهـا الذي اختفى تماما، وعلى هـذا العمل الفني والهنـدسي الـرائع يوجد تـاريخ إنشاء المئذنـة المحدد ما بين عام ١٣٢٠ و١٣٣٥م.

ويقع مدخل المئـذنة على بعـد سبعة أمتار من الأرض ممـا يفهم منه أنـه كان يتم الـدخـول إليهـا من سطح المسجـد والمئـذنـة قطرهـا أحـد عشر مترا عنـد مستـوى الأرض بينما قطرهـا في القمـة حوالي ٣,٦ متر ويوجد جـزء ناقص منها يقدر بطول يتراوح بين ستة وعشرة أمتار مثلهـا لـذلك فإن شكـل طـرف المئـذنـة العلوى غير معروف.

والإنشاء مبنـى بالكامل مـن الطوب المدعـوم بحجم ٣٠X٣٠X٥سم والمئذنة مزينـة بنفس المادة ولكن بشكل مختلف من قـوالب الطوب أو بقـوالب طـوب مع قطع تبـديل صغيرة مـن الطـوب أيضـا خصوصا عند كتابة آيات بالخط الكوفي.

آثار خيوة

يبرز المؤلف عنـد حـديثـه عن آثـار «خيوة» خصائص العمارة الإسـلامية في وسط آسيا، وأبرز مـلامحها، وخاصـة أن البنائين الخوارزمين طوروا طـريقة البناء بحيث جعلـوا نقـاط التقـاء الأعمـدة مستديرة بـدلا من كونها مستقيمة وذلك حتى تقـاوم الـزلازل، أي حتى لا تنـزلق القطع عن بعضها. وقد كان للطقس تأثير على العمارة فعدم وجود صحن مكشوف في المسجـد الجامع «بخيوة» كـان بسبب طبيعة الطقـس هناك فالطقـس المعروف عنه بالتقلبات الحادة كالطقس القاري في آسيا الوسطى من أمطـار وبرد خاصـة في خيوة لا يسمح بوجود أجزاء مكشوفة من المسجد مثلما هـو منفذ في معظم البلدان الإسـلاميـة منها على وجـه الخصـوص. فالتعرض للصقيع والجليد والأمطار كان يتطلب ضرورة عمل عازل يحمى من هذه

التقلبات الجوية. ويوجد عدد من المساجد في آسيا الوسطى ينقسم إلى قسمين كبيرين منها قسم للصيف والآخر للشتاء أمدوه بإمكانات خاصة للتدفئة.

جامع خيوة الرئيسي

يرجع تاريخ تأسيس جامع «خيوة» إلى آخر القرن الثامن عشر، كما أن النقش الموجود على بابه يدل على أنه أنشىء عام ١٧٨٩، وقد تم تنفيذه على مراحل، ومثلما نجد في المساجد الأولى في المنطقة العربية، فإن محيط هذا الجامع غير منتظم إلى حد ما ولكن شبكة الأعمدة والإيوانات نجدها منتظمة ومتجهة نحو القبلة، وجدران المسجد بدون نقوش ومبنية من الطوب المحروق والجدار الخارجي للمسجد أبعاده ٥٥x٤٥م،

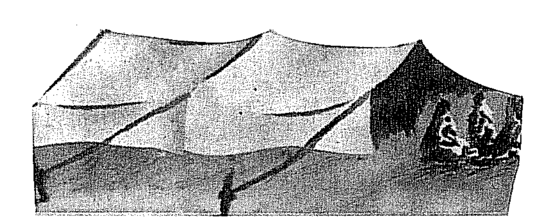
وبداخل المسجد يوجد ٢١٢ عمودا لرفع السقف، وقد استبدلت كثير من الأعمدة في الأيام الأخيرة بأعمدة أخرى مقلدة بطريقة مبسطة وتم نقل الأعمدة الأصلية إلى عدة متاحف وظلت المساجد مغلقة لفترة طويلة بسبب موقف الاتحاد السوفيتي آنذاك المناهض للدين، ويوجد أمام المسجد الجامع قصرين لازالا موجودين حتى الآن، والقصر القديم منهما يعرف «بكونيا أرك» أي «القلعة القديمة»، أما القصر الجديد المعروف باسم «تاش خاولي» أي (الفناء الحجري) ويعتبر القصر القديم قلعة حصينة في خوارزم وداخل هذا القصر أو القلعة يوجد سكن الخان والأرشيف، والمحكمة ودارسك العملة والسجن والمسجد الصيفي والشتوي وسكن الحراس. وقد أمكن الحفاظ على جزء من إنشاءات القصر القديم ولازالت بحالة جيدة جدا وبعض الأجزاء الأخرى موجودة فقط في السجلات والتوصيفات.

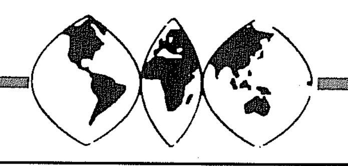
وأكثر الأشياء بروزا حاليا في خيوة هي مئذنة مدرسة «إسلام خوجة» معلم الإسلام، التي يعود تاريخها إلى ما بين عام ١٩٠٨ و١٩١٠م وهو نفس تاريخ أحدث آثار المدينة، على أن المدرسة المجاورة تعتبر صغيرة من ناحية الحجم ومع ذلك فهي تحتوي على «٤٢» خلوة في طابقها الأرضي، وهذه المدرسة مثل جيد لتحول العمارة من عمارة العصور الإسلامية إلي العمارة الحديثة، ومئذنه

«إسلام خوجة» العالية ذات الزخرفة الدقيقة تحدد بدهاء مدي الخداع الناتج عن تحويل المفاهيم الخاصة برسم

المناظر التي تبين القطر التحويلي للمئذنة ليعطي انطباعا بارتفاع غير حقيقي.

تلك كانت جولة داخل كتاب شيق يعرفنا ببقايا التراث المعماري الإسلامي بخُوارزم، نتمنى أن تستمر منظمة العواصم والمدن الإسلامية في بذل جهود جديدة لتعريفنا بالتراث الحضاري في باقي مدن بلاد التركستان والقوقاز «كسمرقند» و«عشق آباد» وآلما آتا» وغيرها من مظاهرحضارتنا المنسية بين بحري قزوين وآرال.





استشهاد المجاهد كليب المطيري

استشهد يوم ٥/٩/٩٣ الداعية المجاهد كليب المطيري وذلك اثر إصاته بلغم زرعته القوات الكرواتية الغادرة أثناء انطلاقه مع مجموعة من إخوته لأداء مهمتهم الإنسانية في الطريق بين قرية جيتش ومنطقة كوتشاجورا هذا وقد تم دفنه يرحمه الله يوم الاثنين الموافق ٦/٩/٩٣ والوعي الإسلامي التي آلمها النبأ تضرع إلى الله عز وجل ان يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يعوض الكويت عنه كل خير.

الأيدز يشكل عبئاً علي اقتصاديات آسيا

ذكر خبراء أن عدد المصابين بمرض الأيدز القاتل في القارة الآسيوية قد يزيد على عدد ضحايا المرض في القارة الأفريقية بحلول عام ٢٠٠٠ وأن هذا سيشكل عبئا على القارة من الناحية الاقتصادية والصحية على السواء.

وقال ديفيد بلوم وهو أستاذ في جامعة كولومبيا في افتتاح ندوة دراسية في العاصمة الفلبينية مانيلا لبحث تأثير الأيدز الاقتصادي على آسيا «بحلول عام ٢٠٠٠ نتوقع أن تنفرد آسيا بنصف حالات العدوى الجديدة لفيروس ايتش. اي . في المسبب للمرض».

وصرح جون دواير عميد كلية الطب بجامعة ساوث ويلز بأن عدد حاملي الفيروس المسبب لمرض الأيدز في آسيا سيفوق عدد ضحايا المرض القاتل في أفريقيا.

وكان عدد حاملي الفيروس في آسيا قد اقترب عام ١٩٩٢ من مليوني شخص بينما بلغ في أفريقيا سبعة ملايين شخص.

وقال بلوم إن الهند وتايلاند تصدرتا قائمة الدول الآسيوية التي يوجد بها أكبر عدد من مرضي الأيدز.

وأظهرت إحصائيات برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة أن عدد حاملي الفيروس في تايلاند سيرتفع عام ٢٠٠٠ إلى مايتراوح بين ٣,٤ مليون و٤,٣ مليون شخص مقارنة بـ ١٦٠,٠٠٠ شخص عام ١٩٩٠.

٥٧٠٠ دولار متوسط دخل الفرد في الخليج

استنادا إلى دراسة أعدتها غرفة تجارة وصناعة قطر، فإن متوسط دخل الفرد في دول الخليج العربي يصل إلي ٥٧٠٠ دولارا سنوياً.

إلا أن الدراسة لاحظت أن بإمكان هذا المتوسط أن يتابع ارتفاعه إلى مستوى أعلى إذا ماتوافرت فرص إضافية لزيادة الدخل القومي عن طريق تنمية القطاع الصناعي وإفساح المجال أمام الاستثمارات الأجنبية .

السعودية : نظام جديد للمناطق

أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يوم ١٧/٩/٩٣ مراسيم ملكية ببدء العمل بنظام المناطق الجديد الذي تقسم فيه المملكة إلى ١٣ منطقة لكل منها مجلس معين.

وسيكون لكل منطقة أمير يعينه الملك كما هو الحال الآن. ولكن حسب النظام الجديد سيصبح لكل منطقة مجلس يضم الأمير ونائبه ووكيل الامارة ورؤساء الأجهزة الحكومية بالمنطقة وعدد من الأهالي «من أهل العلم والخبرة والاختصاص» يرشحهم الأمير ويعينون بقرار من رئيس الوزراء بعد موافقة وزير الداخلية.

وجاء في المراسيم الملكية أن مجالس المناطق ستجتمع مرة كل ثلاثة أشهر على الأقل.

وستكون مدة المجلس أربع سنوات قابلة للتجديد ومهمته «دراسة كل ما من شأنه رفع مستوي الخدمات في المنطقة» ومن ذلك تحديد احتياجات المنطقة واقتراح ادراجها في خطة التنمية للدولة وتحديد المشاريع النافعة حسب أولوياتها واقتراح اعتمادها في ميزانية الدولة السنوية ومتابعة تنفيذ مايخص المنطقة من خطة التنمية والموازنة.

ويرفع مجلس المنطقة اقتراحاته بشأن أي عمل من أعمال النفع العام إلى وزير الداخلية.

وقالت المراسيم ان هذا النظام يهدف إلى «رفع مستوى العمل الإداري والتنمية في مناطق المملكة كما يهدف إلى المحافظة علي الأمن والنظام وكفالة حقوق المواطنين وحرياتهم في إطار الشريعة الإسلامية».

وقد وزعت المناطق الـ ١٣على الشكل التالي: الرياض ومكة والمدينة والقصيم والمنطقة الشرقية وتبوك وحائل والمنطقة الشمالية والجوف والباحة وعسير ونجران وجيزان.

جمعية إحياء التراث تنفذ خمسة مشاريع خيرية في مصر

بدأت جمعية أحياء التراث الإسلامي الكويتي نهاية شهر سبتمر الماضي تنفيذ خمسة مشروعات خيرية في مصر بتكلفة ٦٠٠ مليون جنيه. صرح بذلك عبدالرحمن المجيبل عضو لجنة العالم العربي والمسؤول عن المشروعات الخيرية. وقال إن تلك المشروعات عبارة عن مساجد في مدن الاسماعيلية وفاقوس وأسوان والمنوفية وقلبشوة بالدقهلية.

وأضاف ان الجمعية انتهت مؤخراً من تنفيذ ثلاثة مشروعات بشكل نهائي ومازال جاري تنفيذ ثلاثة مشروعات في مراحلها النهائية حاليا وقد تجاوزت قيمة المشروعات التي تنفذها الجمعية خلال الأشهر الستة الأخيرة في مصر مليون جنيه مصري تمثل نشاط لجنة العالم العربي المنبثقة عن جمعية احياء التراث الإسلامي الكويتية.



٣٠ ألف دولار مساعدة من مؤسسة البترول للجنة العالم الإسلامي

قدم وزير النفط ورئيس مجلس مؤسسة البترول الوطنية على أحمد البغلي تبرعا لدعم مشاريع لجنة العالم الإسلامي بمبلغ ٣٠ ألف دولار صرح بهذا رئيس لجنة العالم الإسلامي المهندس عبدالرحمن العجمي وأضاف أن وزير النفط أعرب بعد اطلاعه على مشاريع اللجنة وإنجازاتها عن اعتزازه بمسيرة العمل الخيري وماتقدمه لجنة العالم الإسلامي من خدمات إنسانية في مختلف مناطق عملها حول العالم. وأضاف العجمي أن الوزير أبدى سعادته لمستوى الإنجاز والأعمال الخيرة التي تقوم بها اللجنة، بالإضافة إلى تنوع مشاريعها وتنوع مناطق العمل التي تقوم فيها هذه المشاريع، والتي تعكس اهتماما رسميا وشعبيا بالعمل الخيري الذي أصبحت الكويت من الدول المميزة فيه مما ينعكس إيجابيا على سمعة الكويت على المستوى الدولي كدولة تشارك المجتمع الدولي مسؤولياته وخصوصا فيما يتعلق بالتنمية والمساعدات الإنسانية والخيرية.

خلل في النمو السكاني والإنتاج الغذائي في العالم العربي

أفاد صندوق النقد العربي في تقرير صادر في أبوظبي أن معدل النمو السكاني في العالم العربي يفوق بكثير معدل الإنتاج الغذائي وذلك عائد بشكل خاص إلى السياسات الزراعية غير الملائمة في البلدان العربية.

وقال التقرير إن الفجوة لاتزال كبيرة بين النمو السكاني والإنتاج الزراعي على الرغم من تباطؤ النمو السكاني منذ السبعينيات والذي كان يقدر حينها بـ ٤٪.

وقال التقرير إن عدد سكان الدول العزبية زاد من حوالي ١٤٠ مليون نسمة في العام ١٩٧٥ إلى ١٨٥ مليون نسمة في العام ١٩٨٥ وإلى ٢٤٠ مليون نسمة في العام ١٩٩٢.

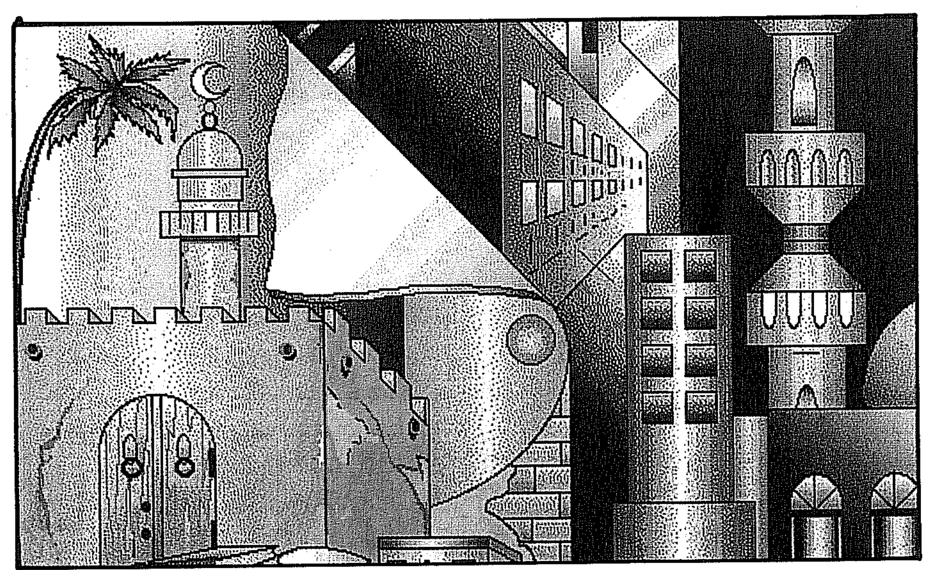
ويتوقع ان يصل عدد السكان في الوطن العربي إلى ٢٩٠ مليونا في العام ألفين.

ولم يقدم التقرير أرقاما حول زيادة ولم يقدم التقرير أرقاما حول زيادة النمو في القطاع الزراعي ولكن تقارير غير رسمية قدرت معدل النمو في هذا القطاع بأقل من ٢٪ خلال السنوات العشر

وقال التقرير ان متوسط حصة الفرد من الأراضي المزروعة في الدول العربية تقل عن ربع هكتار، أي أقل بأربع مرات من الأراضي التي يمكن استغلالها.

وإضافة إلى السياسات الزراعية غير المناسبة يرجع الخبراء انخفاض الإنتاج الزراعي الى غياب الحوافز والاستثمارات الكافية في هذا القطاع

بحث التعاون الوقفي بين بيت التمويل ووزارة الأوقاف

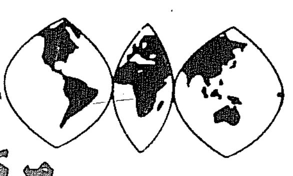


اجتمع مؤخرا نائب المدير العام في بيت التمويل الكويتي السيد وليد الرويح مع المدير التنفيذي لمكتب تنمية الموارد الوقفية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور خالد راشد الهاجري.

وصرح السيد الرويح أثر الاجتماع أنه بحث مع الدكتور الهاجري آفاق التعاون بين القطاع الوقفي بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وبيت التمويل الكويتي، باعتبارهما مؤسستين تهدفان إلى إقامة مشاريع تنموية وفق قواعد الشريعة الإسلامية الغراء والاستفادة من خبرات الجانبين في مجال الاقتصاد.

وأشار السيد الرويح أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هي من الجهات المؤسسة لبيت التمويل الكويتي في عام ١٩٧٨ حين بدأت مسيرة البيت في توفير الفرص الاستثمارية والتجارية وتوفير النظام المصرفي بما يتوافق مع أسس المعاملات المالية الإسلامية.. وقد اثمرت هذه الجهود ولله الحمد بعد مسيرة قاربت على ١٥ سنة في ايجاد مؤسسة مالية متينة استطاعت تأكيد مكانتها على المستوى المحلي والدولي وساهمت في دعم عجلة الاقتصاد الوطني وايجاد وسائل تمويلية للتاجر والمستهلك.. ولم يكن ذلك لولا دعم المؤسسين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والهيئة العامة لشؤون القصر ووزارة المالية.

وأكد ان تم خلال الاجتماع التشاور حول المشاريع التي يزمع مكتب تنمية واستثمار الموارد الوقفية الدخول فيها والأفكار الخاصة باستثمار أموال الوقف.



مركز اسلامي في ألبانيا

قال المديـر الاقليمي لمكتب ألبانيـا بلجنة العـالم الاسلامي هشـام المولي ان اللجنة بدأت ببنـاء المركز الاســلامي في جمهوريـة البانيـا ويشمل المركز عـددا من الفصول الدراسية للعلـوم الاسلامية وصالة متعددة الاغـراض ومكتبة ومسجدا يتسع لحوالي ٣٠٠ مصل هذا بـالاضافـة الى دور ضيافة للـدعاة والضيـوف وسنحاول ان يشمل البناء على ملاعب رياضية.

واشار الى انـه سيتم الانتهاء من بنـاء المركز الاسـلامي ليكون جاهـزا للعمل قبل شهر رمضان القادم، واضاف ان تكلفـة انشاء هذا المركز تصل ما بين ٣٠ الى ٥٠ الف دينار كويتي.

واوضح المولي انه بالنسبة لبنـاء المستشفى التخصصي فإن لجنة العالم الاسلامي تنتظر الان الاتفاق مع وزارة الصحة الالبانية ودراسة الجدوى والاحتياجات، وبين ان اللجنة رصدت للمشروع مليون دولار امريكي.

ويذكـر ان اللجنة حاليـا بصدد تسويـر المساحة، واشـار الى انه بعد المنـاقشة مع وزارة الصحة الالبانية سيتم البدء في اختيار تصميم مناسب.

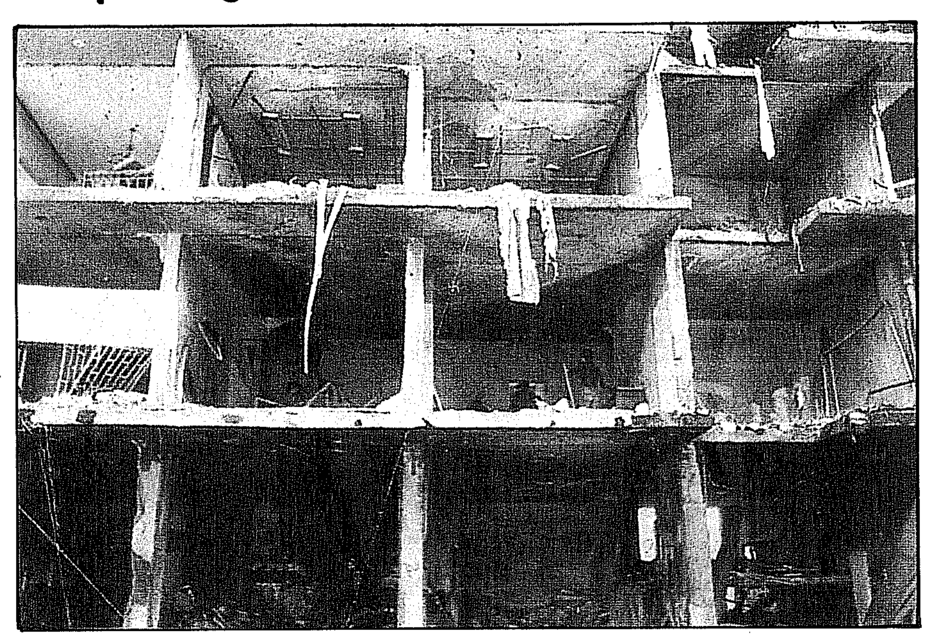
وذكر المولي ان لجنة العـالم الاسلامي ستقوم خلال عيـد الاضحي المبارك بتوزيع الاضاحي على المسلمين في البانيا.

وحول مشاريع لجنة العالم الاسلامي المستقبليـة في جمهورية البانيا قال المولي ان اللجنة تنـوي البدء بتنفيذ مشروع الألف مسجـد في جميع انحاء البانيـا، حيث ان هذه المسـاجد صغيرة ومـوزعة في منـاطق المساجـد التى هدمت من قبل الحكم الشيـوعي السابـق ويتسع كل منها الى ١٠٠ مصل، هـذا بالاضـافة الى كفـالة عشرة من الـدعاة لمتابعة انشطة الدعوة في الجمهورية الالبانية.

واضاف ان لجنـة العالم الاسـلامي تنوي كـذلك طباعة ١٠٠ الـف نسخة لتعليم احرف الهجـاء العربيـة والقرآن الكـريم اضافـة الى طباعة ٤٠ ألف نسخـة من الكتب الاسـلامية.

الهنـد وسيـاسـة التصفية!

تصـاعـدت حـدة التـوتـر في كشمير المحتلـة في اعقـاب مقتل القـائد محمد مقبـول عـلاي على يـد قـوات الاحتـلال الهنـدوسيـة، ويأتي مقتل عـلاى ضمن مخطط اجرامي كبير يقوده حاكم كشمير الجديـد كريشنـا راو يهدف الى تصفيـة القيـادات الجهـاديــة، حيث قتل خـلال الشهرين الماضيين مـا يزيـد على خمسة من كبار القيادات الكشميرية كان آخرهم الطبيب الجراح عبـد الاحـد غـورو احـد قيـاديي جبهـة تحريـر جـامـو وكشمير والقـائد محمـد مقبـول احـد المؤسسين البارزين لحزب المجاهدين.



لبنان : ٧٠ مليون دولار و٨٠٠ ألف مهاجر!

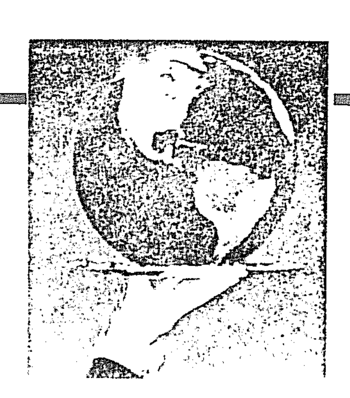
حصلت وزارة المهجرين في لبنان المعنية بإعادة حوالي ٨٠٠ ألف شخص إلى منازلهم التي اضطروا لمغادرتها خلال ١٨ سنة، على ١٢٠ مليار ليرة (٧٠ مليون دولار) لتمويل عمليات الإخلاء والترميم على ان تكون الوزارة قادرة على مضاعفة هذا المبلغ العام المقبل.

وتمنح الوزارة مبالغ متفاوتة للمهجرين (٣ و ٥ آلاف دولار أميركي) في مقابل التزام المهجر بإخلاء المسكن الذي يشغله في خلال شهرين على الأكثر. إلا أن المشكلة هي في محدودية المبلغ الذي يتقاضاه المهجر لإعادة بناء منزله المهدم بفعل الحرب، إضافة إلى عدم توافر الثقة الكافية بالوضع العام، وهو الأمر الذي تحتاجه عودة المهجرين لتشجيعهم على إعادة بناء منازلهم الأساسية.

ومن المتوقع أن تحصل الوزارة على مساعدات وهبات من مصادر مختلفة، إلى جانب الموازنة التي تحصل عليها من الحكومة.

٩٠ مليون دولار لمشروع لحوم الاضاحي

اعتمد البنك الاسلامي للتنمية مبلغ تسعين مليون دولار لمشروع لحوم الاضاحي خلال حج هذا العام وقال رئيس البنك احمد محمد ان المصرف يعتزم الافادة من خمسمائة الف رأس من الغنم التى يذبحها الحجاج وقد ابرم المصرف عقدا مع الشركة السعودية لنقل وتجارة المواشي لاستيراد خمسمائة الف رأس من المواشي.



مع الصحافة

إعداد : تمام أحمد

وحدة المسلمين في الهند مطلب ضروري

المسلمون في الهند يتعرضون بين الحين والآخر لمجزرة أو اعتداء من قبل الأكثرية الهندوسية الحاقدة مستغلة تفرق المسلمين وتشتتهم مما يستدعي من المسلمين ان يوحدوا صفوفهم وينبذوا خلافاتهم حتى يسهل التخطيط لمواجهة الظروف والتحديات. حول هذا الموضوع كتبت مجلة (صوت الأمة) الهندية في عددها التاسع/ سبتمبر ١٩٩٣م تقول:

منذ أن هدم المتطرفون من الهنادك المسجد البابري في مدينة أيودهيا بالهند، كثر تفكير المسلمين في البحث عن الحلول التي تضمن لهم حياة الأمن والكرامة في هذه البلاد مع المحافظة على كيانهم الديني وحضارتهم وثقافتهم. وقضية البحث عن الحلول ليست جديدة نجمت اليوم، بل يسلك المسلمون – شأن غيرهم من الأمم – هذا الطريق كلما تعرضوا للمحن، ووقعوا في المآزق، نعم اشتدت رغبتهم في الظفر بالحلول هذه المرة أكثر من المرات السابقة، وذلك لعظم المصيبة التي نزلت بهم ولاشتداد البلاء الذي دهمهم. إن التأهب والاستعداد لمواجهة البلاء قبل نزوله من دأب الأمم الحية، وليت المسلمين كانوا على هذه الصفة! ولكن نحمد الله تعالى على أنهم لم يفقدوا الشعور بالخسران قبل فوات الأوان.

وفي سبيل البحث عن الحلول اتفق المسلمون، صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم علي توحيد صفوفهم في مواجهة التحديات والتهديدات المعاصرة، وأصر الجميع على نبذ الخلافات وفض المنازعات القائمة بين المسلمين، وردد كل منهم أن حالة التشتت والافتراق التي يعيشها المسلمون في الهند هي التي جرأت أعداءهم عليهم، وسولت لهم الاعتداء على مساجدهم، وغررتهم بالطعن في شريعة الإسلام وبتشويه ملامحها، حتى جاهروا بالعداء للمسلمين، وطالبوهم بالتخلي عن جميع مايميزهم عن غيرهم من سكان الهند من شعائر الإسلام والحضارة والثقافة الإسلاميتين واللغة العربية كلغة الدين والقرآن.

أمـا مجلة التضـامن الإسلامي فقـد كتبت مقـالا افتتـاحيا في عـددهـا رقم ٩ ربيع الأول سنـة ١٤١٤هـــ عقدت فيـه مقـارنة بين المسلمين وصليبيي اليـوم في المعاملـة والتسامح على ضوء مايـواجهه المسلمـــون في البـــوسنـــة والهرسك وفلسطين وكشمير وبـورما وغيرهـا من ظلم وقهر واستبداد وذل فكتبت تقول:

مـا أقسى مـايـواجـه المرء المسلم في عصرنـا الحاضر كل يوم من آلام وعينـاه تشاهـد المناظر المفـزعة لجثث الموتى من المسلمين والجرحى من المصابين والثكلى من الأمهـات ممن فقدت عـائلها أو أحـد

أبنائها أو بناتها والأطفـال والرضع وقد علا صراخهم من جراح أصاباتهم أو فقد لوالـديهم وطوابير المهـاجرين مـن كبار السن والنساء والأطفال يذرعون الأرض حفاة لا يستر أجسـادهم سوى مـلابس رثـة لا تقيهم شر البرد القـارص وأعـداد وفيرة من الأطفـــال اليتـامى يتســابق الـرهبـان والكنائس لاحتـوائهم بـاسم الإنسـانيــة لتحـويلهم إلى قســاوســة ورهبان يدينون بغير دين الإسلام..

واحسرتـاه لما يواجهـه المسلمـون في بلاد البوسنة والهرسك وفلسطين والهند وكشمير وبورمـا وغيرها من ظلـم وقهر واستبـــداد وذل. الهدف منـــه النيل من الإســلام ورسالتـه العظيمة التي غـزت الشرق والغـرب بمبـادئهـا الإنسـانيـة السـاميـة وخصـائص الإســلام العظيم التي رسمهـا دستـورنا القـويم القـرآن الكريم وسنـة رسولنا الكـريم محمد بن عبداللـه صلي الله عليـه وسلم مما جعل غير المسلمين من الـــديـانـــات الأخـرى يدينون بالإســلام عن رغبة جامحة حين أدركوا ما في هذا الدين من عدل وسماحة وخير للبشرية جمعاء.



أي اتفاق لن يوقف نهر الدم في البوسنة؟

وحول المفاوضات الجارية لتقسيم البوسنة على أساس عرقي كتبت مجلة (المجلة) في عددها رقم (٧٠٩) ١٢ – ١٨ سبتمبر ١٩٩٣م مقالا مطولا للأستاذ فهمي هويدي خلص فيه إلى القول بأن مايسمي بالتقسيم العرقي سيفتح الباب لإراقة الدماء لمدة عقدين أو ثلاثة حتى يتحقق النقاء العرقي في كل الجمهوريات الثلاث وضرب أمثلة حية على ما أفرزته الحرب من جماعات في الصف المسلم فكتبت تقول:

الكلام الذي يردده المثقفون في مجالسهم، تترجمه بعض الوحدات المقاتلة إلى موقف واضح على ساحة المواجهة، إنه في ظل التمزق الراهن، وبقاء بعض المدن تحت الحصار لاشهر طويلة نسبيا، ظهرت جماعات من المقاتلين المحليين لا سيطرة للحكومة المركزية عليها، والفرقة العاشرة المتمركزة في شمال سراييفو يقودها شاب في الثلاثينات من عمره اسمه «ساتسبو» من نماذج هذه الجماعات، التي تتصرف دون التزام بالخط السياسي المعلن، وأحيانا دخلت في مواجهة مع قوات الحكومة من جراء ذلك.

إضافة إلى هؤلاء، فهناك القوات الموجودة في منطقة الوسط،والتي حققت انجازات وانتصارات ملحوظة خلال الأشهر الأخيرة وقد بعث قادتها إلي الرئيس علي عزت يبدون اعتراضهم على مبدأ التقسيم وعلى الحصة المتواضعة التي خصصت للمسلمين في وثيقة الوسيطين الدوليين أخيرا. غير أن أخطر هذه الجماعات هي القوات الإسلامية المعروفة باسم «كرايشنك» وهي تضم حوالي عشرة آلاف من أكثر المقاتلين صلابة وجرأة، وهؤلاء هم أبناء المناطق التي جرى فيها التطهير العرقي، في الشمال الغربي، فهدمت بيوتهم واغتصبت أرضهم، ناهيك عما أصاب أهليهم من كوارث .. هؤلاء الضحايا المباشرون، الذي فقد بعضهم كل شيء، ليسوا على استعداد للقبول بما يفرضه الصرب، فضلا عن ان لديهم حسابا يريدون تصفيته وثأرا يحرك رغبة عارمة لديهم في الانتقام.

هم لايحاربون فقط دفاعا عن كرامتهم التي أهدرت وأعراضهم التي انتهكت، ولكنهم يدافعون أيضا عن هويتهم الإسلامية، بعدما ادركوا – في ضوء ماعايشوه – ان الصرب دأبوا على استئصالهم بلا رحمة، لا لشيء الا لكونهم مسلمين. فاستفزهم ذلك للدفاع عن جذورهم وهويتهم المهددة بالإفناء.

لأجل ذلك فإن أي اتفاق يوقعه الرئيس علي عزت في جنيف – في ظل الضغوط والحسابات الراهنة – سيكون بداية لمسلسل آخر من المتاعب له ولحكومته، سيكون مصدرها هذه المرة هو الصف الإسلامي ذاته . وهي متاعب تنتظره على الصعيدين السياسي، حيث يهدد حزبه «العمل الديمقراطي بالانشقاق، والعسكري خصوصا من جانب قوات «كرايشنك» الإسلامية، ذلك فضلا عن «حزب العصابات» التي يعد لها البعض لتصفية حسابهم المر مع الصرب.

التربية كلمة ذات اصطلاح شمولي يشمل قصة الحياة والأحياء لا من حيث طبيعة الوجود فحسب ولكن من جوانب أكثر أهمية هي الوجود فعلا والنمو والارتقاء، لذا فإن كلمة التربية تعد ذات طابع سحري أخاذ متى ما تم لها التأمل والبحث والاستقصاء، وإذ سبق لمجلة الوعي الإسلامي تقديم موضوعات تربوية فإن السعي إلى الأفضل يبقى هدفا ثابتا للمجلة حتى تقدم ماهو أحسن نفعا وأكثر وعيا وأقوى عاملا في ادارة مفاهيم الإسلام وقيمه التربوية، وعليه فمن خلال تلك النافذة التربوية نسعى لطرق قضايا وأبحاث في الشان التربوي بما في ذلك من متابعات وتحقيقات واهتمام بالذات بشئون المجتمع في إطار التربية كما أنه من المفيد طرح المستجدات التربوية في هذا العالم المتسارع، كل ذلك بما يخدم القارىء حرصا على بناء وتماسك المجتمع المسلم.

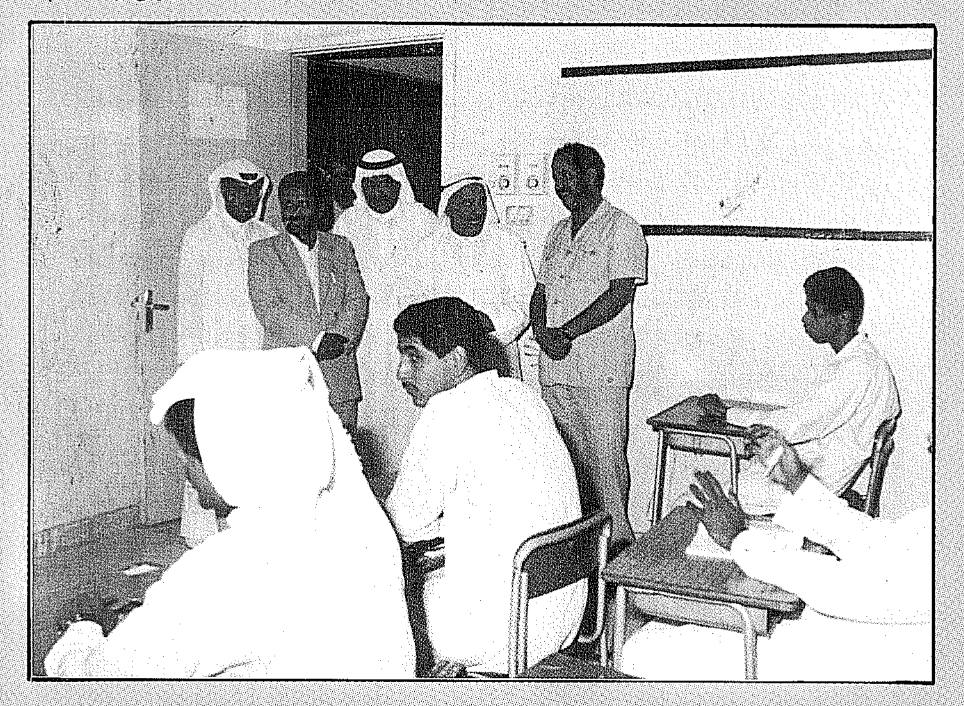
وفي هذه الحلقة يتابع الاستاذ الدكتور محمد صلاح الدين مجاور طرح خواطره التربوية معرجا على موضوع هام ألا وهو:

إعداد الفرد المسلم تربويا وماهي الأسس التي يجب مراعاتها في عملية البناء التربوي هذه..

قضايا تربوية

د/ محمد صلاح الدين علي مجاور

أولا - علاقة التكليف بالبلوغ. وهذه قضية ربما لم تشغل بال كثير من المشتغلين بالفكر الإسلامي ولم تثر اهتمامهم لأنها ليست بذات بال ولا يترتب عليها شيء له خطره من وجهة نظرهم. وقد اثارها أحد الناس يوما في صورة سؤال محدد لماذا ارتبط التكليف بالإيمان وبالعبادات ببلوغ الإنسان ذكرا كان أم أنثى؟ وبدا السؤال مهما وبدا التفكير فيه عملا عقليا ممتعا وإعمال النظر فيه شيئا مهما قد يضع بعض المهام الأساسية من وجهة نظر الإسلام في تربية الإنسان. حقيقة إن القوانين الوضعية في معظم المجتمعات وبخاصة الراقية منها تحدد سنا معينة للإنسان يتحمل عند بدئها المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية القانونية والمسؤولية السياسية وغيرها من المسؤوليات ولسنا ندري أي أساس أو قاعدة استندوا إليها في تحديد هذه السن والظاهر أنها حددت هكذا من غير أساس علمي فهو أساس اجتهادي ممن حددوها ولذلك فهي أحيانا الثامنة عشرة وأحيانا الحادية والعشرين وأحيانا يفرقون بين الولد والبنت وأحيانا لا يفرقون. فلماذا جعلت السن أساسا في هذه



القوانين لتحمل المسؤولية ولم يأخذ الإسلام بها وأخذ بمبدأ البلوغ أساسا لبدء مسؤولية الإنسان وإلزامه بالتكاليف الشرعية ومحاسبته على إيمانه أو كفره؟ هذه واحدة وأخرى لماذا اعتمد الإسلام على البلوغ في إلزام المسلم بالتكاليف مع أن علم النفس يرى أن النضج في الإنسان لا يكتمل بالبلوغ وان كان البلوغ بداية كما يرى أن الذكاء وهو أحد مظاهر النضج العقلي للإنسان لا يكتمل بهذا البلوغ فما الحكمة في أن يأخذ الإسلام البلوغ أساسا يرتكز عليه فيما يكلف الإنسان به؟ وكان الجواب أن هذا السؤال يطرح لأول مرة وهو يبرز قضية لم تثر من قبل وكأن السؤال يرمي إلى اتهام الإسلام بأنه يفرض التكليف من غير تصور لطبيعة المكلفين وأن الأسس العلمية التي يجب أن تراعى عند تكليف المكلف لم تراع فأي نضج عقلي أو جسمي أو انفعالي يكون عليه البالغ عند بلوغه حتى يكلف بهذه التكاليف، ونحمله مسؤولية مايعمل قبل أن يستوى منه العود ويشتد الظهر؟ والواقع ان الذين يقولون بهذا القول لم يدركوا الغاية التي أرادها الإسلام من وراء ربط التكليف بالبلوغ. وهي غاية ولا شك تربوية نفسية اجتماعية. وكلها تتصل بإعداد الفرد السوي وتكوينه ليكون لبنة صالحة في مجتمعه، وليكون ذلك الإنسان القادر على مواجهة الحياة ومابها من مسؤوليات ومشكلات. إن الحكم على الأمور بظواهرها لا يستقيم والتفكير السليم وبخاصة عندما يكون الحكم على أمور دينيه. ويجب أن يكون البحث في مثل هذه الأمور موضوعيا من ناحية ومن ناحية أخرى يجب أن يضع الباحث أمامه أن الأمر أمر دين وليس أمرا يخضع لوجهات النظر فهي أمور الهية إن لم يكن مثيرها من المؤمنين بها فعليه أن يراعى شعور المؤمنين بها. وإذا كانت قوانين الإنسان فيما يشرع لنفسه هي

الأصوب والأعدل وهي التي تعتمد على العملية والموضوعية، فما بالنا نرى الكثير من الخلط والاضطراب في مسيرة البشر؟ ولماذا نرى الثقوب في القوانين تكـاد تمزقها؟ ونرى القوانين في ضبط سلوك الناس يقتلها الفشل الذي تعانيه وعدم الثقة فيها والإيمان بها؟ إن الإسلام حين يشرع تجد في تشريعاته روح من يعـرف الداء ويعرف مناسبة الـدواء ويدرك فيها أن مشرعها يعرف من يشرع له طبيعة وسلوكا، عاطفة وانفعالا، عقلا وتفكيرا فهو الخالق «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» البلوغ ليس غاية النضج واستـواءه ولكنه بدايته. وهو بداية تهز الإنسـان وتنقله من عالم إلى عالم. لم تكن لديـه دوافع فصار اليوم ذا دوافع لها قوتها عليـه وتأثيرها فيه. ظهرت لـديه غدد لم تكن موجـوده ولها وظائف لم تكن من قبل ونشأ لديـه الميل الجنسي والرغبـة في إشباعه. ودوافع الجنس قـوية عنيفـة قاسيـة غـالبة قاهـرة. وكل إنسـان مربها ويـدرك عنفها ويعرف مـالها من سطـوة وسيطرة. والقـانون الوضعي سيطرة خارجية يمكن الفكاك منها متى تـوافرت فرصة الانفلات. والإسلام يرى السيطرة الـداخلية النـابعة من الداخل أقـوى وأسلم وأكثر عـونا على التنظيم الاجتماعي. ودوافع الجنس في هذه السن المبكـرة قد تدفع صـاحبها نحو العـدوان على القيم والمبادىء والأخلاق. فهي دافع ناري قد ينفجر فيه فيفجر تقاليد ويحرق عادات قد يترتب عليها آثار اجتماعية ضـارة ولهذا رأى الإسلام مع أن البلوغ بـداية نضج إلا أن مالـدى الإنسان من دوافع تحمل على إدخـاله في دائرة مـايحل ومايحرم ضبطـا لدوافعـه وانفعالاتـه وتنظيما لعواطفه وسلوكـه وتكوين مايسمى «بالضمير الديني» أي الأحساس الذي يـوجه سلوكه تلقـائيا ومن هنـا ندرك أهميـة الحلال والحرام التي شرعهـا الإسـلام في عمليـة التنظيم والضبط الاجتماعي وأهمية أن يكون زمام الإنسان والمتحكم فيه من داخله في ضوء إيمانه باللـه يملأ قلبه ويشعره بـالمراقبة الدائمة المستمـرة. فربط التكليف بالبلوغ، مقصـود به ضبط جماح الـدوافع الجديـدة وليست عمليـة الكبـح هـذه منفصلـة عن عمليـة الضبط الاجتماعي كما وأنها ليست منفصلـة عن القيم الفاضلـة والأخلاق المرغوبـة من المجتمع. وهذه كلهـا عمليات تربويـة تعمل على أن يكون سلوك المرء على أساس من فضـائل الدين وقيمه. وماجـاء به الإسلام من تكاليف لا عسر فيها على البالغ أو مشقـة فالمعتقد الإيماني سهل التنـاول يسير القول والاعتقاد والصـلاة حركـات لا تصعب على البالـغ والصيام في طاقـة البالغ مـادام صحيح البدن سليم الجسم وهكـذا بقية التكاليف فـالعطاء في الـزكاة مادام لـدى البالغ ما يدفعـه لا مشقة فيه. والحركات التي يمارسهـا الحاج مما يسهل على البـالغ القيام بها فمشقـة التكليف لا تأتي من الممارسة ولكن ربما تأتي من الحسـاب على تركها؟ وهذه قضيـة أخرى فالإحساس بالثواب عنـد العمل والعقاب عند الترك أو الإهمال هدف أساسي من أهـداف الإسلام في تربية الإنسان. ومـادام هناك تكليف فيجب أن تكون مسؤولية يتحملها المكلف ومن الطبيعي أن يثاب أو يعاقب. هذا جانب مهم في ربط التكليف بـالبلوغ وعـدم ربطه بسنٍ معينـة فالسن لا تعني نضجـا وقد يسير الإنسـان في الأرض مفسدا ويعبث فسادا فيما بين بلـوغه وما يختار من سن للمحـاسبة أو التكليف أو تطبيق القوانين. فـالنضج ليس معيار التكليف ولكن معيـاره مالدى الإنسـان من دوافع ونوازع تحتاج الى ضبط وسيطرة لا أن تترك لاندفاعاتها التي قد لا يستطيع الإنسان التحكم فيها. والعبادات من بين التكاليف طريق من طرق إعلاء الدوافع فإذا ما ارتبط الإنسان بها إيمانا

منه بأنها حق الله عليه لا جزاء على نعمة ولا اعترافا بفضل ولكن أولا وقبل كل شيء لأنه جدير بالعبادة حقيق بها فسيجد فيها متعته وراحته النفسية وسيجد فيها الملجأ والملاذ من سيطرة الدوافع وتحكمها فهو كما يجد في الرياضة البدنية فرصة لإعلاء دوافعه سيجد في العبادة من صلاة وصوم وغيرهما فرصة خصبة لأعلاء هذه الدوافع أيضا. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لبلال رضى الله عنه «أرحنا بها يابلال» يعني الصلاة وحين يقول في الزواج «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» ففي قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أهمية العبادة في إعلاء دوافع الإنسان وأنها متسرب أو قناة تنطلق إليها طاقاته فتخف حدتها عنه وتضعف سطوتها عليه فهو بالعبادة مع الله وبين يديه يستشعر معه كل معاني الفضائل والقيم ولا مجال لحديث النفس فيما تثيره الدوافع وتدعوه إليه النوازع من إشباع وارتواء. وفي بدء البلوغ تكون سيطرة الدوافع قوية لما قلنا وأمام عنفها وشدتها، قد يستسلم الإنسان لها ومن ثم كان التكليف وتحمل المسؤولية أمام الله والناس أمرا في مصلحة الإنسان نفسه وتربية له على قوة الإرادة والتحكم في دوافعه وعواطفه. وإذا كان علماء النفس يبحثون عن مسالك للشباب تستنفد طاقاتهم وتعلي دوافعهم فها هي ذي العبادات التي شرعها الإسلام. إن طاعة الله وعبادته في مساعدة الفقراء ومعاونة الضعفاء والعطاء للمحتاجين من المجالات التي قد يجدفيها البالغ فرصة لبذل الجهد والعطاء عن طواعية ورغبة مما يجعل فرصة التفكير في إشباع مايتطلبه الدافع أمرا مستبعدا فعمل الخير كالصلاة والصوم إذا ما استشعر الإنسان أنه لله استطاع بها أنه يعلي الدوافع ويتغلب على النوازع. هذه فيما أفهم من وجهة نظري إحدى غايات الإسلام من التبكير في التكليف وجعل البلوغ زمنه حتى يحقق في الفرد المسلم من البداية ما ينشده فيه من اتزان وتوازن ومايريده له من تكامل في الشخصية وانسجام في السلوك وهكذا يظهر أن الإسلام لم يشرع شيئا اعتباطا ولكن تشريعاته دائما هادفة وغاياته محددة واضحة وهل هناك أكثر وضوحا من أن الإسلام بهذا التكليف يؤدب المسلم ويربيه على المبادىء والمثل التي تجعله مقبولا اجتماعيا في الوقت نفسه مقبولا عند الله. وليس معنى هذا أن الإسلام يريد كبتا لنوازع الإنسان ودوافعه فهي من عوامل البقاء للحياة وبقاء النوع ولكنه يريد لها تنظيما بحيث يكون في الفرد نفسه توازنا واتزانا وفي المجتمع نفسه توازنا ومثلا وفضائل واتزانا كذلك وروح احترام ومودة وأمر آخر له أهميته في ربط التكليف بالبلوغ وهو أن المجتمع ينظر إلى البالغ في بدء بلوغه على أنه إنسان هامشي الانتماء لا إلى عالم الكبار ينتمي ولا إلى عالم الطفولة ينتسب فالأطفال ينظرون إليه نظرة من كبر عنهم ونما وتغيرت معالمه وضخم صوته وطر شاربه وبدا جسمه أضخم مما كان. والكبار لا تزال نظرتهم إليه النظرة إلى الطفل فهو لا يجلس مجالس الرجال ولا يعامل معاملتهم وإذا تكلم فهو الصغير الذي لا يحفل به ولا يعتد له برأي ومن ثم يبدو حائرا تتفاعل في داخله مختلف الصراعات وتتصارع فيه نوازع ودوافع وتبدو لديه انفعالات تبدو حادة عنيفة هجومية أحيانا عدوانية متطرفة أو انعزالية انطوائية تتجه به إلى الانعزال والانطواء على النفس والبعد عن الناس. وقد تتطور هذه الظواهر لديه وتشتد فتتحول أمراضا نفسيه عند بعض البالغين. هذه ولا شك حالات قد تصل بصاحبها إلى الصراع والشك في الكون والوجود والخلق والخالق، مما قد يودي به إلى

ضعف في الإيمان أو ضياع لـه. فإذا جاء الإسـلام وجعل للبلوغ وربط التكليف بـه وظيفة ذاتية في البالغ نفسه نفسية واجتماعية. وأخرى في المجتمـع نفسه، حماية للفرد وتربية له وبناء للمجتمع وتكوينا، فهـو بهذا يسهم إسهاما تربويا نفسيـا في صالح الفرد والمجتمع. ومن هنا ندرك أهميـة ما اتجه إليه الإسلام من التبكير في عملية التكليف وربطهـا بالبلوغ ففي هذه العمليـة إشعار للمكلف بألايلتفت إلى عالم الصغـار وأن يتجه بنفسه نحـو عالم الكبار فهو منذ الآن مسؤول عما يفعل أمام القـوة القادرة الخالقة لأنه الآن ينتمي إلى عالم المسؤولين وإذا كان المجتمع ينظر إليه على أنـه لم يبلغ مبلغ الكبار والقانون يعتبره قاصرا غير مسؤول عما يفعل ومعنى هذا أنه لا حسـاب ولا ثواب، فالإسلام بهذا التكليف يعتبره مسـؤولا مسؤولية الكبار مما يولد فيه إحساسـا بالذات وثقة بالنفس وشعورا بالمسؤولية الخلقية التي يعمل في ضوئهـا لإرضاء الله سبحانه. وممارسـة التكليف من صلاة وصيام إلى آخرة ينـدمج بها البالغ في عالم الكبـار من غير شك. وهذا يفـرض عليه التزامـا بسلوك يتلاءم والأخـلاق المقبولـة وكما أن التكليف مبكرا يفرض عليـه ضبطا من داخلـه للسلوك الاجتماعي، فهو كذلك يحتم عليه أن يبتعد عن عبث الصغار ويعمل جهده ليسلك ما يقربه من مجتمع الكبـار، فضلا عما يسبغـه عليـه من هدوء نفسي وراحـة تبعـد به عن عـوامل الصراع والشك فهو قد التـزم أمام ربه بما يرضيه وأدرك أن هناك إلها يطـاع فيما يأمر به وينهى عنه فلا مجال للصراع أو للشك. إن الإحساس بالمسؤولية هدف رائد عظيم في ذاته. والتربية الحديثـة من بين أهدافها تربيـة هذا الإحساس عند المواطن. والإسـلام بالتكليف المبكـر هذا أراد أن يكـون عند البـالغ هـذا الإحساس وهـذا نـوع من التربية الاجتماعيـة الأساسية. ولا شك في أن نظرة الإسـلام للبالغ وإلزامه بالتكليف فيها التقـدير كل التقدير لإنسانيـة الإنسان فما أعظم أن يـرى المرء نفسه صغيرا كـان أم كبيرا مقدرا من غيره فما بالك والتقدير هنـا من الخالق المبدع لهذا الكون كله. ومادام التقديـر آتيا من قبل الله فهو مرض للنفس مريح. وإذا كان المجتمع يؤخـر هذا التقدير، فليس معنى هذا أن المجتمع على صواب، فما أكثر ما يخطىء المجتمع. وجانب الديـن هنا أنسب للإنسان وأكرم. ثم إن هذا التكليف المبكر الذي لا تفـريق فيه بين الذكر والأنثى، يوجـه الإنسان والمجتمع نحو تغيير النظرة الاجتماعيـة الظالمة القاسية نحـو المرأة فالمرأة في نظر الإسـلام بهذا التكليف الذي تتساوى فيـه مع الرجل من البدايـة، ليست سلعة ولا تابعـة ولكنها إنسانة مسـؤولة عما تفعل كما يسأل الـرجل تماما وعليها أن تتحمل المسـؤولية أمـام الله كما يتحملهـا الرجل تماما. وتغيير النظـرة من خلال هذا التكليف نحـو المرأة عملية اجتماعية تتعلق بـالتركيبة الاجتماعية ونظام الحياة في المجتمع. فليس في الإسلام تكليف غير هادف بل إن أهدافه عند التمعن فيها متعددة متنوعـة. وعند التكليف بأمر ما لابد أن يكون هنـاك معيار يستند إليه وتـرى القوانين الـوضيعة أن تكـون السن هي المعيار وهـو معيار قـد يختلف باختـلاف المجتمعات. ويـرى الإسلام أن البلوغ هـو المعيار للتكليف وهو معيـار ثابت لأنه ظـاهرة فسيـولوجيـة لا تختلف ومن الممكن أن تطبق في أي مجتمع مـن المجتمعات على اختـلاف أصقاعها وأبعادها. والله سبحانه هو المستعان.

أصول الدبلوماسية الثقافية في الإسلام

بقلم : أ.د حسن فتح الباب

تتعدد تعريفات الدبلوماسية DIPLOMACY بتعدد المعاني التي تستعمل فيها هذه الكلمة. ويلعب التطور التاريخي دوره في هذا التعدد. وقد أجمع الباحثون على أن الكلمة في أصلها الإغريقي القديم قد استعملت بمعنى الوثيقة أو المكاتبة التي تطوى كما يطوى الخطاب أو الصحيفة ويبعث بها أصحاب السلطة بعضهم إلى بعض في علاقاتهم الرسمية، وتجعل لحاملها امتيازا معينا DIPLOMA. ثم استعملها الرومان في لغتهم اللاتينية بمعنى الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث أو السفير والمهمة الموفد بها، فكانت بمثابة جواز سفر، أو بمعنى ماينبغي على المبعوث أن يتحلى به من الأدب الجم واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد.

وتطور استعمال كلمة «دبلوماسية» اليونانية الأصل حتى أصبحت في القرن السابع عشر تعني دراسة الوثائق القديمة، واتخذت في نهاية القرن الثامن عشر المعنى المتعارف عليه منذ هذا الحين حتى الآن، وهو ممارسة الدولة سياستها الخارجية من طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية، وثمة معان أخرى متنوعة تستعمل فيها الكلمة على سبيل المجاز، إلا أن المدلول المشار إليه هو المعنى المألوف والأكثر شيوعا.

ومن تلك المعاني المتنوعة الذكاء والكياسة ومايتطوي عليه هذا المعنى من اللباقة وحسن التصرف لكسب الود والثقة، أو لاتقاء مشكلة، أو للحيلولة دون نشوب نزاع أو استعمال خلاف، أو لتحقيق غاية بعيدة بالأساليب الودية ودون استخدام العنف الذي قد يصل إلى حد الحرب. ونجد هذا المعنى واضحا في ثنايا مقولة معاوية بن أبي سفيان المشهورة «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا أرخوها شددتها، وإن شدوها أرخيتها».

فهذه المقولة تعبر عن الذكاء والحصانة والمرونة التي اشتهر بها أول خلفاء بني أمية وأدهى الحكام العرب، كما أنها تعبر من جانب آخر عن فن سياسة الحكم وإدارة شئون الدولة في علاقاتها العامة.

الوحدة والتنوع

إذا رجعنا إلى المعاني السابقة وجدناها تمثل إطارا عاما واحدا تتنوع فيه تفاصيل الصورة، فالدلالات وإن اختلفت قليلا أو كثيرا تسقى من مدلول واحد هو تنفيذ السياسة الخارجية المرسومة بالأساليب السلمية. ومن ثم أبان السير هارولد نيكلسون (SIR HAROLD NICKELLSON) الملقب بأبي الدبلوماسية أن كلمة الدبلوماسية تستخدم للدلالة علي معان شتى، فهي تارة تستخدم كمرادف للسياسة الخارجية، وتارة أخري بمعنى التفاوض، وتستخدم بوجه أخص لتعني الجهاز والأساليب التي تستخدم في هذا التفاوض وأحيانا أخرى تعني الدبلوماسية فرعا من الخدمة الخارجية التي تسمى السلك الدبلوماسي وثمة تفسير خاص ضمنته هذه الكلمة، وهو الدلالة على طبع مجرد أو موهبة، وفي أحسن معنى لها تدل على مهارة في تسيير المفاوضات الدولية، كما تتضمن في أسوأ معني لها أختل جانب من جوانب الكياسة ألا وهو الدهاء.

وانتهى نيكلسون من ذلك إلى إيثار استخدام التعريف الذي أورده معجم أكسفورد ونصه: (الدبلوماسية هي توجيه العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، والأسلوب الذي يدبر به السفراء والمبعوثون هذه العلاقات، وعمل الرجل الدبلوماسي أو فنه)(١)

ومن التعاريف الحديثة المعتمدة للدبلوماسية تعريف جاردن Garden بأنها (علم علاقات الدول ومصالح كل منها، أو فن التوفيق بين مصالح الشعوب، وبشكل أدق علم أو فن المفاوضات، وهي تهدف إلى تحقيق أمن الدول، وهدوء أحوالها، وصيانة كرامة كل منها، وإشاعة روح التفاهم فيما بينها، والحفاظ على السلم العالمي).

وتعريف أرنست ساتو Ernest Satow بأنها (تطبيق الذكاء واللباقة في إدارة العلاقات الرسمية بين الدول، وأن مهمة الدبلوماسي هي التوفيق بين مصالح بلاده ومصالح الدولة المعتمدة لديها، والذود عن شرف الوطن والسهر على رفع شأنه)(٢).

ويعرف الدكتور سموحي فوق العادة الدبلوماسية بأنها (مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي أي الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، مع بيان مدى حقوقهم وواجباتهم وامتيازاتهم وشروط ممارستهم مهامهم الرسمية والأصول التي يترتب عليهم اتباعها لتطبيق أحكام القانون الدولي ومبادئه، والتوفيق بين مصالح الدول المتباينة كما هي، وفن إجراء المفاوضات السياسة في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الاتفاقات والمعاهدات). ومن ثم يستبعد المؤلف من التعريف الجانب الثاني للدبلوماسية وهو صفات القائم بها ومقوماته، ولكنه يضمن هذا الجانب في تحديده للمعاني التي تتضمنها كلمة دبلوماسية، إذ يرى أن من بينها (المزايا التي يتحلى بها الإنسان الفطن في علاقاته الاجتماعية ولحل المنازعات الطارئة أو القضايا المستعصية: كاللباقة، والمهارة والحنكة والحكمة، والدراية، والمرونة، والنعومة، وحسن التصرف والتحفظ مع الكتمان، والبراعة في تحقيق الأهداف، دون إثارة حفيظة أحد أو نقمته. ويقال عن مثل هذا الشخص إنه يتصرف بدبلوماسية).

الدبلوماسية والسفارة

من المعلوم أن سفارة كلمة عربية أصيلة(٣)، وذلك على خلاف كلمة دبلوماسية فهي من الكلمات المستوردة التي لم تدخل في لغتنا إلا حديثا، ذلك لأن العرب في الجاهلية والإسلام لم يكونوا في حاجة إليها، بالنظر إلي وجود لفظة عربية الأصل تعطي مدلولها وتغني عنها وهي سفارة. وهكذا نري أن اللفظين مترادفان أو يستعملان بمعنى واحد، فيقال الدبلوماسية والدبلوماسي كما يقال السفارة والسفير.

وقد استقر الاصطلاح في العصر الحديث على أن السفير هو المبعوث الذي توفده دولة في مهمة من المهام، فيسعي إلى إنجازها عن طريق المباحثات وغيرها من أساليب الدبلوماسية مع ممثلي الدولة المرسل لديها، أو هو – بتعبير آخر – وكيل حكومته المرخص له بتمثيلها لدى دولة أخرى في جميع المفاوضات الهامة. فالسفير في عرف علم السياسة هو ذلك الشخص الموفد رسميا من جماعة سياسية إلى أخرى ليكون نائبا عنها أو وكيلا لها.

وقد تكون مهمة السفير مقصورة على نقل رسالة شخصية أو خطاب شفهي أو مذكرة إلى رئيس دولة أو أحد أصحاب السلطة فيها. ويخلع القانون الدبلوماسي والعرف الدولي على السفراء والمبعوثين حصانات وإعفاءات معينة تعرف بالحقوق والامتيازات والحصانات الدبلوماسية التي نشأت بتواتر هذا العرف. ويتوقف نجاح السفير في مهمته على نوع العلاقات القائمة بين الطرفين وما يتصف به من كياسة رأي ورجاجة عقل، ومن صبر وأناة وروية في معالجة الأمور ومايقتضيه ذلك من لين وحزم وأخذ وعطاء كما يتجلى ذلك في مقولة الخليفة معاوية المشار إليها آنفا.

السفارات قبل الإسلام

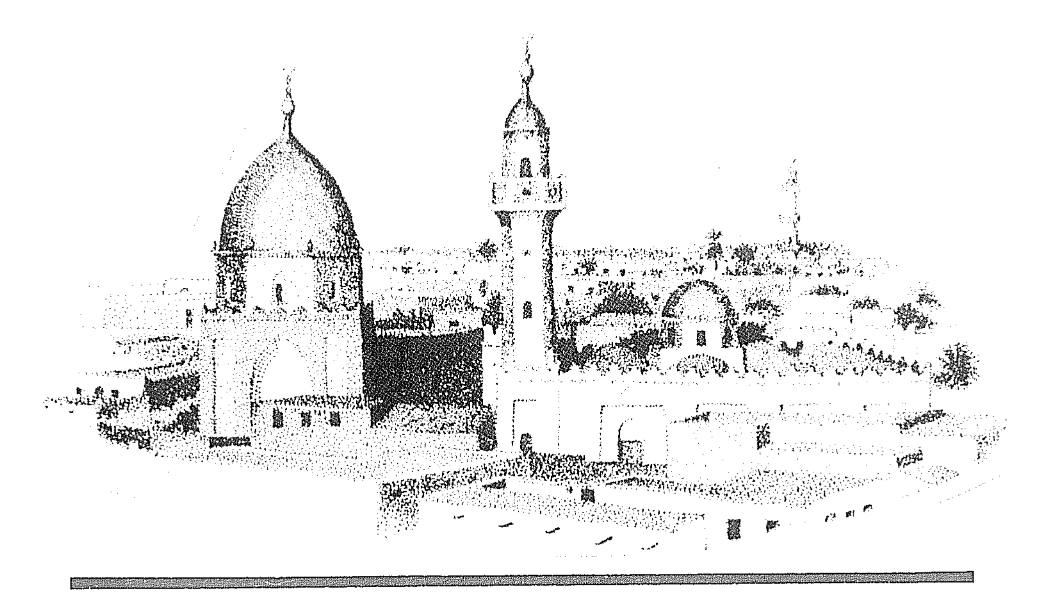
كان المعنى الحديث لكلمة سفارة معروفا في تاريخ العرب والإسلام، فكانت السفارة في الجاهلية من المناصب التي دانت لقبيلة قريش وبطونها، وكان معناها عندهم أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وأرادوا المخابرة بشأن الصلح بعثوا سفيرا، وإن نافرهم حي لمفاخرة جعلوا السفير مفاخرا ورضوا به. وفي طليعة السفراء المصلحين في عصر ما قبل الإسلام هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين توسطا بين قبيلتي عبس وذبيان في الحرب الناشبة بينهما فعصماهما من الحرب وآلامها(٤). وكانت كلمة سفارة وظيفة معروفة في مدينة مكة، إذ كانت تتولى تمثيل القبيلة في شئون الصلح بعد القتال، أو التفاوض مع سائر القبائل، وكانت هذه الوظيفة لبني عدي وهم من بطون قريش، وقد تولاها قبل الإسلام عمر بن الخطاب وكان من أغراض السفارة أيضا إرسال القبائل الوفود لتقديم التهاني، أو التعازي، أو للتشاور أو التفاوض أو التحالف على النجدة (أي المساعدة المتبادلة)، أو ترتيب حفلات زواج الملوك ورؤساء القبائل، وحمل الهدايا النفيسة.(٥)

ومن ثم عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة، فاستخدموه في تنظيم العلاقات بين بعضهم وبعض، وبينهم وبين غيرهم. وكان من الطبيعي أن تكثر الوفادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الإسلام، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل منها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة، ولتبادل المنافع مع جيرانهم،

وخاصة في الشرق حيث كانت مملكة المناذرة على أرض الحيرة والموالية للفرس، وفي الشمال حيث كانت مملكة الغساسنة الموالية للروم. فضلا عن حاجتهم إلى كسب الأنصار في المعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل، أو لوقف هذه المعارك. وهكذا أدت السفارات أغراضها لديهم سواء في السلم أو في أثناء الحرب، بل في أعقاب الحرب أيضا حيث تدعو الحاجة إلى تسوية مانجم عنها من مشكلات مثل تبادل الأسرى، ودفع الدّيات، وتنظيم شئون الهدنة أو السلم والأمن، وغير ذلك من الأمور.

وساعد عل ازدهار السفارات، ودخول العرب في علاقات ودية وروابط عهدية مع جيرانهم، وإقامتهم أنظمة وتقاليد راسخة في علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية، ساعد عل ذلك الموقع الحيوي (الاستراتيجي) لشبه الجزيرة العربية والناشىء عن متاخمتها مراكز الحضارة القديمة في العالم، وهي الحضارة الآشورية في العراق، والحضارة الفينيقية في الشام، والحضارة الفارسية في بلاد الفرس، وقرب الجزيرة من الحضارة الفرعونية في مصر. وكانت أكثر الدول صلة بالعرب دولتي الفرس والروم (البيزنطيين) وهما أكبر قوتين سياسيتين في العالم في ذلك الحين. فتوالت السفارات السياسة بين حكام هاتين الدولتين وبين القبائل العربية المقيمة على الحدود لعقد المحالفات والاتفاقات المختلفة.

ولقد كانت شبه الجزيرة العربية معبرا وملتقي للقوافل التجارية التي كانت تتخذ عدة طرق يبرز بينها طريقان أساسيان. وأولهما الطريق الشرقي وهو يتاخم الخليج العربي، ويتاخم دجلة، كما يقتحم بادية الشام إلى فلسطين، والثاني الطريق الغربي ويتاخم البحر الأحمر. وعن هذين الطريقين كانت تنتقل مصنوعات الغرب إلى الشرق، ومتاجر الشرق إلى الغرب. وقد اقتضت هذه التجارة الدخول في محادثات لعقد الاتفاقات بين تلك الجماعات البشرية بعضها وبعض، وأتاح موقع الجزيرة لسكانها مكانة تجارية ممتازة وروابط حميدة في العالم المعروف إذ ذاك. وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم إلى الملوك ووفاداتهم



ومفاوضاتهم، بل لقد قدمت إليهم بعثات من البلاد الأخرى تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم.

وإلى جانب العلاقات التجارية الخارجية بين العرب وبين البلدان المجاورة كانت ثمة علاقات مماثلة بين القوى السياسية داخل الجزيرة العربية. فكان هنالك شريان تجاري يصل ما بين اليمن جنوبا ومكة شمالا. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذه الحركة التجارية النشطة بين مكة والشام شمالا وبينها وبين اليمن جنوبا، وذلك بالإشارة إلى رحلة الشتاء والصيف. ومن الطبيعي أن هذه الحركة كانت تتطلب اتصالات واتفاقات دبلوماسية بين القبائل بعضها وبعض، وبين الممالك والبلاد الأخرى، في سبيل توطيد العلاقات التجارية.

ومما يسر هذه الاتصالات ودعمها على مختلف أنواعها أن بلاد الشام شمالا والجزيرة العربية جنوبا كانتا تضمان أعظم المقدسات الدينية. فثمة بيت المقدس في مدينة القدس، والكعبة بيت الله الحرام في مكة. فكانت الجماعات السياسية داخل الجزيرة وخارجها تغتنم حلول مواسم الزيارة والحج لعقد اللقاءات وإبرام الاتفاقات والمصالحات والمحالفات. وعرف من سفارات الجاهلية سفارة عبدالمطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبرهة ملك الأحباش، وهو في طريقه إلى مكة غازيا، مفاوضا إياه على رد الإبل التي استولت عليها طلائع جيوش الحبشة.

ووجد منقوشا على «سد مأرب» مايفيد قدوم سفارات التهنئة على أبرهة من شتى الأمصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية، إثر انتصاره على الحميريين وتأسيسه أول دولة مسيحية باليمن، وذلك مايلي:

«وجاءت إليهم سفارة النجاشي (ملك الحبشة) وسفارة الروم، وسفارة ملك فارس، ومبعوث المنذر (ملك الحيرة)، ومبعوث من قبل الحارث بن جبلة، ومبعوث أبي خير بن جبلة، جميعهم طلبوا مودتنا بقوة من لدن الرحمن».(٦)

ولقد كان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم آخر سفراء قريش كما نوهنا من قبل وجاء الإسلام.

كان بزوغ فجر الإسلام نقطة تحول في تاريخ الدبلوماسية العربية، فبه طرأ تغيير جذري في ميدان السفارات، شأنه في ذلك شأن سائر الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية، فأصبح أفسح مما كان عليه في الجاهلية وأهم من مجرد العلاقات التجارية المرتهنة بظروفها. وأصبحت الدبلوماسية منهجاً ذا قواعد ونظم محددة تترسمها الدولة الإسلامية في تسيير علاقاتها بغيرها من الدول. ونشأ هذا النظام وذلك التطور في الأغراض وفي الأساليب تبعا لنشأة الدعوة الإسلامية وتطورها.

فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ النبي عليه السلام من السفارات وسيلة لنشر دعوته، وسبيلا إلى تأليف القلوب، ودستورا في علاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الأمم من الشعوب الأخرى.

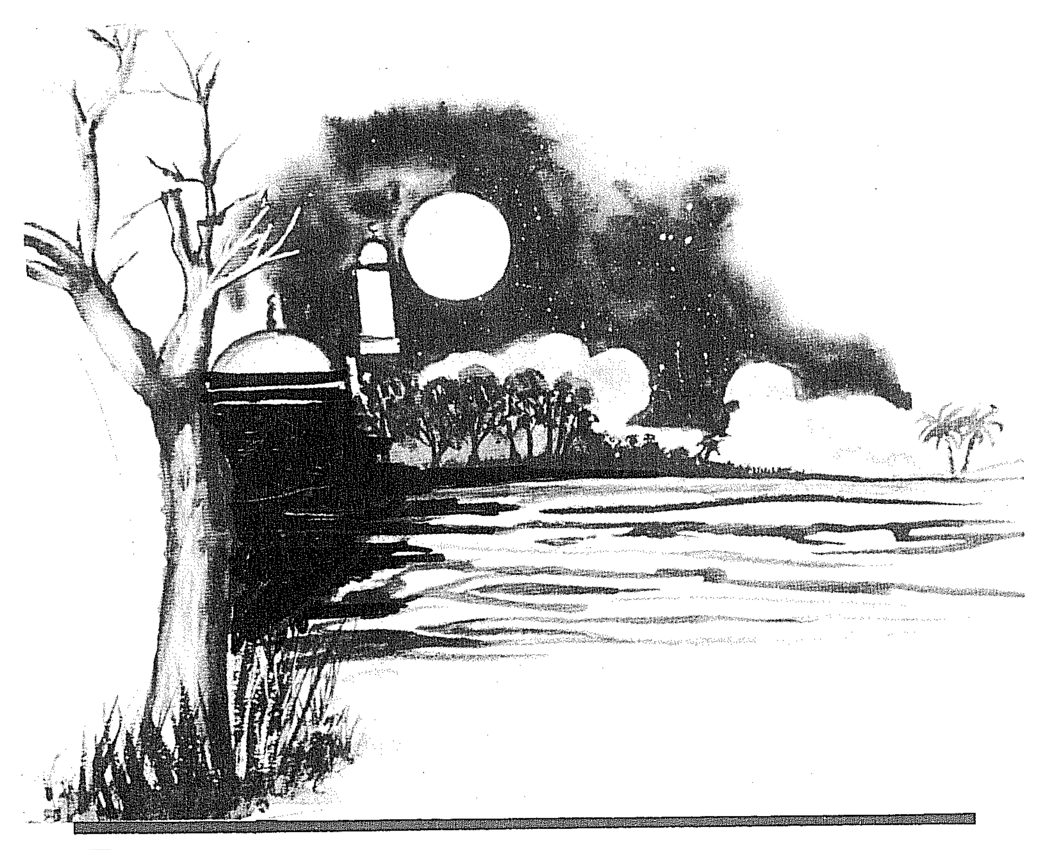
فكان صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للسفراء المسلمين، وهو مؤسس نظام السفارات وواضع أصولها الثابت وقواعدها المحددة ومنهاجها القويم الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل بناء الدولة الإسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها إنه رسول السماء إلى

الأرض، وهو المؤهل بالنبـوة وبالتنشئة ليكون الإمـام والحكم والمصلح، في واقعة اختياره قبل البعثة لفض النـزاع الذي كاد ينشـب بين قبائل قريش حـول الأحقية في حمل وتثبيت الحجـر الأسود بـالكعبـة مـايغني عن كل تفصيل، إذ دل الحل الـذي ارتآه ووفق بـه بين المتنـافسين على رجـاحة العقل وسعـة الأفق وهما الصفتـان اللتـان ينبغي أن يتحلى بهما السفراء والدبلوماسيون.

إن هاتين الصفتين وسائر الصفات والمناقب التي يمتاز بها رجال الدبلوماسية الأكفاء نضح من معين المبادىء الإسـلامية في أصولها الحقـة.. ويكفي أن نتذكر الآيات الكـريمة ونحن في سياق تأصيل الدبلوماسية في الإسلام:

﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ الحجرات/ ١٣

﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمـة والموعظة الحسنة. وجـادلهم بالتي هي أحسن**﴾. النحل/ ١٢٥ ﴿**ولاتجادلـوا أهل الكتـاب إلا بـالتي هي أحسن إلا الـذين ظلمـوا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينـا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾ العنكبوت/ ٤٧.



﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة. ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فصلت / ٣٤
﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ آل عمران / ٣

وتتجلى الدبلوماسية الإسلامية في عصر الرسول عليه السلام فيما سطر من كتب وأوفد من بعوث إلى القبائل العربية وكل ملوك الدول المجاورة ورؤسائها لدعوتهم إلى الدخول في دين الله الحق، كسفرائه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة، وكسرى ملك فارس، والمقوقس عظيم القبط في مصر، وكانت الكتب التي يحملونها مصدرة بعبارة (سلام علي من اتبع الهدى).(٧)

وسار الخلفاء بعد وفاة النبي عليه السلام على خطاه، إذ كانوا يرسلون الكتب والبعثات الدبلوماسية التي تولت في العصور اللاحقة تحقيق أغراض الدبلوماسية المتعددة، مثل تبادل السفارات كوسيلة لتوثيق الصلات التجارية، أو تبادل العطايا، وفض المنازعات، وعقد المعاهدات، أو تبليغ الإنذار قبل بدء القتال إذا لم يجنح الطرف الآخر إلى السلم، أو تسوية القضايا المتعلقة بإنهاء القتال كوضع شروط الهدنة أو الصلح، وتبادل الأسري أو تحذيرهم بعد دفع فديتهم.

أصول السفارات الثقافية في الدعوة الإسلامية

من أهم الأغراض التي استحدثت في الدبلوماسية الإسلامية السفارات الثقافية، بيد أن لها أصولا ثابتة في تاريخ الدعوة وتشكل هذه الأصول البذرة الأولى لشجرة هذه السفارات بعد سفارة مصعب بن عمير بالمدينة التي بدأ نموها في عهد الأمويين في دمشق، ثم ازدهرت في عهد العباسيين في بغداد ودولة الأمويين في الأندلس. ونجد أصول الدبلوماسية الثقافية في صميم المبادىء التي نزل بها القرآن ودعمتها الأحاديث النبوية. فالسفارات التي استهدفت إنشاء أو دعم الروابط الثقافية بين الدول الإسلامية وغيرها في مختلف العصور إنما هي نبت دولة تتخذ من العلم دعامة للحياة بل ركنا أساسيا من أركان الدولة وتتخذ من الثقافة مقوما جوهريا من مقومات المجتمع، ومن الدبلوماسية وسيلة لإقرار السلام ونشر المعرفة.

ذلك أن الخلفاء والولاة قد تشربوا روح الرسالة وأدركوا الدور الضخم الذي يؤديه العلم في بناء الفرد، وهو وحدة الأسرة التي تشكل خلية المجتمع، وأدركوا مايفتحه نشر الثقافة من آفاق فسيحة نحو مستقبل كريم للإنسا، ومايفجره من طاقات بناءة في الأفراد والجماعات ففتحوا المغالق والسدود التي كانت تقف حائلا في سبيل العلم، ومهدوا له الطريق ليتسلل إلي كل عقل كي يستقبل الدعوة الإسلامية بوعي عميق. وكان لهم في رسول الله أسوة حسنة. ويكفي أن نذكر في هذا المقام ماعرضه على أسرى المشركين في غزوة بدر من إطلاق سراح من يفتدي منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين. ففي الحق أنها أشبه بفدية النفس بالنفس كما تقضي قواعد الفداء التي شرعها الإسلام. فالجهل عدو النفس البشرية وملقيها في ركام العدم. ولكي تبني دولة، عليك أن تحرر النفوس من عبودية

الجهالة وتضيء بصيرتها بنور المعرفة فتبعثها من الموت إلى الحياة.

ولقد كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في سبيل الإسلام ثورة من أجل العلم والمعرفة بوحي من آيات الله البينات. فلا غرو أن يمجد الإسلام العلم والعلماء، وأن يحث على التماس الحكمة من مصادرها بشتى الوسائل، وأن يزن قيمة المرء بعمله ورجاحة فكره، فيجعل العلماء في المرتبة الأولى بين أقوامهم ويعدهم ورثة الأنبياء. قال تعالى:

﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ الزمر/ ٩

﴿**وقل رب زدني علما**﴾ طه ١١٤

﴿**ومايعقلها إلا العالمون**﴾ العنكبوت/ ٤٣

﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فاطر/ ٢٨

﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ التوبة/ ١٢٢

بل إن أولى السور القرآنية المنزلة حثت على العلم:

﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم**﴾ العلق/ ٢

وأقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم : ﴿**والقلم ومايسطرون**﴾ القلم / ١

وطلب العلم بمثابة الفريضة في تعاليم الرسول التي حملها من بعده أئمة المسلمين. ففي الحديث الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم). وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له﴾. وفي الحديث أيضاً: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

والعلم في الإسلام يشمل علوم الدين وعلوم الدنيا، ولا قيود أو حدود له إلا قيد المشروعية الدينية والأخلاقية. وفي عصر الخلفاء الراشدين ظل نشر العلم سبيلا إلى نشر الدعوة في آفاق الأرض. وسببا لتمكين الدولة الإسلامية الناشئة. وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تفقهوا قبل أن تسودوا) وكان الخلفاء وسائر الصحابة هم مصابيح الهدى كما وصفهم الرسول عليه السلام، وهم علماء المسلمين الذين تلتمس لديهم الحكمة – وهي الغاية العليا للعلم – وتبتغي المعرفة.

ولقد ازدهر الإسلام في العصور التي ساد فيها العلم والعلماء، وأصابه الوهن واضمحلت دولته حينما أدخلت فيه البدع والخرافات من الإسرائيليات وغيرها. ذلك لأنه دين علم ورسالة حضارة وتقدم. ولا يقوم الإيمان الصحيح إلا على أساس العلم المتين «فالدين والعلم – كما يقول الفيلسوف هكسلي – توأمان متلاصقان فصلهما يؤدي إلى موتهما. فإن العلم ينمو متى كان دينيا، والدين يثبت متى كان علميا). ويقول العلامة هربت سبنسر بحق: «إن العلم عدو الأوهام المتداولة بين الناس باسم الدين، ولكنه ليس بعدو للدين الحق الذين كثيرا ما تحاول هذه الأوهام ستره عن الأبصار». ويصدق الفيلسوف بيكون في قوله: «إن القليل من العلم يبعد عن الله، والكثير يقرب منه».

ولعل المسلمين الأوائل بالبحث العلمي

في ضوء هذه المبادىء والأسس التي قام عليها الإسلام وشيدت دولته الأولى في المدينة

المنورة ثم في مكة ورفرف علمها في الآفاق مبشرا بحضارة جديدة ومرسيا قواعدها الصلبة، تغلغلت في نفوس المسلمين روح النـزعة العلمية وروح البحث عن حقائق الطبيعـة والكون والإنسان ويروي المؤلفون القدامى وقائع كثيرة تـدل على ولع أسلافنا بالسعي في مناكب الأرض لاجتلاء نـواميس الوجـود والنهل من ينـابيع المعرفـة مهما بعدت المسافـة وشقت الطريق في عالم مترامي الأطراف لم تكن تربطه وسائل المواصلات ولم تتح له سبل المعرفة التي نشهـدهـا في عالم اليـوم بعـد التطـور المذهل الـذي حققته ثـورة الاتصـال في عصر التكنولوجيا والألكترونيات وغزو الفضاء.

ولقد يسر من مشقة ارتياد أرجـاء الأرض في سبيل الكشوف العلمية في العصور الأولى للدولة الإسلامية أن العربي بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية جواب آفاق يركب الصعب من الأمور في سبيل تحقيق أحـلامه وأهدافـه، فهو شغوف بالأسفـار البعيدة والبحث عن المجهول. وقد وجه الإسلام هذه الطاقة الكامنة في نفس العربي إلى الحث على انتجاع موارد المعرفة في مظـانها، التماسا لكل طريف ومستحدث في العلـوم والآداب والفلسفات والفنون والصنائع.

وقد تعمقـت أصول الديـن الحنيف والوعي بـرسالتـه الإنسانيـة في وجدان المسلمين وعقولهم حتى جد روادهم من الفقهاء والعلماء والفـلاسفة في طلب العلم وتحصيله من كل فج عميق. وكان البحث العلمي في سبيل تفسير القـرآن أكبر غاية يتلمسهـا المسلم في دنياه ويأمل بها المثوبة في أخراه. ونستطيع في ضوء هذا الفهم أن نتبين مصداق ذلك في قول أبي الدرداء:

«لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجـد أحدا يفتحها عليّ إلا رجلا ببرك الغماد (موضع بأقصى اليمن كان مثلا في البعد وصعوبة الوصول إليه) لرحلت إليه».

ومن أجل هـذا الهدف النبيل الذي يبتغيـه طـالب العلم والبـاحث عن الحقيقة يقـول الشعبي: «لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع».

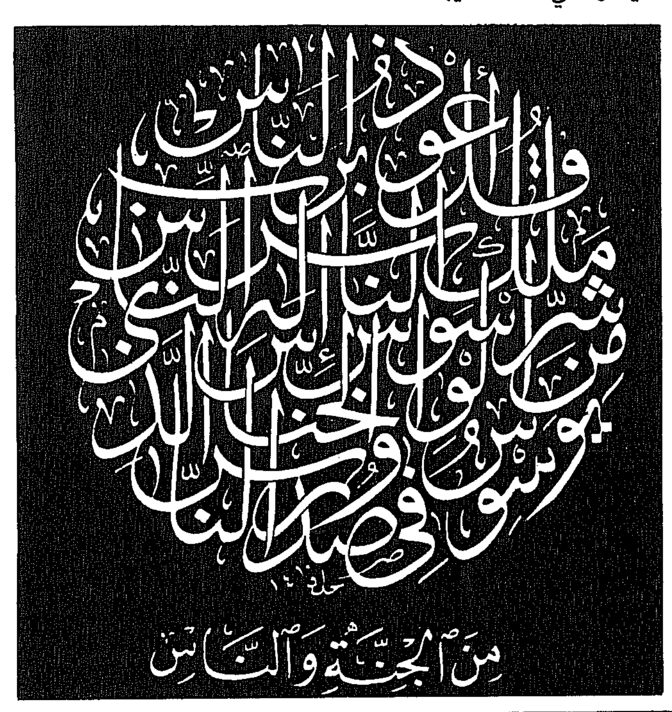
السفارات الثقافية سبيل للإخوة البشرية

حين يجعل الإسلام طلب العلم في مـرتبة الفرائض، ويعلي من منـزلة العلماء، ويجعل من بيوت الله مدارس لتلقي المعرفـة، ويحرص على نشدان العلم والثقافة مهما بعد السبيل وشقت الرحلة، فهو يؤكد بذلك دور الثقـافة في تعميق وعي الفرد والجماعة بشئون الحياة والعقيدة، وخلق مجتمع تتحقق لأبنـائه العزة والرفاهيـة. وهو يرمي بذلك أيضـا إلى هدف أكبر، هو تحطيم أسوار العزلة والفرقة التي تفصل بين الناس وتجعلهم شيعا وأحزابا وهو الدين الذي نزل فجعل النـاس شعوباً وقبائل ليتعارفوا. والطـريق إلى ذلك هو نشر الثقافة المشتركـة وتبادل الفكـر بين النـاس جميعا. فـالمسلم في سعيـه إلي كشف السنن الكونيـة وكوامن النفس البشرية يرود مناطق جديدة. ويتعرف على بلاد بعيدة، ويختلط بأشخاص وزمر من النـاس كانت تحول بينه وبينهم سدود وحـواجز شتى . فيتم بذلك لقـاء فكري خالص لوجه الحقيقة صادر عن أكرم حوافز الإنسان وهي التعاون والتآخي لمعرفة خبايا

الطبيعة وحقائق المجهول.

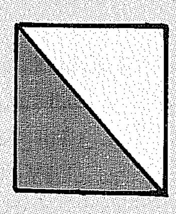
ولا ريب أن هـذا اللقـاء الفكـرى يقـرب بين الطبـائع المتنـافـرة ويـؤلف بين المذاهب المتناقضة، ويسفر عن نتائج إيجابية للعمل المشترك في سبيل صالح البشرية. ومن ثم كان التبادل الثقـافي نابعا من مبادىء الإسـلام التي تدعو إلى انتشار النـاس في الأرض لتبادل المنافع وتحقيق الأغراض المشتركة. وقد قال الله تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾ الملك/ ١٦. ﴿**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**﴾. النساء/ ١٠١

فالسفارة الثقافية إذن تنبع من صميم الدعوة الإسلامية وجوهر رسالتها، لأنها دعوة إلى تأكيد الإيمان بوحدانية الله الخلاق العظيم وغايته من الخلق. والاقتناع بوحدة العلم عن طريق المسـاواة بين البشر، وسيادة الحق والعدل والحريـة والقانون. والتبـادل الثقافي عن طـريق التواصل الـدبلـوماسي بين الـدول في مقدمـة الرسـائل التي تـوثق العلاقـات بين الجماعـات البشرية وأشخـاص القـانون الـدولي العـام، وترفـع بينها الحواجـز، وتفض المنـازعات وتـدعم السلام ذلك أن تبـادل المنافع الماديـة كالتجـارة والمعنويـة كالأفكـار، والمشاركة في الانتفـاع بالتراث المعرفي الإنساني يقتلعان بذور الشك وعـدم الثقة، ويمهدان الدروب نحو التعاون والتضامن في ظل الأمن الدولي والسلام العالمي والتعايش بين أعضاء الأسرة الـدوليـة، سـواء تلك التي تتفق في نظمهـا الاجتماعيـة والعقـائديـة والسيـاسيـة والاقتصادية أو التي تختلف فيها.



أسباب خوف الغرب من الإسلام

في تصور المستشرق الفرنسي «جاك بيرك»



بقلم د :
محمد السيد
احمد الدسوقي

جاك بيرك هو أحد أبرز المستشرقين الفرنسيين والغربيين الذين لا تذكر أسماؤهم إلا مسبوقة بكل مظاهر الحفاوة والاحترام سواء من جانب الأكاديميين أو العرب المنصفين على حد سواء، والرجل أفنى من عمره أكثر من نصف قرن باحثا ومنقبا في تاريخ الفكر العربي قديمه وحديثه ووضع لنا قائمة من المؤلفات التي تعتبر بحق حجر الزاوية لكل دارس يريد أن يلج - باطمئنان - بحر الثقافة العربية، ووضع جاك بيرك الكثير من المؤلفات منها «الغرب من الأمس الى الغد» والعرب و«الشرق ثانيا» و«الإسلام أمام التحدي» و«المغرب بين حربين» ومصر «الإمبريالية والثورة» و«المغرب التاريخ والمجتمع» و«من الفرات الى الأطلسي» ومن أشهر مؤلفاته وأحدثها مؤلفه «إعادة قراءة القرآن».

هكذا قدم الدكتور سعيد اللاوندي «جاك بيرك» في حواره الذي نشرته الأهرام القاهرية في الصفحة الخامسة بتاريخ ٢٢/٤/١٩٩٣م. وكان الحوار حول التطرف والأصولية والإسلام.

وفي هذا الحوار ذكر الدكتور سعيد اللاوندي أسباب خوف الغرب من الإسلام في تصور جاك بيرك بقوله «ثم يلخص جاك بيرك شروحاته فيقول: خوف الغرب من الإسلام يأتي من جوانب ثلاثة:

الأول: أن العرب والمسلمين هم الأكثر قربا من حيث الجوار الجغرافي.

الثاني: أنهم الأكثر شبها من حيث الثقافة.

الثالث: أنهم الأكثر عداوة بسبب ذكريات الماضي الاستعماري، ولم يفند الرجل هذه الأسباب ويوضحها وانتقل بعد ذلك الحوار إلى بقية الحديث وأحسب أننا يجب ان نناقش مستشرقا كبيرا مثل جاك بيرك فيما ذهب إليه، فهل حقا سبب

معاداة الغرب لـلإسلام تتمثل أسبابها في الأسباب الثلاثة السالفة الذكر؟

اذن فلنناقش هـذه الأسباب كـلا على حدة:

١ ـ خوف الغرب من الإسلام سببه أن العرب والمسلمين هم الأكثر قربا من حيث الجوار الجغرافي. والحقيقة أن هذا الادعاء ليس له نصيب من الصحة، فالمسألة لا علاقة لها بالقرب أو البعد الجغرافي وجاك بيرك يعلم والغـرب كلـه يعلم أن العـالم أصبح بفعل التكنولوجيا المتطورة قـرية صغيرة جدا والأقمار الصناعية والقـوى الخارقة لم تعد تحفل بالظواهر الجغرافية في عداوتها وفي حروبها، ولذا فالادعاء بأن الغـرب يخاف من الإسلام سببه الجوار الجغرافي ليس صحيحا وإلا لماذا لا تخاف الأجناس الأخـري في قـارة آسيـا والأمريكتين وفي أوروبا وهم متقـاربون جغرافيا وهم ليسوا على ديانة واحدة بل ديانات متعـددة، بل إن هذه الأمم تحاول أن تستغل الجوار الجغـرافي في اتحادهـا وتكاملها.

«جـاك بيرك» يعلم الإجـابـة عن هـذا السـؤال التـالي: هل عـاشت الـدول غير المسلمة في جـوار غير طبيعي مع الإسلام في القرون الأولى، هو يعلم أن الإسلام أقام علاقات طيبة مع جيرانه وعرف بسماحته واحترامه لعلاقات الجوار، وهو ـ أي جاك بيرك ـ يعلم أن التـاريخ لم يشهـد ان المسلمين اغاروا مـرة واحدة على جيرانهم والـرسول الكـريم صلى الله عليه وسلم يضرب المثل الأعلى في ذلـك فحـافظ على جيرة جهينـة و«بني ضمار» و«عقـار» وعقـد صلحـا بين الأوس والخزرج ومع اليهود على أساس حسن الجوار (١)

وتجاور المسلمـون الأوائل مـع أهل النوبة المحتفظين باستقلالهم قرونا دونما أية تحطيم للجيرة، كـذا أهل أرمينية كتب لهم معـاوية عهـدا أقـر فيـه احترام جيرتهم(٢).

وتـربى المسلمـون على هذه المبـاديء وحافظـوا عليها، وعلى ذلك فادعـاء «جاك بيرك» السابق أوقن أنـه يعلم أنه سبب لا تقـره تكنـولوجيـا العصر المتقـدمـة التي لاتحتفل بـالقـرب أو البعـد الجغـرافي في علاقات الأمم ولا الأديان ودعـونا نناقش السبب الثـالث قبـل الثـاني الـذي يخيف الغرب من الإسلام وهو أن المسلمين أكثر عـداوة بسبب ذكـريـات الماضي الاستعماري.

بـدايـة نعترض على «جـاك بيرك» بل ونرفض تعبيره «الأكثر عداوة» وإلصاقه بالمسلمين، «جاك بيرك» يعلم أن السماحة والعفو والمحبة ركائز واضحـة وأساسية في طبيعـة الـدين الإسـلامي، ولم يسجل التاريخ على المسلمين العـداوة مع غيرهم، إلا من أقلام جفت ضمائرهـا ومن عقول أحاطها الحقد والحمق.

إن المسلمين تـربـوا على العفـو والسماحـة، فليس الانتقـام من خلقهم وشيمتهم يـاسيد «جـاك بيرك» وأنت من العالمين من الغرب أن الإسلام علم أنصاره أن يتحلوا بالصبر والحلم والعفو فإن ذلك من ركائز خصال المسلمين، وقد مدح الله الحليم في كتابه حيث يقول: **﴿ولمن صبر وغفر﴾** الشورى/٤٣ يعني من صبر على الظلم وتجاوز عن ظالمه وعفـا عنه **﴿فان ذلك لمن عـزم الأمـور﴾** الشـورى/٤٣ يعني من حقائق الأمور التي يثاب فاعلها، ويقول سبحـانه أيضـا **﴿وجزاء سيئة**

سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إن الله لا يحب الظالمين﴾ الشورى/ ٤٠.

فاطمئن ياسيد «جاك» إن الانتقام والظلم هما شيم الغرب، إن الحقد وعدم العفو شيم الغرب وليست شيم الإسلام، فلا تخف من المسلمين من ظلم استعماري وقع عليهم لأن شيم الكبار العفو والسماحة، ومع ذلك ياسيد «جاك» أنت تعلم والغرب يعلم أنه يسعى بكل الجهود لأن يتناسى المسلمون دينهم ويبتعدوا عنه، بل ينفق الغرب بلايين الدولارات في هذا الشأن، ففي جمهورية ألبانيا المسلمة على سبيل المثال تحاول الجمعيات التبشيرية الغربية وسط أجواء اقتصادية سيئة ان تشتري كل طفل يجري تنصيره بحوالي ١٠٠ دولار للطفل الواحد(٣) وصدق الحق سبحانه وتعالى حين قرر ذلك في قوله: **﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾**البقرة/ ١٠٩

أيها السيد «جاك بيرك»: قل للغرب إن المسلمين بدينهم الإسلامي لن يستذكروا أيام الاستعمار الغربي الغاشم لأن الإسلام ربى أهله على التعايش السلمي، والتاريخ يشهد والغرب يشهد أيضا أن المسلمين عاش معهم أهل ديانات أخرى كاليهود والنصارى والمجوس والسلام بين واضح بينهم، واذا كانت الشعوب - كما تعلم — قد أقرت خمسة مبادىء للتعايش السلمي فيما بينها في العصر الحديث تتمثل في: **عدم الاعتداء، تجنب التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى، الاحترام المتبادل للسيادة والاستقلال، مبدأ المساواة والنفع المتبادل، المعايشة فيما بينها في سلام.**

ومع ذلك «فقد كثر الاعتراض على تلك المبادىء السابقة لسلبيتها ولغموض فكرتها، وخاصة في المعايشة فيما بينها بعكس الحال بالنسبة لمبادىء الإسلام في التعايش السلمي(٤).

لقد سبق الإسلام أيها المستشرق - جاك بيرك - مبدأ التعايش السلمي مثبتا ان الدين الإسلامي والمسلمين لم يكونوا أبدا أهل عداوة وهم يعلنون دائما مبدأ «السلام» حيث لا يلجأ المسلمون الى الحرب إلا باختيار عدوهم، فهم لا يبغون الا العمل على نشر الإسلام وتعاليمه بالطرق السلمية في شتىء المدن والبلاد ولقد تمثلت قواعد الإسلام في التعايش السلمي في خمس قواعد:

الاولى : السلام في العقيدة :فلقد شهد الغرب بأن الإسلام أبدا ما انتشر بالقوة والجبر وكان دستورهم قوله تعالى : **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾**البقرة/ ٢٥٦ وقوله تعالى : **﴿فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر﴾**الغاشية / ٢١و٢٢

الثانية : السلام في الحياة الخاصة: فلقد أقام الإسلام توازنا بين رغبات الإنسان ومطالبه في الحياة، وبالطرق التي تحفظ للإنسان كيانه بوصفه إنسانا مع أخيه الإنسان لذلك جاء التوجيه الإلهي: **﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾الحديد/ ٧**

الثالثة : الصلات بين الناس: وأساس ذلك أن يتعامل الناس باختلاف

أجناسهم للنهوض بالحياة الإنسانية قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾الحجرات / ١٣

وعلى هذا لا يدعو الإسلام المسلمين فقط أن يسعوا في الأرض بل شجع غير المسلمين إلى دخول دار السلام.

الرابعة : السلام في النظام العام : والإسلام لا يخفي أنه أقام أحسن علاقات الإنسان بأخيه الإنسان، بل قرر المساواة بين جميع البشر وتأملوا قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حجة الوداع «ياأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب»(٥).

وهذا هو الذي يفتقده الغرب، فالغرب تنخره العنصرية، وليس أدل على ذلك ماحدث في احدى الولايات الأمريكية مؤخرا إثر اضطهاد أحد الزنوج، والذي سمى بـ «بثورة الزنوج» فالتفرقة العنصرية بين الأبيض والأسود ماتزال تعمل في نفوسهم، مما يعد من عوامل الضعف المستكنة الخفية التي سوف تظهر إن عاجلا أو آجلا.

الخامسة : السلام في الحكم: فلا شك أن العدل والمساواة في الحقوق بين الناس جميعا يجعل الإسلام روحا تتقبلها نفوس البشر باختلاف أجناسهم، وهم يعلمون أنهم يفتقدون ذلك وباعتراف علمائهم أمثال (جروسيوس) الذي يعد أبا القانون الدولي في أوروبا الذي قال بوجوب عدم معاملة الشعوب غير المسيحية، على قدم المساواةمع الشعوب المسيحية ومع أنه يرى القانون الطبيعي مجيزا لعقد معاهدات مع أعداء الدين الإسلامي إلا أنه نادى بتكتل الأمراء المسيحيين ضد أعداء المسيحية ويقصد بكلامه هذا المسلمين(٦).

بات إذن أن الادعاء بأن المسلمين أكثر عداوة بسبب ذكريات الماضي الاستعماري ادعاء باطل لا سند له من الصحة، لم يبق من الثلاثة عناصر التي رأي جاك بيرك فيها السبب وراء خوف الغرب من الإسلام إلا أن المسلمين أكثر شبها من حيث الثقافة، فان كان الغرب يخاف من المسلمين والإسلام لأجل هذا السبب فلابد لأنهم يعلمون أن المسلمين لهم جذور في ميدان العلم والثقافة تلك التي نقلوها عن المسلمين الأوائل وبنوا عليه حضارتهم، وبالتالي فمن له أسس قوية لايهدم أبدا، وبذور التقدم والتحضر والتفوق موجودة عند المسلمين ولا شك أنهم قادمون وهذا سبب خوفهم وقلقهم،

ومع ذلك دعنا نضع أيدينا على الأسباب الحقيقية التي يخاف الغرب من ورائها من الإسلام، تلك التي أغفلتها ياسيد «جاك» مع أنك تعلم وأنت ذو رأس واع لأحوال المسلمين بكل دقائقها.

أولا : عالمية الإسلام

من عالمية الإسلام هم ـ أي الغرب ـ ينزعجون ، يقلقون في مضاجعهم لأنهم يوقنون دائما أن الإسلام حتما سيهدم ماهم فيه، فهم يخافون على ملكهم لأن

الإسلام بمناهجه المعتدلة سيسوي بينهم وبين عامة الناس، وهم يقرءون ذلك ويحفظونه في القرآن الكريم حيث يقول جل علاه: ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**﴾الفرقان/١ وقوله أيضا ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ الأنبياء/١٠٧ وقوله أيضا: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾سبأ/٢٨، فهم يوقنون أن رسالته صلى الله عليه وسلم منقذة للبشرية من مهاوي الظلم والجفاء وموت الضمير، والا فما دلالة الرحمة في الآية السابقة، وجودها في سياق الآية يعني أنها مرسلة لقوم لا تعرف قلوبهم الرحمة،

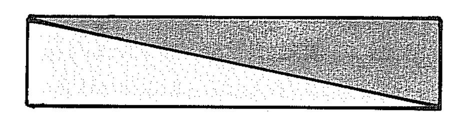
وبالتالي كل الشعوب التي تقر برسالة الإسلام حتما سيصلها الإسلام برحمته لأنها مطلب إنساني رفيع وبها تستقر الحياة، هذا هو سبب خوفهم من الإسلام. هم يعلمون أن القرآن ناقش أهل الكتاب في عقائدهم واثبت بطلان بعضها مما يدل على أن الدعوة بعالمية الإسلام موجهة لأهل الكتاب والناس جميعا، ويؤكده قوله تعالى في سورة المدثر ﴿**ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنو إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب**﴾آية ٣١

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ﴿**يستيقن الذين أوتوا الكتاب**﴾ أي يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية

كالتوراة والانجيل، ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الصف: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾آية ٩

ومعلوم أن لفظ الدين للجنس يشمل جميع الأديان السابقة على الإسلام كاليهودية والنصرانية والأديان الأرضية كالبوذية والوثنية وغيرها من سائر الأديان، وهذه الحقيقة تدعونا إلى الثانية التي تعتبر نتيجة لها ألا وهي:

سر انتشار الإسلام دون وساطة وهذا ماسنعرض له في الموضوع التالي:



الهوامش :

١ ـ سيرة ابن هاشم ١/ ٥٩١

٢ – د. نجيب الأرمنازي : الشرع الدولي في الإسلام ص ٥٠ نقلا عن د. وهبة الزحيلي: أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية ص ١٧ مقال بمجلة الشريعة والقانون العدد الرابع ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩م. وتصدرها كلية الشريعة والقانون بالقاهرة.

٣ – محمد جمال عرفه : الالبان هل يتجهون للعالم الإسلامي من بعد أن تجاهلتهم أوربا، مقال بجريد الشعب عدد: ٧٣٨ بتاريخ ٤ مايو ١٩٩٣ ص ٨.

٤ – المستشار : محمد عزت الطهطاوي: الإسلام والتعايش السلمي مجلة الأزهر ـ السنة ٥٦، شعبان ١٤٠٤هـ – مايو ١٩٨٤ص ١٢٤٧.

٥ – طالع في ذلك : د. محمد الطيب النجار مسيرة الرسول، د. علي عبدالواحد وافي : حقوق الإنسانية في الإسلام نشر إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف المصرية د/ت.

٦ – طالع د/ محمد سامي جنينه : القانون الدولي العام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٨، وكتاب كفاح دين للشيخ محمد الغزالي. مطبعة لجنة التأليف سنة :١٩٨٢.

أسس التشريع الإسلامي مرونة وواقعية

لا شك أن العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية في بلاد الاسلام حلم يراود الملايين من الجماهير المسلمة، لما تتميز به ـ الشريعة الاسلامية ـ من مرونة وسماحة وواقعية، وما تبشر به من حياة عمادها الامن النفسي والاستقرار الاجتماعي، بعدما اصطلينا بلظى القوانين الوضعية لمدة عقود طويلة من الزمن، وبعدما يئسنا من وعود الطرح التحديثي الذي لم نجن منه إلا مزيدا من ضياع الارض والعرض، لأنه بنى مشروعه أساسا على التنكر لهوية الأمة وتاريخها وشكل عملية انسلاخ كاملة عن الإسلام وشريعته.

وبإمكاننا أن نتبين هذه المبشرات عند تتبعنا للأصول العامة التي انبنى عليها التشريع الإسلامي وأهمها:

بقلم الاستاذ/ محمد الصالح عزيز

رعاية المصلحة العامة:

«حيث تكون المصلحة يكون حكمها وحيث تكون المفسدة ينتفي حكمها» هذه الحقيقة تضافرت عليها الأدلة حتى أصبحت علما ضروريا لا يرقى اليه شك ولا تقاربه ريبة.. واستقراء الشريعة والنظر في أدلتها كلية أو جزئية، والبحث فيما انطوت عليه من الاغراض والحكم يدل على صحة هذه النظرية، فكانت أدلة الشريعة كلها ـ خاصها وعامها، مطلقها ومقيدها، كليها وجزئيها ـ دائرة على رعاية المصالح في جميع مناحيها ووقائعها حتى صار العلم بذلك علما ضروريا، وتبين ان رعاية المصالح قطب التشريع الاسلامي وأصله الذي لا متحول عنه.

ومن الامثلة على رعاية المصلحة العامة واعتبارها.

١ ـ تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة: كتحريم الربا والزنا واقامة الحدود.. فقد حرم الربا لما فيه من الاثراء على حساب جهد الضعفاء وحاجتهم، وحرم الزنا لما فيه من نشر الفساد وهتك الحرمات واختلاط الانساب، واوجبت اقامة الحدود لانه لو لم يقع ردع مرتكبي المفاسد بمثل هذه الحدود الزاجرة، لوقع التجرؤ على

مباشرتها حتى تصبح بحكم تكرارها ومشاهدتها افعالا عادية، وفي ذلك تخريب للمجتمع.. ومن أمثلة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، انتزاع بعض الاملاك من أصحابها عند اقتضاء مصلحة الجماعة كشق طريق او توسيع مسجد، فعل ذلك عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حين ضاق المسجد الحرام على الناس وكانت دور الناس يومئذ محدقة به من كل جانب عدا فتحات جانبية يدخل مها الناس اليه، فأشترى عمر دورا منها، وابى عليه ذلك أصحاب الدور الاخرى، فأخذها منهم جبرا وأدخل الجميع في المسجد بعد ان اودع قيمة ما اخذ باسم اصحابه.

٢ — الضرر الأكبر يزال بالضرر الأدنى: اذا اجتمع ضرران اهتم الاسلام بدفع الاكبر منهما ولو بتحمل ضرر اصغر منه، وذلك تخفيفا من وقع الشر على المجتمع، كهدم بعض الجدران الخربة الآيلة الى السقوط ان كانت في طريق يكثر فيها المارة، لقد قارن الاسلام بين ان يبقى الجدار لصاحبه يسكنه او يستغله، وبين ان يسقط ذات مرة عند مرور الناس فيمحق انفسا كثيرة، ولهذا توقى بذلك الضرر المحدد حدوث اضرار عامة.

٣ ـ تقييد المباح للمصلحة العامة:

فقد امر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حذيفة بن اليمان بإخلاء سبيل اليهودية التى تزوجها بالمدائن، قائلا له «أعزم عليك الا تضع كتابي هذا حتى تخليها، فإنني أخاف ان يقتدي بك المسلمون فيختاروا نساء أهل الذمة، لجمالهن وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين» ومثل هذا ، تحديد مساحة انواع المزروعات وتقييد الاستهلاك او وضع قيود على استيراد بعض الاصناف التجارية، ولكن يجب التفريق هنا بين التقييد وبين التحليل والتحريم، ذلك ان تقييد المباح لا يعني تعطيلا لحكم ولا وضع قانون نهائى يحلل او يحرم، وانما هو تقنين مؤقت يزول بزوال سببه اى يحل المشكلة التى من اجلها حصل» (١).

ويجب ان يعلم عند النظر في تقييد المباح أنه لا بد من اعتبار الضرر الواقع او المتوقع مقدار دفعه، ويلاحظ ان يكون غير منشيء لضرر آخر، فان المصالح التى تتعلق بالجماعة متشابكة يتداخل بعضها في بعض.. ولابد من الاشارة في هذا المجال الى ان المصلحة لا يمكن ان تكون مخالفة للنصوص، بل لابد ان تكون ملائمة لها متفقة مع مقاصد الشرع الاسلامي، بحيث تكون من جنس المصالح التى اعتبرها، وفيصل التفرقة بين حكم المصلحة والهوى هو الشارع،

فإن كانت المصلحة من جنس المصالح التى اعتبرها — الشارع — فهى فهى المصلحة الحقيقية، وان كانت مجافية له فهى الهوى.. ولا يمكن كذلك للمصلحة ان تنتهك حدا من حدود الله ولا تمنع حقا من الحقوق التى اعطاها الا اذا ترتب عليها ضرر مؤكد وليس احتماليا (٢).

ولان المصلحة العامة اساس من اسس التشريع الاسلامي، رأينا الامام مالك ـ رضي الله عنه ـ يجعل المصلحة المرسلة اصلا من اصول الاجتهاد عند استنباط الحكم لما لا نص فيه (من قرآن أو سنة أو إجماع).. إيمانا منه بأن الشريعة الاسلامية قد اشتملت على مصالح الناس المعتبرة، ولكنه مع ذلك

كان لا يعمل بها إلا اذا توفرت فيها شروط ثلاثة:

- أن تكون ملائمة لمقاصد الشريعة بحيث لاتنافي اصلا من أصولها ولا دليلا من ادلتها.

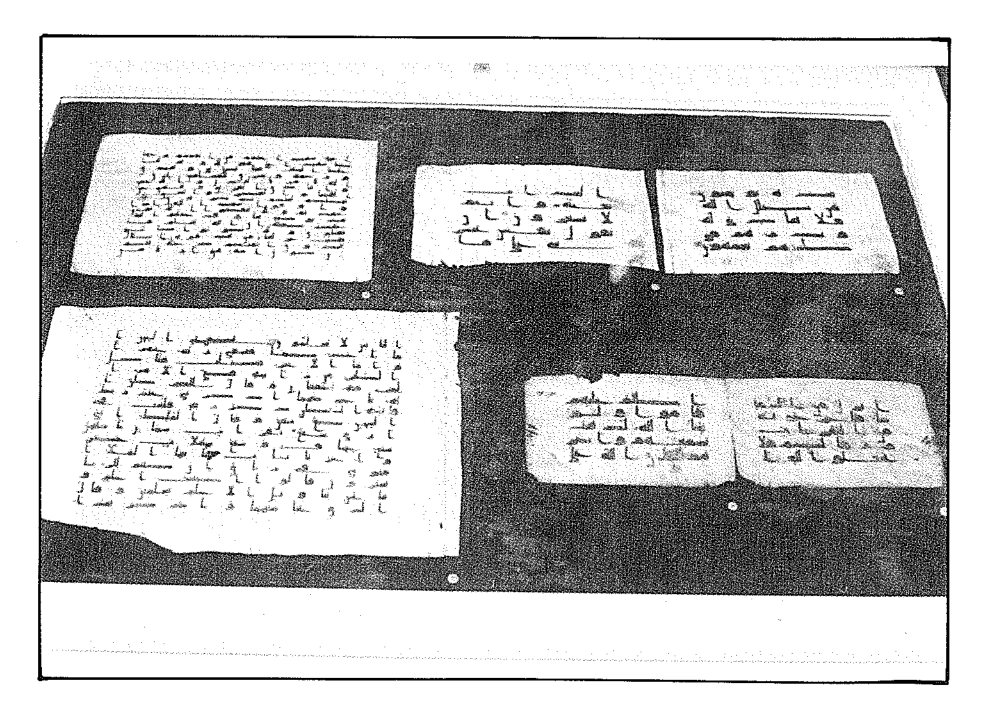
- ان يكون العمل بها في المعاملات دون العبادات.

- ان يؤدي العمل بها الى تحقيق منفعة لازمة لصلاح الناس أو رفع الحرج عنهم.

عدم الحرج ورفع المشقة

إن الاسلام لم يغفل قط عن ضرورات الحياة وضعف الانسان امامها، فجاءت الشريعة تساير الامكان البشري في كل ما تمر به وتنهى عنه ولا تكلف الانسان فوق طاقته، لان التكليف فوق الطاقة ينتهي غالبا الى النفور ومخالفة الامر والنهي، او القلق والشعور بالخطيئة وكراهة التكليف، والتقصير في الواجبات الاخرى عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالمكلف والمختلفة الانواع.. جاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: **«ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغّضوا الى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى»** (احمد) وتحقيقا لمبدأ رفع المشقة، حرص الاسلام ان تكون تكاليفه كلها في حدود الطاقة البشرية.

قال تعالى: **﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾** (البقرة ٢٨٦)، وقال: **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾** (المائدة ٦)، وقال **﴿يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا﴾** (النساء ٢٨) وقال: **﴿يريد الله بكم السر ولا يريد بكم العسر﴾** (البقرة ١٨٥).. وعلى هذا الأساس روعيت فيه ـ الاسلام ـ الاعذار الطارئة التي يشق معها الحكم ويتعاسر، فشرعت ألوان من الاستثناءات والاعفاءات والتسهيلات في احوال خاصة وهى تلك التي توجد للانسان نوعان من المشقة يؤوده ويثقل ظهره ويقعد به عن مواصلة السير.. نلاحظ ذلك بالخصوص في مجال العبادات حيث وقع الترخيص في تقصير الصلاة للمسافر وأبيح له التيمم وأسقطت عنه الجمعة والجماعة، وابيح الفطر للعاجز، والتيمم للمريض، وابيح أكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة بناء على قاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات»(٣)، بل ذهب الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الى ابعد من ذلك فأجل تنزيل حكم الحد في السرقة عام المجاعة بعدما حقق في وضع المسلمين في هذا الظرف الزمني، وتبين له ان ما يحدث في هذا العام من سرقة اعتراه من الاعتبارات الاضافية المتمثلة في المجاعة قد تلجىء الناس الى السرقة لحفظ الحياة، ما يجعل تنزيل حكم السرقة عليهم مفضيا الى الاجحاف بهم، فعزم تأجيل الحد تحقيقا للمصلحة التى هى مقصد الشرع واساس من اسس التشريع ـ كما رأينا ـ .. ونلاحظ من مظاهر التيسير اعتماد العرف اصلا من أصول الاجتهاد في مجال المعاملات، وهو ـ العرف ـ الاخذ بما يتعامل به المسلمون دون معارضة لنص من الكتاب أو السنة ولا لاصل من



اصول الاجتهاد الاخرى ـ حسب الترتيب المذهبي..

ثبت عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ «ان ماراه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن».. ومن مظاهر التيسير فتح باب الاجتهاد والتحريض عليه ـ لمن امتلك ادواته ـ لاستنباط احكام تعالج القضايا المستحدثة، سواء تمثلت هذه القضايا في حالات فردية او في ظواهر عامة.. والحث على الاجتهاد في تنزيل الاحكام على الواقع الجديد بما يتناسب ومصلحة المجتمع، وهو ما يعني تغير الفتوى بتغير الاوضاع والاحداث، وقد نبه ابن القيم الى هذا المعني مشيرا الى ما ينال الخلق من اضرار نتيجة تنزيل الفتاوى القديمة على الاوضاع والاحداث الجديدة، فقال: «فصل في تغيير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاصول والنيات والعوائد، هذا فصل عظيم جدا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة التى هى اعلى مراتب المصالح لا تأتي به» (٤).

وقد كان الامام مالك ـ رضي الله عنه ـ يكره من تلاميذه ان يكتبوا الفتاوى، فلما سألوه: ما الذي نصنع؟ قال: تحفظون وتفهمون حتى تستنير قلوبكم ثم لا تحتاجون الى الكتاب، وانما كره الامام كتابة الفتاوى خوفا من ان تطبق الفتوى المختصة بحادثة سابقة على كل حادثة لاحقة مشابهة لها بصفة آلية دون اعتبار للظروف والملابسات التى تتغير بموجبها الفتوى (٥)..

ومما يعرف عن الامام الشافعي - رضى الله عنه - انه كان يقول: رأيين أو اكثر في مسألة واحدة دون ان يرجح رأيا منهما لعدم ظهور المرجح عنده، وانه كان يقول بالرأي ثم يتبين له ان الحق في غيره فيتحول عن رأيه الاول ، ولم يتحرج قط من التحول عن بعض الفتاوى التى افتى بها في العراق عندما تحول الى مصر وخالط علماءها وشاهد حالات غير التى عرفها في الحجاز والعراق.

ومن مشاهر التيسير، التدرج في بيان هذه الشريعة وفي تكليف الناس ببعض احكامها حتى لا يرهقوا بتكاليفها دفعة واحدة، ولا تعنتهم مطالبتهم بترك ما اعتادوه مرة واحدة، وقصة تحريم الخمر في الاسلام بالدعوة اولا، وبالتدرج في التشريع ثانيا، تبين لنا اسلوب الاسلام في التوصل الى اغراضه خطوة خطوة حتى يتهيأ الجو الصالح وتستعد اعصاب الجماعة لقبول ما يلقى عليها من الاوامر والا لزامات.. «كان بإمكانه سبحانه وتعالى ان ينزل القرآن بأحكامه وتشريعاته وتصوراته دفعة واحدة، لكنه يعلم ان ذلك فوق طاقة البشر.. انه لابد - للارتفاع بهم نحو الافضل - ان يتدرج بهم شيئا فشيئا ليكونوا في مستوى الرسالة، ولابد، لكى تجد تشريعات الرجم وقطع اليد والجلد طريقها في المجتمع الاسلامي، ان تسبقها الاجراءات اللازمة من تطهير النفوس والابدان والمجتمع من التفسخ والانحلال والانانية وحب الذات

ومن مظاهر التيسير ايضا، درء الحدود بالشبهات حتى لا يقام حد مع شبهة تشكك في وجوبه، قال صلى الله عليه وسلم «**ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم**» لان في اقامة الحد مع الشبهة حرجا يثيره احتمال البراءة وعدم اطمئنان النفس الى استحقاق العقوبة، فاذا قامت شبهة على براءة المتهم فإنه لا يقام عليه الحد، مثل عدم اقامة الحد على من سرق مال ابنه لما للاب من شبهة الحق في مال ابنه.

ومن مظاهر التيسير - آخرا وليس أخيرا - أن الاسلام ما حرم شيئا على المسلمين الا عوضهم خيرا منه مما يسد مسده ويغني عنه، حرم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوضهم عنها دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا وعوضهم التجارة الرابحة، وحرم عليهم القمار واعاضهم عنه اكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيل والابل والسهام، وحرم عليهم الحرير واعاضهم عنه انواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن ، وحرم عليهم الزنا واللواط واعاضهم عنهما بالزواج الحلال، وحرم عليهم شرب المسكرات واعاضهم عنها بالاشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن(٧).

قلة التكاليف:

ليس غرض الاسلام احراج الناس واثقال كواهلهم بالاوامر والنواهي، بل غرضه الأساسي تهذيب النفوس، بما طالب به المؤمنين، ومن ثم ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الاسلام ضيقا شديدا

واتسعت دائرة الحلال اتساعا بالغا، ذلك ان النصوص الصريحة التى جاءت بالتحريم قليلة جدا، وما لم يجىء نص صحيح او صريح في الدلالة على حرمته يبقى على اصل الاباحة وفي دائرة العفو

الالهي، قال صلى الله عليه وسلم: «**ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**» (رواه الدارقطني)، وقال ايضا: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فان الله لم يكن لينسى شيئا**» (رواه الحاكم واخرجه البزار).

وتتضح قلة التكاليف الاسلامية في كل ما شرع الله من أحكام، لا فرق بين العبادات والمعاملات التى ليست من أمور العبادة.. فأما العبادات فهى فرائض محددة العدد يمكن للمسلم أداؤها بدون جهد مرهق اوعناء شديد، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل ابتداع في العبادات لانها من أمر الدين المحض الذي لا يؤخذ الا عن طريق الوحي، فقال: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**» (٨) (متفق عليه)، واما المعاملات سياسية كانت أو اجتماعية او اقتصادية او غيرها، فقد ضبطت الشريعة المحرمات منها ضبطا يدل على انها قليلة بالاضافة الى ما بقى مباحا، ودليل ذلك ان الله اذا تعرض للمحرمات في القران ذكرها، واذا تعرض للمباحات اطلق.. ذلك ان العادات او المعاملات ليس الشارع منشئا لها، بل الناس هم الذين انشؤوها وتعاملوا بها، وانما جاء الشارع مصححا لها ومعدلا ومهذبا ومقرا في بعض الاحيان ما خلا من الفساد والضرر منها ولهذا قال فقهاء الحديث ان الاصل في العبادات التوقيت فلا يشرع منها الا ما شرعه الله، والعادات الاصل فيها العفو فلا يحظر الا ما حرمه الله. وبناء على ذلك فالناس يتعاملون في البيع والشراء والمأكل والملبس وغيرها من المعاملات كيف يشاؤون مالم تحرم الشريعة وما لم تحد في ذلك حدا.

تحقيق العدالة:

قال ابن تيمية - رحمه الله — «العدل نظام كل شيء، فاذا اقيم امر الدنيا بعدل قامت، وان لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وان كان لصاحبها من الايمان ما يجزي به في الآخرة

وفي نفس المعنى قال ابن خلدون: «العدل أساس العمران».. واذا كان العدل اسما من اسماء الله وصفة من صفاته فلا غرابة ان يكون العدل وتحقيق العدالة اهم اسس التشريع الاسلامي، بل ان الله سبحانه وتعالى ما انزل رسله وكتبه الا ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الارض والسماوات، فاذا ظهرت امارات العدل واستقر وجهه بأي طريق كان ثم شرع الله.. وليس [illegible] شريعة من العدل ما للشريعة الاسلامية [illegible]ن حظ،

فقد عنيت ببيان ما للناس من حقوق فحافظت عليها، وسنت الاحكام الكفيلة بردها الى اصحابها وبينت ما على الافراد من و اجبات ازاء انفسهم والمجتمع والانسانية عموما، حتى امن الناس على انفسهم واعراضهم ودينهم واموالهم وحقوقهم واطمأنوا الى الاستمتاع بها في حدود ما شرعت من احكام وما سنت من نظام.. جعل التشريع الاسلامي القصاص جزاء لمن سلب حياة غيره:

﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾ (البقرة ١٧٩)، ونهى عن الاعتداء على الكرامة بتناول اعراض الآخرين ﴿**يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان**﴾ (الحجرات: ١١)، وحرم اخذ أموال الناس بغير الحق ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ (البقرة ١٨٨)، وطالب كل مسلم ان يكون رقيبا على تطبيق قوانين الاسلام، وان يرد الظلم ان وقع وينبه الحاكم اذا جار، وقرر ان المؤمن اخو المؤمن، وانه في مشرق الارض أو في مغربها له من الحق ما لا سبيل لنكرانه، وله النصفة غاب الحاكم ام قام، وجد القانون ام اختفى، لانها حق يؤديه من ضميره بمقتضى ايمانه ..

وحرصت الشريعة على تحقيق العدل.

١ ـ بين المرء ونفسه فأمرته ان يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته. ﴿**وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ (القصص ٧٧).

٢ ـ بين المرء واسرته: ﴿**يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين**﴾. (النساء:١٣٥)

٣ ـ بين المرء وعامة الناس ولو كانوا من الاعداء ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾. (المائدة: ٨)

هذه أهم الاسس التي انبنى عليها التشريع الاسلامي، والتي مكنت المسلمين من أن يكونوا خير أمة اخرجت للناس، ولم يترددوا الى ما هم عليه الآن من الضعة والهوان الا حين ضيعوا شريعتهم او حين انحرفوا بها عن مقوماتها وأسسها الاصلية.. وهذه الاسس ان دلت على شيء فإنما تدل ـ كما ذكرنا ـ على سماحة الاسلام وعلى قدرة الشريعة الاسلامية على التطور والتجدد لتقود أتباعها الى الخير والصلاح.. .. وحرى بعلمائنا ورجال السياسة في اوطاننا ان يستلهموا روح الشريعة ويستحضروا جملة هذه السمات وهم ينظرون للعودة الى تطبيق الشريعة، حتى يعيدوا لها ـ الشريعة ـ نضارتها وفاعليتها في النفوس وفي الواقع، وحتى يخرسوا هذه الالسن المتربصة، والتي ما انفكت تردد بأن الاسلام انتهى دوره التاريخي وآن له أن يتخذ مكانه في المتاحف.. ولنعلم جميعا ان الخطر الكبير على الشريعة وعلى المجتمع ان تطبق ـ الشريعة ـ تطبيقا آليا دون استلهام لروحها ومقاصدها.. وعلى الله قصد السبيل□

١ ـ ظاهرة اليسار الاسلامي: محسن الميلي.

٢ ـ انظر: الاجتهاد والتجديد: كتاب مدرسي تأليف مجموعة من الاساتذة.

٣ ـ انظر بمزيد التفصيل: علم اصول الفقه: عبد الوهاب خلاف.

٤ ـ اعلام الموقعين: ابن القيم.

٥ ـ انظر بمزيد التفصيل خلافة الانسان بين الوحي والعقل: عبد المجيد النجار، وكذلك العقل والسلوك في البنية الاسلامية لنفس المؤلف.

٦ ـ عن مقالنا بمجلة الامة العدد ٥٩: الالتزام بالواقعية في العمل الاسلامي.

٧ ـ انظر: الحلال والحرام: يوسف القرضاوي.

الجهاد في الإسلام العزة والكرامة

بقلم : محمد عبدالحي عيد

الجهاد هو: بذل ما في الوسع في سبيل الله تعالى وهو مقول على معنيين:

الأول إعلاء كلمة الله تعالي، الثاني الرباط لحفظ أمور المسلمين ودفع العدو عند هجومه على جماعة المسلمين قال تعالى

«يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم».(١)

وبعبارة أخرى: هو استفراغ ما في الوسع لمحو مالايرضاه الله ورسوله، ولايرضاه العلماء الربانيون الراسخون في العلم. فالجهاد كمقرر من مقررات الدين إنما شرع لدفع خطر العدو، والعدو مأخوذ من كلمة «عدا»: أى تجاوز الحد، فكل من ظلم غيره بأن سلبه حقه أو أوقعه في مضرة أو أعانه على ارتكاب ما يغضب الله

أو سلط أو أعان عليه عدوا قويا ظالما، أو دعا إلى عقوق أو قطيعة أو فعل منكر فهو عدو. يجب محاربته دفعا لعدوانه وردا لشره.

ولاشك أن الأعداء مختلفون فمنهم الملازم ومنهم المفارق، وآخرون خارجون.. فالعدو الملازم هو نفس الإنسان وهى أقسى الأعداء وأشدهم ضراوة وأكثرهم جلبا للرزايا والمصائب، إن تمكنت من الإنسان بشهواتها وأهوائها ومطامعها أتبعت وأهانت وأذلت وأجحفت، وإن استطاع الإنسان أن يكبح جماحها ويحملها على غير هواها ويملك زمامها ويصرفها عن غيها ومشتهاها عاش عيشة السعداء ورضي عنه رب الأرض والسماء.

قال تعالى «ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» (٢). وكم أذل العدو الداخل نفسا عزيزة وأضاع مجداً تليداً، وفرق مجتمعاً فاضلا، وقطع أرحاما موصولة، كل ذلك لأنه أطاع نفسه وهواه

وأحب الأثرة بالمال والفوز بالملاذ والشهوات فكره من ينصحه وعادى من يشاركه ممن له حق عليه، وصادق أعداءه. والفرد الواحد في الحقيقة هو مملكة عظمية، وكل مجتمع يقاس بالفرد الواحد، فإذا أطاع الفرد نفسه وهواه احتقر بعد التعظيم وامتهن بعد الإكرام.

فالنفس باعتبارها أعدى الأعداء، تستطيع أن تجعل الإنسان أشقي الاشقياء وأقرب شبها بالسوائم والعجماوات بلاشك أو افتراء، إذن تستحق المجاهدة ابتداء باعتبار مجاهدتها نقطة البدء من أجل مجتمع فاضل، خال من الاحقاد والضغائن، صاف من الأثرة والأنانية، تسيطر عليه طبائع الخير والبر والرحمة والوفاء، وتتقلب النفوس فيه في مراتب العزة والكرامة، وفي ظله تتحقق الألفة والتضامن والوحدة والتماسك.

لذلك اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس وإلزامها كلمة التقوى ولن يأتى ذلك إلا اذا نكل الإنسان من عبادتها وتجانف عن الخضوع لها، ورفض الاستجابة إلى دعائها.

ومن بين الأعداء... أعداء مجاورون «ويكونون من الزوجة والأولاد». قال تعالي «**يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم**»(٣). فإن الزوجه قد يطيعها الإنسان، - فيعق والديه ويقطع أرحامه، ويترك الفضائل - اشتغالا بها، ويرتكب الدنايا لجلب مايرضيها، مالم يقف عند الحد الوسط، وكذلك الأولاد فإنهم سبب في البخل والجبن والفساد، وقد يهمل تربيتهم الشرعية حبا فيهم فيكونون شروره في الدنيا وعذابه في الآخرة. وعداوة هؤلاء تكون بالفتنة ومنها حب الرجل زوجته وأولادها حبا يشغله عن شكر والديه المفروض عليه كما قال تعالي «أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير» (٤). أويحبهم حبا يجعله يحرص على الدنيا فيطلبها من وجوهها وغير وجوهها، ويبخل بالمال فيجعله يجبن عن قتال العدو حرصا على البقاء لتربية الأولاد والتمتع بالزوجة وقد تكون عداوتهم ظاهرة، كفساد أخلاقهم بسوء تربية الولد، لأن خير تربية الأولاد قهرهم على التمسك بالدين في الصغر، ورعاية

أخلاقهم من الطفولة ومجاهدة هذا العدو لايقوم بها إلا الأفراد الذين جملهم الله بالشجاعه، ومنحهم النفوس المؤثرة ولذلك قيل في المثل» الرجل يسوس مملكة بحكمته ويعجز عن سياسة زوجته، وماذلك إلا لأن للشهوة سلطانا قاهرا».
فأكمل الحكماء حقا من جاهد نفسه وساس زوجته وأولاده، والبيت الصغير مملكة كبيرة لأن رئيسه ملك مطلق لايتقيد بدستور وعلى مقدار تربية البنين الصغار تكون منزلة الأمة بين العالم، لأن الأمة تتكون من عائلات وعلي حسب آداب العائلات يكون شرف أمة أو ذلها ومتى كثر أهل الحق قهروا أهل الباطل وهي سنة العمران حتى مع النبي صلي الله عليه وسلم. قال تعالي «ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين»(٥).
وكل مجاهد معه الحق منصور وإن كثر عدد عدوه وعدده.
وهناك الأعداء الخارجون ويكون إما مظاهرا علنيا، أو مداهنا سياسيا. والأول منهما أقل خطرا من الثاني، لأن العلانية في ظلمه تبعث إليهم على دفعه وتنبههم إلى التحرز منه اتقاء خطره وكسرا لعداوته.
أما الثاني من هذا الصنف فهو العدو حقا لخفاء حيلته ومكره لإظهاره غير مايبطن واستتاره خلف حيله ومكائده.
هؤلاء الأعداء، وتلك هي صفاتهم وطبائعهم هم ماطلب الإسلام إلى أبنائه مجاهدتهم وتوقى شرورهم ومكائدهم.
فقد تبلغ النفس عدوانها للإنسان حدا يبلغ به الكفر وهذا كان شأن المكذبين بالرسل المنصرفين عن دعوة السماء، المتمسكين بما توارثوه عن الأجداد والأباء، رغم ماجاء به الرسل من العلم والدليل وما أقاموه من الحجة والبرهان، هؤلاء مصيرهم إلى النار، ولايعتقد الإنسان أن بلوغ النفس بصاحبها مرتبة الكفر لاتكون إلا في عهد النبوات وأوقات الرسالات بل هي ماضية في كل من يطاوع

نفسه فيتنكر لدين الله أو يصد عن سبيله في كل زمان ومكان ويحول بين نقل دعوة السماء إلى الناس أو تنفيرهم منها، كل هؤلاء وأمثالهم وقد أردتهم أنفسهم وحملتهم على غير ماأمر به الله، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.
وقد تجر النفس صاحبها إلى فعل المحرمات بتزيين الشهوات له من البنين والنساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والحرث والأنعام وبالجملة إلى كل ما هو متاع الحياة وليس له حق فيه، فيعتدي على أعراض الناس وحرماتهم بغيا وظلما وعدوانا فيستحق مقت الله وغضبه.

والنفس باعتبارها العدو الملازم للإنسان الذى لاينفك عنه أبدا ولايفارقه هي أخطر الأعداء على الإنسان وأشدهم ضراوة لأنها دائما بالشر آمرة، وطاعتها فيما ترنو إليه مما ليس لها حق فيه كفيل باندراج الإنسان في عداد السوائم والعجماوات متي أطاعها فأحيا البدع وأمات السنن فلا يلبث إلا وقد أضاع إنسانيته وشرفه ودينه ودنياه كل ذلك بسبب العدو الملازم واهمال مجاهدته ومحاربته.

وما قيل بالنسبة للنفس يقال بالنسبة للزوجة والأولاد وإن كان ضررهما أخف وطأة وأقل ضراوة من النفس لأن الإنسان اذا أوتى نفسا مطيعة لرشدها منتهية عن غيها يستطيع أن يحمل الزوجة والأولاد على الحق عن طريق القدوة أولا وعن طريق حق الرعاية والولاية ثانيا وعن

طريق الفراق إن لم يفلح الاقتداء ولم يثمر الزجر والتأديب.

أما العدو الخارج فهو الذى يعنينا التعرض له بالحديث وقد احتل ديارنا وعطل إسلامنا لأسباب ترجع إلى مكره وخداعه وكيده وبغضه للإسلام والمسلمين كما ترجع إلى تقصيرنا وميلنا إلى الدنيا وركوننا إليها، نازعنا أهل الدنيا دنياهم فلا دينا أصبنا ولا دنيا أبقينا ولا ربا أطعنا فكان من شأننا ماكان على النحو المعروف تاريخيا ولازلنا نعانيه حتي الآن ولن يتغير حالنا ولن نسترد ملكنا العظيم من أيدى أعدائنا ومجدنا الأثيل من عند خصومنا. ونعيد عزتنا

وكرامتنا إلى شعوبنا وأممنا الإسلامية إلا اذا فهمنا حقيقة أعدائنا الملازمين لنا والخارجين عنا، وفمهنا الطريق إلى استئصالهم والزامهم شريعة الحق والعدل ولن يكون ذلك إلا بحد السيف نقطع به دابر كل كفار عنيد، ونطارد به

أعداء الله وأولياء الشيطان في كل مكان نصرا لحجج الله وبراهينه وانتصارا لشريعته، وإعلاء كلمته وإلا فبطن الأرض خير لنا من ظهرها مع مايتنظرنا من الله وغضبه باعتبارنا الأمه الإسلاميه المسئولة عن مواريث النبوة النابعة من السماء والملزمة بقيادة البشرية إلى حيث الأمن والطمأنينة والسلام.

لذلك فان إحياء ما أماته المسلمون من سنة الجهاد ابتداء من جهاد النفس إلى جهاد من أذاقونا الخسف والهوان والذلة والحزن على مدى قرون من الزمان يعتبر من أرقي واجبات العبودية لله في الأرض وأسمى مايمكن تقديمه للإسلام في هذا الوقت الذى أصاب المسلمين ما أصابهم

من مصائب وبلايا ورزايا على النحو المعروف، بما لايحتاج إلى جهد إضافي لبيان ماحل بهم وما أصابهم، فلا ريب أن يكون الجهاد في هذا الوقت هو العبودية عينها التي تنبىء بكمال الاخلاص لله تبارك وتعالي والتصديق بما بشر به من عز الدنيا وعز الآخرة.

إن الجهاد من الفروض العينية دائما وهذا مامضي به الواقع العملي في عهد النبي صلي الله عليه وسلم حيث لم يرد راغبا في جهاد وحريصا على ملاقاة العدو، كما أن خطاب المشرع الحكيم للمؤمنين جاء يخاطب الجميع «انفروا خفافا وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله» (٨). وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله» (٩).

وفضلا عن ذلك فإن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة فلا شريعة بعدها والمسلمون مأمورون بإبلاغها ونقل أحكامها إلى البشرية كلها وهذا يفرض تجنيد القوى لجميع المسلمين، وحشدا لإمكانياتهم المادية والمعنوية لتحقيق الإسلام في أنفسهم، وإسماع الشعوب كلها والضمير البشرى والنفس الإنسانية

دعوة السماء في كل مكان وفي كل وقت وزمان.

ومن هنا اعتبر الجهاد فرض عين علي كل مسلم ومسلمة كما ذهب إلى ذلك أكثر فقهاء المسلمين المعتبرين. ولا حجه لمن قصر في الجهاد بالنفس أو بالمال. ولاعذر عند الله لمن لم يغز أو يحدث نفسه بالغزو، وللجهاد موجبات مقررة، هي القتال للمعاملة بالمثل، والقتال لدفع العدوان، والقتال لكسر شوكة الكفر، والقتال لمن أخرجونا من ديارنا وأموالنا،

ولمن يفتن المسلمين عن دينهم، وشرع القتال أيضا من أجل المستضعفين، وفي النهاية فقد أوجب الإسلام القتال وسل السيف من غمده حتي يكون الدين كله لله.

وهكذا شرع الإسلام الجهاد للغزو والفتح، كما شرعه وأوجبه باعتباره الضمانه الخالدة خلود الإسلام نفسه للحفاظ عليه كشريعة إلهية من أن تمتد إلى الارض التي يظلها أية قوة من قوى الأرض جميعها تنال منه أو تنقص منها، كما شرعه الإسلام لقتال الجبابره والطواغيت المتحكمين في رقاب العباد المسيطرين على مقدرات الأمم والشعوب كما وقفوا في طريق الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته رحمة للبشرية واستنقاذا لها من براثن الشرك والوثنية، وفك أغلال الذل والعبودية التي يفرضها ساداتها وكبراؤها لتكون الوجهة خالصة لله، وليقف الجميع في مقام واحد هو مقام العبوديه لخالق الأرض والسماء فلا رب سواه ولامعبود إلا اياه.

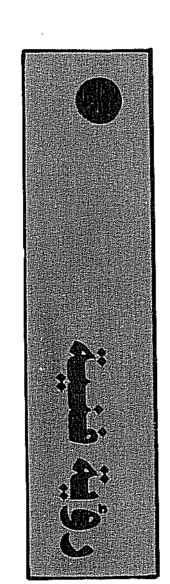
وعلى هذا فإن الجهاد الذي شرعه الإسلام والسيف الذي أمر به الإسلام هو لنصرة الاسلام، وأعدل السيوف، سيف ينصر الله به حججه وبراهينه، وعلى سنة التلازم بين الإسلام والجهاد كان فهم المسلمين الأوائل لدينهم، فاندفعوا لإقامته، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، ويقاتلون بكل ماوقع في أيديهم مع وعد من الله قاطع أوجبه على نفسه بنصرة من ينصره، فكان الواحد منهم إذا طرقت سمعه صيحة من صيحات الجهاد سار ونفر إلى بذل روحه نشيطا في سبيل الله مشتاقا إلى لقاء ربه، مؤمنا بموعود الله له، إما النصر، وإما الشهادة.

والله يعلم القصد وهو يهدى السبيل..
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

هوامش:

(١) سورة الصف/ ١١،١٠
(٢) سورة الشمس/ ١٠،٩،٨،٧
(٣) سورة التغابن/ ١٤
(٤) سورة لقمان/ ١٤
(٥) سورة الانفال/ ٦٤
(٦) النظريات السياسية والإسلاميه/ للدكتور محمد ضياء الدين الريس، ص ٢٦٥.
(٧) المرجع السابق،ص ٢٦٨-٢٦٩.
(٨) سورة التوبه/ ٢١
(٩) سورة الأنفال/ ٣٩٣

الالتـــزام والحريـــة في الأدب الإســـلامي



هذه القضية شغلت النقاد كثيرا في الشرق والغرب، ففريق ينحاز إلى الحرية، وآخر ينحـاز إلى الالتزام. وهناك في الوسط من يرون الحريـة انفلاتا من القيم الفنيـة والجمالية والقيم الفكرية، وفريق يـرى أن: الالتزام ضرب من القسر والإلزام لا ينبغي ان يلتفت إليه المبدع..

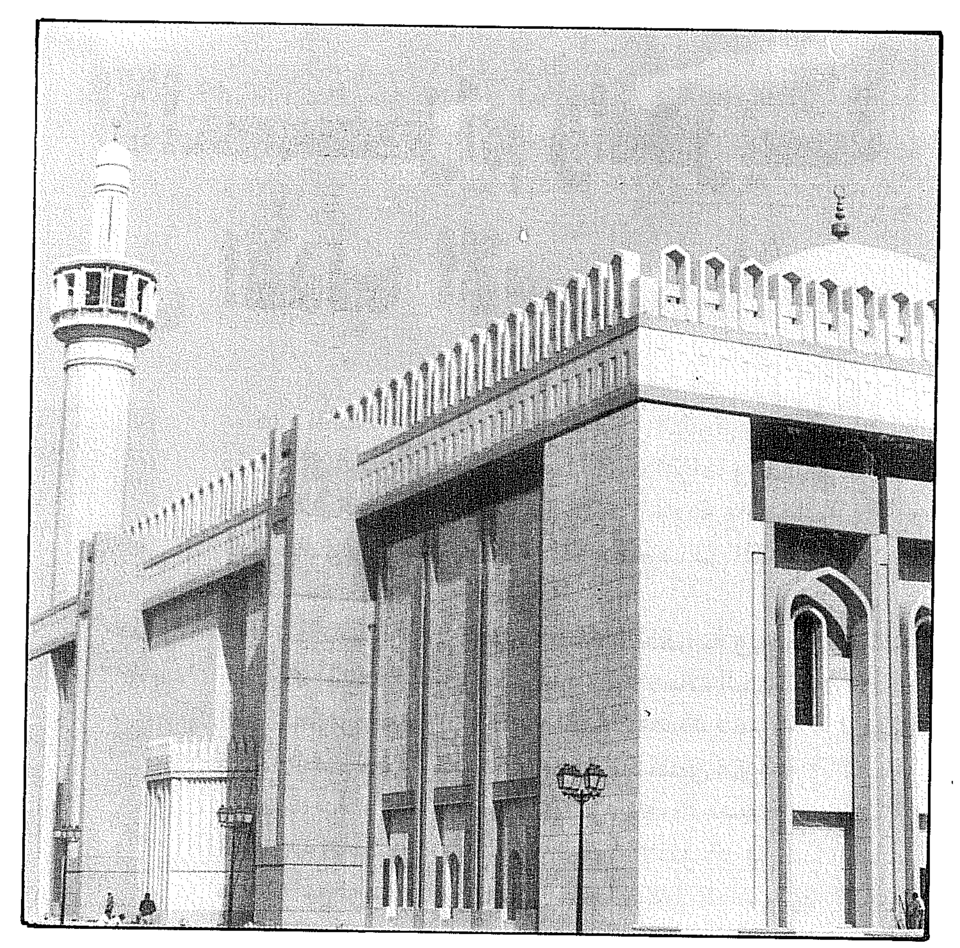
والحقيقـة أن هذه المصطلحـات النقديـة وليدة الفلسفـة، وظهرت نتيجـة التأثر بـالأيديـولوجيـات الحديثة في الأدب. التي تعكس التغيرات الاجتماعية العميقة السريعـة لزمننا، ولهذا الغـرض ينبغي للأديب أن يتفحص مـوقفه في العـالم ومسئـوليتـه إزاء البشر الآخرين، بحيث يصبح مـدركـا أن الطبيعة الحقيقيـة لفنه هي تركيز الانتبـاه على هذا الجانب من الواقع أو ذاك، كي يصدر حتما حكما عليه، ولهذا لا يمكن فصل الالتزام عن الأدب(١).

بقلم الاستاذ: كمال سعد محمد

وخلال هـذا الاضطراب النقـدي لهذه المصطلحـات في الآداب المختلفة وجـه إلى الأدب اتهام بأنـه: إذا التـزم الإسـلام أو العقيـدة الإسلاميـة في رؤاه وإبـداعاتـه أصبح ضربـا مـن التجمـد! وفـرض الـوصايـة على انطـلاق الأديب، وتحجيم إبداعه، وسلبه حـريته وقيمه الجمالية..! ونسـوا أو تنـاسـوا أن هنـاك كثيرا من الآداب المتعددة كـالماركسية والوجـودية والصهـيونيـةو... و... وغيرهـا نشأ وترعـرع في أحضان فلسفيـة أو عقديـة مختلفة ونجحت نجـاحا كبيرا في خـدمة دعـاواهـا الفكـريـة والفلسفيـة، بل والسياسية في كثيرمن بلدان العالم...

فلم يكـون التـزام الاسـلام في الأدب قسرا للمـوهبـة وحجـرا على الخيـال والانطـلاق في عـالم الإبـداع الأدبي والفكري؟؟!..

نقـول لهؤلاء: الالتزام ليـس بدعـا في الأدب، بل إنـه لا يمكن فصل الأدب عن



الالتزام، فهو ظاهرة نقدية إبداعية في كثير من الآداب العالمية.. وإذا كان الأدب الإسلامي: تعبيرا فنيا وجماليا عن التصور الإسلامي.. فكيف يتم الربط بين التعبير الفني الجمالي، والرؤية أو التصور الإسلامي؟؟...

يقول الدكتور عماد الدين خليل(٢): الإلتزام ذلك هو الخيط الذي سيشد هذين القطبين (الإبداع، والرؤية) بعضهما إلى الآخر... فالدعوة إلى الالتزام واعتباره الوسيط الضروري والطبيعي – في الوقت نفسه – بين الجمال والفكر بين الإبداع والتصور، دعوة تستمد مقوماتها من القرآن الكريم نفسه، ومن السنة النبوية الشريفة قولا وعملا.. فلنقرأ قول الله (عز وجل) في سورة الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧ **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**.

فهـا هي دعـوة واضحـة وصريحة للالتزام، فالشعـر الذي لا يلتزم الإسلام ولا يفيء إلى ظـلالـه يعتبر شعرا كـاذبـا ويعتبر شاعـره غاويـا يهيم في الناس ولا يفعل شيئا..

فلا يقـوى على المواجهة، ولا يـؤثر في العقول، ولا يستلب الألباب والوجدانات، ولا يهدف إلى صنع شـيء، فلـذا ذم الشعر..

أما الذين آمنوا من الشعراء، هم الذين فروا بشعرهم إلى مـراقيء العقيدة وتفيئوا ظلال الإيمان فـالتزمـوا القيم والمبادىء السـامية فهم الشعـراء العـالون الـذين استطـاعـوا المواجهة، وامتلكـوا العقـول والألباب، فوعوا ما يقولون، فالتزموا ذلك في الحركة والفعل.

فالالتزام في الأدب الإسلامي لا يعني إلزاما، ولكنه طرح ومعالجة لكل ما يعتلج في النفس ويعاني منـه الأديب في مجتمعه ومحيطه المزدحم بالمتناقضات(٣)..

فالالتزام الذي دعـا إليه القرآن الكريم في الآيات السـابقة التزامـا مرنـا ومورا، وإلا أصبح القيد الـذي يغل العمل الأدبي والمبـدع، والجدار الـذي يقف بمـواجهـة الإبـداع والتيبس الـذي يميل بـالمعـادلـة الأدبيـة عن سـويتها المطلـوبـة، ويجنح باتجاه التقرير الفكري على حساب القدرة الإبداعية.

فلذا تـوجب أن يكون الالتزام عفـويا، متسـاوقا، منسـابا، متـدفقا، وألا تقـوم علاقته بالإبداع الفني على القسر والتكلف والإكراه (٤)...

والتزام الأديب المسلم يتوجب كذلك أن يتآلف مشعا في كل جـزئية من جـزئيات عملـه الأدبي كما يقـول الـدكتـور عماد الدين خليل: إن الدم الذي يتفجر في أوردة كلماتـه وشرايينها ينبثق عفـويـا صافيـا حلوا من باطنها ويتخلق معها لأنه يصدر عن الأديب الـذي يعيش التجـربـة ولا يدعيها.

وفـرق كبير بين أن يأتي الالتـزام من فوق لكي يضبط التجربـة بقالبه الصارم ورؤيتـه الجادة، وبين أن يتدفق الالتـزام من باطن التجـربة، أو يجري في أوصالها وهي تتشكل كما يجري الـدم النقي في شرايين الأجنة، فيهبها الحركة والحياة..

والالتزام غير الإلزام (٥). فالإلزام هو أن يلتزم الأديب بأيـديولوجيـة معينة أو بواقع اجتماعي معين، فهـو على ذلك خال من الحريـة ومـؤثـر بـالسلب في روعـة التعبير وصدقه الفني والفكـري، وهذا ما يحدث عندما تفـرض ضغوط على الكاتب أو الأديب...

فـالالتزام في الأدب الإسـلامي فريـد ووحيد في مجالـه، فلا هو بالالتـزام الذي يتعلق بأذيـال الطبقـة في قلب الجماعـة (الماركس) ولا يتعلـق بأذيـال الفـرد (الوجـودي) ، ولكن التزام الأديب المسلم ذاتي وجماعي في الـوقت نفسـه ينبع من داخل الفنـان، فيتبنى مسـاره بمحض إرادتـه أو كعقيـدة، يشـدهما إلى اعماق الإيمان الصادق(٦).

فها نحن نطمئن المتخـوفين من الأدباء والنقـاد على الإبـداع وانطـلاقـه من المنظومات الفكرية والأطر العقائدية، بأن الالتزام بـالإسلام في الأدب ليـس نقيضا للحـرية التي تنـادون بها وتعزفـون على أوتـارها، فليس أدبنـا الإسلامي نقيضـا للحريـة بمفهومهـا الصحيح التي تكون (حقيقة عندما يتحـرر الإنسان من قيود الخوف وشهـوة المال والجسـد عنـدمـا ينطلق الإنسـان من سجن المادة، وبطش

السلطة وأطماع الحياة، عندما ينتصر الإنسان على الأنانية المريضة، ويفك عن روحه وجسده حبائل الشيطان.. تلك هي الحرية..) (٧) التي نفرض ونطمئن إليها، فهي مرتبطة ارتباطا بالعقيدة الإسلامية، وبالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتق الأديب المسلم..

إذن فليس هناك تضاد بين الالتزام في التصور الإسلامي والحرية بمفهومها الصحيح، فلا هي مفسدة له، ولا هو معطل لها، فالحرية من أهم وأبسط حقوق الإنسان. ورحم الله عمر بن الخطاب إذ يقول: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا..».

فالحرية فطرة ودين ولكن يجب أن تقيد لكيما تمتلك — كما يقول أحد النقاد الغربيين — وتقيد بقيود لا تعطل قيمتها الفنية والجمالية والإبداعية، لكنها قيود في صالح الحرية نفسها .. والحرية التي تمثل الجمال على هذا النحو هي: الحرية المقرونة بالأوزان والقوانين، لأن الحرية بدون هذه الأوزان والقوانين، تكون هي الفوضى عينها.. فالحر صاحب اختيار وانتقاء ومشيئة، وصاحب غاية(٨)..

ومن ثم فالفن هو الاقتدار على الضبط والبراعة في إحسان التحرك واجادة التصرف والحركة في أضيق المساحات والمجالات وأدق الأطر دون المساس بها أو خدشها وتشويهها أو المرور عليها (٩)..

فلهذا تعد الحرية نبع الفن وبغير الحرية لن يكون هناك أدب ولا فن والتزامنا أخلاقي وعقدي (إسلامي)، لأنه

بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم. صداما أفضى إلى الفوضى الأخلاقية والفكرية (فالفنان الحر هذا الذي تربطه علائق قوية بمثله العليا وقيمه السامية ومبادئه الصادقة فالتزامه ينبع حرا من قلبه وبيئته وعقيدته، ولا تلزمه قوة في الوجود، فإذا شعر الفنان لحظة واحدة أنه يؤدي بفنه ضريبة عليه أن يؤديها وجوبا، فإن الذي سيبدعه ليس فنا.. بل إنه أصوات لبوق أجوف ليس له من أمره شيء، فلا حول له ولا قوة سوى أن يقول ما يملى عليه (١٠).. فليس الالتزام أن يعيش الأدباء المسلمون إحساسا واهتمامات متشابهة وتصورات وانفعالات نفسية واحدة فإن وحدة الفكر لا تعني وحدة الفن، فالأديب أولا هو ابن ذاته والمعادلة المتحققة من لقاء الاقتناع الإسلامي أو العقيدة بالذات الإنسانية ستفجر حتما في شكل فني جديد، وخيال جديد، ومسارات فكرية جديدة، لأن النفوس الإنسانية لا يمكن أن تتشابه، ومادام أحد طرفي المعادلة مختلفا في كل مرة، فلابد أن تكون نتيجة التفاعل دائما مختلفة (١١)..

فالإلتزام مادام منبثقا من ذات الأديب ومن داخله، فإنه لا يتعارض مع الإبداع، لأن الإبداع، ركيزته الأولى: الموهبة والموهوب قادر على الإبداع الملتزم حتى وأن ضيق الالتزام حدود الإبداع،

فإنه لا يضيق به (فهو يحقق شموخا إن فاته الشمول.. فالالتزام نفسه لا يمكن أن يستغنى أو ينفصل عن الإبداع) (١٢)..

فالالتزام بهذا المفهوم يفتح آفاقا في وعي الأديب يستوعبها كل حسب مقدرته الفكرية والفنية والوجدانية، فيتوغل قدما في تجربته الفكرية خطوة خطوة، وموقفا موقفا. وتجربة تجربة، حتى تقترب من التصور الإسلامي المجرد.. (١٣).

وبهذا يتسع المجال أمام التمايز في المواقف النفسية والوجدانية فيحلق الأديب في هذه المجالات خلال الأطر الفنية والجمالية المختلفة دون حجز أو قسر أو فرض وصاية، أو انفلات من القيم الفنية والجمالية.. كما يدعي المدعون (فإن كلمات الصدق الورع والإيمان والرحمة إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية «الفنية» التي يشعها البناء الفني في العمل أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحي بشيء) (١٤)..

إذن فالالتزام في الأدب الإسلامي لا يحرمه الحرية أو يلغيها في إبداعاته أو حتى يضيق آفاقها □

الهوامش

١ ــ الأدب الملتزم ص ٤ ــ ماكس أديرث ترجمة سعدي يوسف ـ دار الهمداني ـ أولى ــ ١٩٨٤ ـ المعلا (عدن).

٢ ـ حول مفهوم الالتزام د.عماد الدين خليل مقال بمجلة الأمة القطرية عدد ٣٧

٣ ـ نحو آفاق شعر إسلامي معاصر ص ٩: حكمت صالح ـ مؤسسة الرسالة ط ثانية ـ ١٩٨٢ بيروت

٤ ــ مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ص ٨٤ د.عماد الدين خليل ـ الرسالة ـ أولى ـ ١٩٨٧ ـ بيروت.

٥ ـ حول الدين والدولة (مقالات في كتاب) ص ٥٥ د.نجيب الكيلاني ط النفائس ـ ثالثة ـ ١٩٨٢ ـ بيروت

٦ ــ نحو آفاق شعر إسلامي معاصر ص ٩ ـ سابق..

٧ ــ مدخل إلى الأدب الإسلامي ص ٨٣ د.نجيب الكيلاني ـ كتاب الأمة.

٨ ـ قضايا النقد الأدبي الحديث ص ٢٠ د.محمد السعدي فرهود ـ دار الطباعة المحمدية ـ ثانية ـ ١٩٧٩ ـ القاهرة..

٩ ـ من قضايا الأدب الإسلامي ص ١١٨ د.صالح آدم بيلو ـ دار المنارة ط أولى ـ ١٩٨٥ ـ جدة..

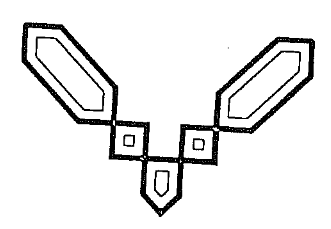
١٠ ـ فن الأدب ص ٣١٠ توفيق الحكيم ــ مكتبة الآداب النموذجية ـ مصر.

١١ ـ الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ص ٣٥ د.أحمد بسام ساعي ــ دار المنارة ـ أولى ــ ١٩٨٥ ـ جدة..

١٢ ــ الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع مقال بمجلة الدارة السعودية عدد (٤) رمضان ١٤١١ هـ..

١٣ ــ مصطلح الأدب الإسلامي د.محمد اقبال عروى ـ مقال بمجلة الجهاد الجماهيرية العربية الليبية عدد (٩٥) السنة (٩).

١٤ ـ الإسلامية والمذاهب الأدبية ص ٢٥ د.نجيب الكيلاني ــ مؤسسة الرسالة ـ ط الرابعة ــ ١٩٨٥ ـ بيروت..



صفحات حزينة من التاريخ

شعر / أسامة كامل الخريبي

أتاريخ المذابح والبلاء … أما تطوي الصحائف بانتهاءِ

أقلب فيك منذ وعيت علي … أرى يوما مضى من غير داء

فما ألفيت غير هوان قومي … يسوِّد صفحة الأمس المضاء

كأني مذ نشأت طفقت أبكي … وأجتر البكاء من البكاء

فصار الدمع قافيتي وشعري … شفاها لا تكف عن الرثاء

مذابح في جبين الأرض يندى … لها وجه الزمان من الحياء

«سراييفو» هوت والزحف يمضي … كما تمشي العفونة بالوباء

ملايين تباد بلا مغيث … وآلاف تساق إلى البغاء

وأرحام النساء بكل فج … تلقح بالكلاب.. وبالظباء

«وكوسوفو» الشقيقة في مخاض … وقد تلد المصائب في المساء

«وسنجق» تشتكي خطرا وشيكا … ومذبحة تدبر في الخفاء

«ومقدونيا» لها في القلب جرح … على جرح يعز على الشفاء

بلاد فوق كف الشوك نامت … وما نامت عيون الأشقياء

أأندلس تقام على حطامي … ومملكة تشيد من دمائي؟

وايم الله ما نهضت بلاد … تقام على المذابح والدماء

وعمر البغي في الدنيا قصير … وإن صعد البغاة إلى السماء

يقول البعض: ألبان وترك … وكم تنسى العقيدة في ادعاء

وقومي هم بنو الإسلام طرا … متى جهر المؤذن بالنداء

وفي القدس الشريف يثور شعب … وتمتزج الحجارة بالإباء

ويجتث اليهود ليستريحوا … رموز الإنتفاضة والفداء

مئات من زهور القدس تذوي … على مرج الزهور وفي العراء

هناك هناك فوق الثلج ناموا … وقد بخل الأشاوس بالغطاء

وفي أرض الهنود يذوق شعبي … مآس كم تعز على رثائي

أرى صور المذابح في ضميري … فتختلط الدموع مع الدماء



«فآسام» تجدد كل يوم ... وفي «بومباى» تعصف بالبقاء
وقد طردوا الألوف بغير ذنب ... وقد ذبحوا الألوف بلا عناء
وقد هدموا المساجد والزوايا ... وقد غرسوا المعاول في النساء
أيحيا المسلمون بكل أرض ... عبيدا للمذلة والشقاء؟
كأنا في جبين الأرض عيب ... يوارى بالإبادة والفناء
كأنا علة الجسد المسجى ... تسد بوجهه سبل الشفاء
وكان البتر أيسر ما استراحوا ... إليه من الوسائل والدواء
هلكنا فد تركنا السيف عمدا ... وأترعنا المراقص بالغناء
وهنّا مذ جعلنا الله ندا ... وناصبنا الشريعة بالعداء
وحاربنا الدعاة ومن يقولوا ... (شفاء الروح في وحى السماء)
ومن زعموا بأن الدين وهم ... وفي لغتى جمود القرفصاء
وفي سبل الفضيلة كل شر ... وفي الأخلاق وهم الأدعياء
أغاروا فوق مذياعي وفني ... وقد ملأوا الصحائف بالهراء
ونحن الخير ــ ما رغمت أنوف ـ ... ونحن الحب في زمن الجفاء
وما استن التكافل غير قومي ... وهم قوم المودة والإخاء
وما صان العدالة غير ديني ... وزانتها الشريعة بالقضاء
وفي لغتى بريق الوحى يسرى ... وتتصل العروبة بالسماء
فياقوم استعيدوا مجد دين ... لكم فيه الخلود بلا مراء
لكم فيه الكرامة ما اتحدتم ... وخلصت القلوب من الرياء

* (سنجق ـ كوسوفو ــ مقدونيا) ثلاثة اقاليم يوغوسلافية ذات أغلبية مسلمة ـ تنحصر بالترتيب من الشمال إلى الجنوب بين الصرب والبوسنة.

* (آسام) ولاية هندية شهدت مذابح بشعة للمسلمين عام ١٩٨٣ ومازالت المذابح مستمرة إلى اليوم.

ميزان العدل

قال سبحانه محددا العلاقة بين المسلمين وغيرهم:
«لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون.

الأقماع

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما — عن النبي - صلى الله عليه وسلم — قال - وهو على المنبر - : «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين: الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»
والأقماع: جمع قمع. وهو الاناء الذي ينزل في رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والأدهان، شبه أسماع الذين يسمعون القول ولا يعونه ويحفظونه ويعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئا مما يفرغ فيها فكأنه يمر عليها مجتازا كما يجر الشراب في الأقماع.

يشق عليها المشي

دخلت عجوز على قوم تعزيهم بميت فرأت عليلا في الدار فقالت: أنا والله يشق عليّ المشي، وأحسن الله عزاءكم في هذا العليل أيضا.

الأحمق

احذر الأحمق أن تصحبه إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب زعزعته الريح يوما فانخرق
أو تصدع في زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يلتصق
فإذا عاتبته في يرعوي زاد شرا وتمادى في الحمق

دعاء

اللهم يسر أمورنا
واستر عيوبنا
واغفر لنا
إنك سميع مجيب

إعداد : فهمي الإمام

إلى طلاّب المناصب

إلى الذين يلهثون وراء المناصب، ويطلبون ما ليس من حقهم، وما هم له بكفء، نسوق هذا الحديث الشريف: قال «صلى الله عليه وسلم: «إنا والله لا نولّي هذا العمل أحداً سأله، أو أحدا حرص عليه».

الأحمق

احذر الأحمق أن تصحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب ... زعزعته الريح يوما فانخرق
أو تصدع في زجاج فاحش ... هل ترى صدع زجاج يلتصق
فإذا عاتبته في يرعوى ... زاد شرا وتمادى في الحمق

أصحب من يخوّفك

وعظ العالم الفقيه أمير المؤمنين الرشيد فقال له:
يا أمير المؤمنين لأن تصحب من يخوفك حتى تدرك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تدرك الخوف.

إلي متى ؟

قال أبوالعتاهية:

أراك امرأ ترجو من الله عفوه ... وأنت على ما لا يحب مقيم
فحتى متى تعصى ويعفو إلى متى؟ ... تبارك ربي إنه لرحيم

إلى أصحاب النجوم

قيل لرجل ما نجمك؟ قال: التيس: فضحك الحاضرون، وقالوا: ليس في النجوم والكواكب تيس. قال: بلى، قد قيل لي وأنا صبي - منذ عشرين سنة - نجمك الجدي - فلاشك أنه قد صار رئيسا منذ ذلك الوقت.

«أكبر من طاقة الإنسان»

بقلم الأستاذ/ توفيق محمد سبع

حقيقة تفرض نفسها

لا يستطيع أحد أن يتنكر لمنجزات العلم أو معطيات الحضارة بعد أن حققتا من النتائج المثيرة، التي أدت إلى تقدم الحياة، واطراد مسيرتها سياسيا واجتماعيا وطبيا واقتصاديا وإنسانيا فوق ما يطمح إليه إنسان القرن العشرين.

ولست بحاجة إلى تقصي هذه المنجزات فهي من الوفرة والسطوع بحيث لا تحتاج إلى بيان سواء في المجالات الحربية أو المجالات السلمية.

بيد أنني أعرض لأمر مهم أركز عليه بعناية واهتمام. وهو أن هذه المنجزات لم توفر للإنسان دواعي الأمن وعوامل السعادة كما ينبغي أن تكون!!

ففي ظلال هذه المنجزات كثر الشقاء، وساد الإحباط، وانتشرت الجرائم.. ذلك لأن هذه المنجزات مادية صرفة.. لا تصحبها نسمات الروح ولا بسمات الضمير الحي.. ويأبى الإنسان إلا أن يكون مادة وروحا كما فطره ربه.

وهذه المنجزات المادية لا تلبي هذه الفطرة الإنسانية المركبة.. ولو صحبها تفوق روحي يلبي أشواق الروح لكانت الحضارة المثالية السديدة!!

وقد تكون هناك عوامل أخرى تجعل من هذه الحضارة مصدر شقاء ذلك أنها مغرورة.. تزعم أو يزعم أصحابها أنهم صانعوها وحدهم.. فمن حقهم أن يحتكروها، أو يبيعوها بالثمن الباهظ.. ومن حقهم أن يحجبوها عن بعض الناس، ولذا اقترنت بالظلم والقهر والجبروت والاستبداد.. وتلك أفات تجعلها في صالح أصحابها أكثر من أن تجعل منها ثمرة عالمية لإسعاد البشرية جمعاء.

الحقيقة الغائبة

إن جهود البشر بالغة ما بلغت لن تكون وحدها صانعة للحضارة، ولا محققة للمنجزات العلمية.. لأن الإنسان جزء من الوجود الكبير - وما الكون كله إلا ساحة لنشاطه، ومجال لحركته، وميدان لحضارته، وبستان يزرع فيه أنضر الورود يستمد العون من ربه ليلهمه المعرفة والقدرة — ويمهد له أرجاء الأرض.. لكي يزرع ويحصد، وينشيء ويعمر، ويخترع ويبدع.. ولو شاء سبحانه لجعل من تلك الأرض جبالا خشنة وتلالا وعرة لا يستطيع جهد الإنسان بالغا ما بلغ أن ينتصر على هذه المعوقات.

ولو تركزت هذه الحقيقة في أذهان أصحاب الحضارات المادية لتواضعوا وقللوا من غرورهم وتطاولهم!!

نظرة إيمانية

وليس هذا فقط هو ما يجعل جهد البشر في بناء الحضارة ضئيلا تافها.. بل

هناك ماهو أخطر لو نظرنا إلى الموضوع نظرة إيمانية.

ذلك أن عناصر الكون التي تخضع لتجارب الإنسان.. ومواده المختلفة المنبثة هنا وهناك وخاماته التي تستخدم في تحقيق الأهداف العلمية كل ذلك من صنع الله.. يقول سبحانه: ﴿**ألم نجعل الأرض مهادا**﴾ آية ٦ سورة النبأ.

ويقول: ﴿**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه**﴾ آية ١٣ سورة الجاثية.

ويقول: ﴿**الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار**﴾ آيات ٣٢، ٣٣، ٣٤ سورة ابراهيم.

ويقول عز من قائل: ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**﴾ سورة الحديد ٢٥ كل هذا الفيض الدافق من آيات التسخير وغيرها يعطي الدلالة القوية على أن جهد الإنسان المبذول في صناعة ليس إلا جانبا ضئيلا من الحقيقة الكبرى التي يذهل عنها إنسان الحضارة المادية وهي أن العلم وحده لا يكفي، وجهد الإنسان مجردا لا يعطي ثمرة... وليس من الحكمة أن يغتر صناع الحضارة بما قدموا من نماذج. ولو أتيح لهم حظ من إيمان لكانت النظرة متوازنة ولذهب عنهم هذا الخداع المادي الذي يعمي بصائرهم، فيبدد ثمرات حضارتهم!!

ولنقرأ معا هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الزخرف، ولنعمق النظر في قوة الدلالة على صدق ما قدمنا من أن أخطر آفة تهدد حضارة اليوم هي إمعانها في الغرور بسبب جهلها بالحقيقة الكبرى.. وهي تسخير الكون للإنسان، ليبتكر ويخترع، ويحلل ويركب ويستغل طاقاته المتاحة في صناعة الحضارة.. مستخدما تجاربه وعقله الذي هو منحة كذلك من الله العلي القدير.. وأيسر نظرة إلى ذلك تخفف من غلواء الإنسان المعاصر.. وتكشف أنه ليس إلا جزءا يسيرا من هذا الكون الكبير الذي يموج بالأسرار والخوافي!!

يقول سبحانه: ﴿**والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون، لتستووا على ظهوره، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه، وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين**﴾ آيتا ١٢، ١٣ من سورة الزخرف.

هكذا من خلال ماسبق من آيات.. يظهر جهد البشر قليلا جدا في صنع الحضارات.. وأن هذا الجهد بجوار تيسير الله.. وما بثه في الكون من عناصر ومواد، وما سخر من دابة.. يبدو جهدا محدودا لا يتيح لأصحابه أن يستبدوا أو يفتروا أو يشمخوا.

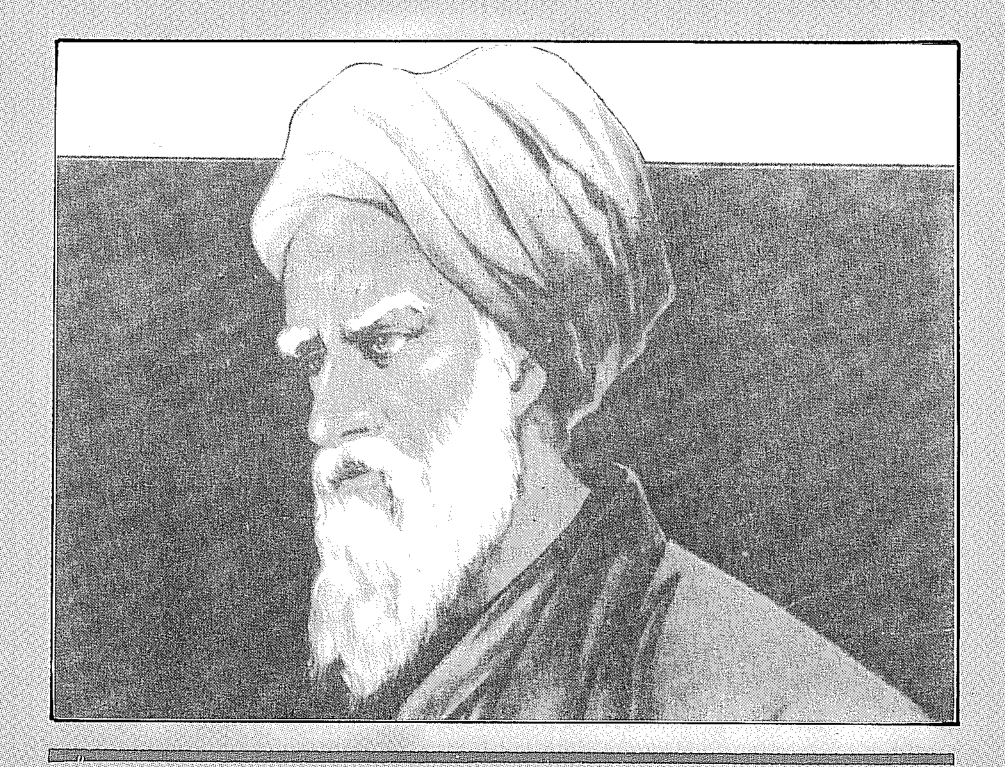
فالله عز وجل هو الذي مهد الأرض للإنسان وجعلها مجالا لنشاطه.. وهو الذي هيأ وسائل الانتفاع بها، والاستفادة بعناصرها، وهي عناصر لم يخلق منها ذرة واحدة، ولا كان في استطاعته أن يتهدى إليها فضلا عن أن يخلقها..

وقد مكنه الله من السيطرة على هذه العناصر بقوانين العلم ليتحقق إعمار

الأرض وصلاح الحياة وتلك هي وظيفة الإنسان التي خلق من أجلها ولكل أمة مواهبها واستعداداتها في هذا المجال. إن كل مافي الكون مسخر لنشاط الإنسان من سماء ونجوم وأنهار وحيوان فهل يعجزه بعد ذلك أن ينتفع بها ويسيطر عليها بل ويخضعها لإرادته بعلمه وتجاربه!

ذلك سهل ميسور إذا ما استغل الإنسان معارفه وتجاربه وعلومه في عملية الإبداع والابتكار في مادة تعينه وتدفعه وتثير مواهبه وملكاته.. فإذا تم له ذلك فقد أدى واجبه وحقق رسالته.. فعليه أن يتجه إلى الذي أعانه وأمره بالشكر والثناء.. لا أن ينسى فضل ربه فيسرف في الغرور والادعاء لكن: كيف يكافح الإنسان صانع الحضارة آفة الغرور وعوامل الصلف والبغي؟

ذلك ما نجده واضحا صريحا في آيتي الزخرف.. ولنأخذ مثلا النموذج الأول الذي ترشد إليه الآية.. وهو نموذج خلق الأنعام.. فهي جميعا من صنع الله.. تمت بقدرته وعلمه.. وما علي الإنسان إلا أن يركب ظهورها منتفعا بها أو مستمتعا بجريها كما قال سبحانه: ﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**﴾ النحل ٨ فماذا بذل الإنسان من جهد في هذا الصدد؟ هل مجرد اعتلائه على ظهر الدابة أو امتطائه لصهوة الجواد يعطيه الحق في أن يغتر ويشمخ وينسى فضل ربه؟ يقول عز وجل ﴿**لتستووا علي ظهوره.. ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه. وتقولوا: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين**﴾



الزخرف ١٣ أي مطيقين قادرين.. هذا الذكر الخالص لله.. عند الاعتلاء على ظهر الحيوان.. يخلص الإنسان من عوامل غروره يذكره بحجمه الضئيل وجهده القليل لأنه لم يزد على أن ركب فاستوى على ظهر الحيوان.. لكن لماذا كان ذكر الله في الآية مقترنا بالاستواء على ظهر الحيوان؟ ذلك لكي يتنبه الإنسان إلى حجمه كلما أتيح له أن يمتلك ناصية الحضارات ويسيطر على منجزات العلم.. فهذا الوقت بالذات هو الذي تهاجمه فيه مركبات النقص، وجنون العظمة، وعوامل الخداع والغرور.. فإذا تحصن بذكر الله في تلك اللحظة احتفظ بتوازنه فوق القمة العالية وتذكر فضل ربه عليه!!

وليس المقصود فقط هو هذا النموذج من ركوب الحيوان بل إنه واحد فقط من النماذج المسخرة للإنسان.. فكل إنجاز للإنسان ينبغي أن يقترن بذكر الله ليباركه الله.. ويذهب عنه كيد الشيطان.. لأنه مهما يحقق ذلك الإنسان من نصر فهو مفتقر إلى فضل ربه مهما يذلل من قوى الطبيعة، ويحول مجرى المياه، ويبني السدود العالية، ويشق الترع والمصارف، ويحفر الأنفاق، ويحطم الذرة، ويصنع الصاروخ. ويخترع القنابل، لأن دوره في ذلك كله وفيما هو أخطر منه مما سيتحقق من منجزات.. دور ضيل جدا وثانوي للغاية.. أما جوهر الموضوع فهو من الله وإلى الله!!

نعم ما أحري الإنسان المعاصر المفتون بالمادة أن يهتف كلما أتيح له أن ينجح في تحقيق أمله أو أن ينتفع بثمرات جهده **﴿سبحان الذي سخر لنا هذا.. وما كنا له مقرنين﴾** الزخرف ١٣.

إن ذلك هو شعار كل حضارة مثمرة مباركة!! لأنه يرد الأمور إلى مصدرها الحقيقي - وبه يظل الإنسان علي تواضعه فلا يقتله غرور العظمة، ولا تجتاحه مركبات النقص، ولا تطغى عليه عوامل الاستبداد والبغي.. ولا يعبد حضارة صنعها بيديه.. وبهذا الشعار أيضا يتم الاعتراف الكبير بدور القدر في بناء الحضارة. وبه كذلك تتناسق الماديات مع الروحيات.. وبذلك تنسجم الحضارة مع قانون التسخير الإلهي.

من إيحاء هاتين الآيتين

نعم.. ما أروع الإيحاء الذي تعطيه هذه الآية.. لو أصغينا إلى همس الحكمة الكامن فيها ولم نتوقف عند ظاهر اللفظ.. إنها تحدد رسالة الإنسان في الحياة.. رسالته أن يجد في العمل ويواصل الكفاح ليتمكن من السيطرة على عناصر الكون فيحقق السيادة لنفسه والسعادة لجنسه وليكون جديرا بالاستخلاف في الأرض..

وذلك يقتضي شحذ المواهب وتحريك القدرات.. ليستعلي على عناصر الكون «لتستووا على ظهوره».. هذا هو دور الإنسان.. جهد وعمل وعرق في كون مهيأ.. وعناصر موجود.. لم يكلف بما ليس في طاقته.. وبهذا الجهاد تتمايز الشعوب وتختلف الأقطار.. هناك شعوب نائمة لا تستغل ما خلق الله من عناصر.. ولا تحرك طاقاتها.. فهل يمكن لها أن تتقدم؟ أو تظفر برضوان الله؟!

وقوله سبحانه **﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾.**

تقرير لحقيقة ضخمة لها أهميتها في حفظ توازن الإنسان تلك هي أن المنجزات الحضارية إنما تتم بإقرار الله وتسخيره

ثم بجهد البشر فواجب أن يـذكر الإنسان ذلك ولا ينسـاه وبـــذلك تقترن الماديـات بالـروحيات!! فلا يصـاب الإنسان بعمى البصيرة فتـذهب حضـارتـه مع الـريح وذكر الله من ناحيـة أخرى وسيلة لطرد الشيطان الذي يحاول أن يـزين للإنسان الغـرور أو يسـول لـه عبـادة المادة كما سول لغيره من رواد الضلال.

وقوله سبحانه: ﴿وما كنا له مقرنين﴾

هــــو استكمال للحقيقـــة التي يجريها الإنســان على لســانه ويصـدقهـا بقلبـه ليتحصن ظــاهـرا وبــاطنـا من كيــد الشيطان.

فكأنا قولـه سبحانه: **﴿ثم تـذكـروا نعمـة ربكم﴾** تعني استحضــار القلب وامتلاء الـوجدان وقـوله: **﴿وتقـولـوا: سبحان الذي سخر لنا هذا﴾** تعني نطق اللســان والاعتراف بصريح المقال ليكـون ذلك أدعى لصالح شأن الإنسان.

والآية بمنطقها وإيحائها ــ توجه كل الحضــارات المادية وجهـة روحيـة لأنها تعالج في الإنســان نوازع الغـرور وخداع النفس بعـــد أن يمتلـك نــاصيـــة المادة ويسيطر عليهـا ليظل جوهره نقيـا بعيدا عن كل صلف وغـرور ولـذا اتجهت إليـه تكفكف من غـروره وتكبـح من جماحـه وتـــذكـــره أنـــه ليـس وحـــده في صنع الحضـارة.. بـل فضل الله أكبر ومعـونته أعظم.. وذلك يستـدعي أن يظل معتصما به ذاكرا اياه.

ولأن من طبيعـــة الإنســان الغـــرور وتجاهل النعمـة ركزت الآيـة على ضرورة الإقـرار لله بـالفضل بالقلب واللســان.. ومتى؟ عندمـا يعتلي الظهر ويستوي على القمـــة.. وبـــذلك لا يختل ولا يهوى إن إشعــاع الآيـة في الـواقع يترامي إلى بعيـد بعيد.. وهـــي أن نقر لله بـالفضل عنـدما نوفق إلى اختراع نافـع ــ وهو اتجاه يجعل الحضــارات الإنسانيـة مسبحـة عابـدة شـــاكـــرة لاتحتكـــر، ولا تستغل، ولا تستخدم في القهر ، والاستعبـاد.. وبذلك يظل الإنسان منسجما مع الملأ الأعلى..

ويأتي في النهايـة إيحاء قوي [وإنا إلى ربنا لمنقلبون].

وهــو إيحاء ينذر صنــاع الحضـــارات بأن المصير إلى اللـه.. مهما يطـل العمـر.. وتمتد الحياة وأنهم محاسبون على بغيهم وعتوهم..

وهذا الإنذار الـراعب من شأنه أن يهز الضمير، ويحرك الـوجدان ويـرج النفس رجـا عنيفـا لتتنبه إلى مصيرهــا المحتـوم فتصلح الفـاسد وتقوّم المعـوج وتخلص النية لله.

واللـــــــه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

الأمانة بين القرآن والسنة

بقلم أ.د : محمود محمد عمارة

يقول الحق سبحانه:

﴿إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾ النساء/٥٨

تمهيد:

الأمانة . والعدل. من أسس التمدن الإنساني:

ذلك بأن بقاء الأمة منوط بما يلي:

أ ـ حسن التعامل .

ب ـ توخي المنفعة.

وروح ذلك : الأمانة . والعدل.

فلو حرمت الأمة الأمانة .. لفسدت أحوالها. وطمع فيها من يسومها خسفا. ويستبد بها عسفا. ويسلط عليها الفقر والعوز. والذل المعجز.

ولو ذهب فيها العدل .. لذهبت الثقة . فقل النتاج .. وعرضت الأمة نفسها للزوال. في معترك لا يبقى فيه إلا أولو العزم من الرجال.

سبب نزول الآية الكريمة

(منع عثمان بن طلحة مفتاح الكعبة. فلوى على رضى الله عنه يده. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها. فنزلت. فأمر صلى الله عليه وسلم عليا برد المفتاح. والاعتذار اليه. فقال له عثمان: أكرهت. فآذيت. ثم جئت ترفق؟

فقال علي:

إن الله تعالى قد أنزل في شأنك قرآنا. فأسلم)

وسوف نخص فضيلة الامانة بمزيد من العناية. وهي التي بدأ الله تعالى الأمر بها.. لانها سليقة الإنسان الشخصية .. بينما العدل هو: السلوك القولى والفعلى مع الآخرين.

مناسبة الآية لما قبلها

قبل هذه الآية الكريمة يقول تعالى:

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا﴾.

ومعنى ذلك : انه تعالى بعد أن وعد المؤمنين العاملين بالجنات ومافيها من نعيم مقيم.. ذكر في الآية التي نحن بصدد تفسيرها طليعة الأعمال التي بها تنال الجنة.. وهي: الأمانة والعدل.

معنى الأمانة

الأمانة تعني : القوة..

والأمين : القوى. لأنه يوثق بقوته.

ومنه ناقة أمون : أمينة . وثيقة الخلق. قد أمنت من الضعف. وهي التي أمنت العثار والإعياء.

وفي الأثر : الزرع أمانة والتاجر فاجر : فالزرع أمانة. لسلامته من الآفات التي تقع في التجارة من التزيد في القول. والحلف.

والمفروض في المسلم ان له من ضميره حارسا يقظا يمنعه من الاستجابة لدواعي الإغراء من حوله.. ومن داخله.

فالنفس والهوى .. والشيطان والدنيا.. كلها تتنادى بالانحراف.. وبهذا الإنسان تحت سطوة الاغراء ليخون..

فاذا تجاهل ذلك الاغراء .. ومضى لسبيله. منفذا أمر ضميره.. على حداء إيمانه.. فذلك هو الانتصار.. وهذا هو المؤمن القوي الأمين.

استعمالات الأمانة

وردت الأمانة في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: في الدين والديانة:

﴿وتخونوا أماناتكم﴾ الأنفال / ٢٧

الثاني: في المال والنعمة :

﴿ولا تكن للخائنين خصيما﴾ النساء/ ١٠٥

الثالث: في الشرع والسنة:

﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل﴾ الأنفال / ٧١

أى إن تعرضوا لخيانتك في المستقبل بالأذى. فقد خانوا الله من قبل بالكفر. فأمكن منهم في بدر.

أو : إن تركوا الأمانة في السنة. فقد تركوها في الفريضة (راجع بصائر ذوي التمييز ٢/١٥٢)

الرابع: الخيانة بمعنى الزنا : **﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾** يوسف / ٥٢

الخامس: بمعنى نقض العهد والبيعة:

﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ الأنفال/ ٥٨ أي نقض عهد. هذا تفصيل الخيانة في الأمانة.

ويرد لفظ الأمانة على وجهين:

الأول: بمعنى الفرائض : **﴿إنا عرضنا الأمانة﴾** الأحزاب/ ٧٢

الثاني: بمعنى العفة والصيانة: **﴿إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾** القصص/ ٢٦.

أساس الأمانة

يقول صلى الله عليه وسلم:

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: فالامام راع ومسئول عن رعيته. والرجل راع في أهله. وهو مسئول عن رعيته. والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها. والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته)(رواه البخاري)

والحديث الشريف يشير إلى عموم المسئولية : من الخادم.. إلى رأس الدولة. ولعل زيادة ضمير الفصل في جانب: الزوج.. والزوجة.. والخادم.. علاج لما يمكن ان يكون في البيت من تسيب يحمل على التنصل من المسئولية الفردية. وتعليقها بالأطراف الأخرى داخل البيت أو خارجه..

فـــالأب .. والأم .. والخادم.. كلهم مسئـولون مسئـولية مبـاشرة: كل فيما يخصـه.. اما بـالنسبـة لـرئيس الدولـة فمسئوليته مقـررة لا تحتاج إلى لفت نظر بمثل ضمير الفصل المذكور مع الآخرين.

وعن هـذه المسئوليـة : يأخـذ الضمير وضع الاستعداد.. حماية للأمانة.

أهمية الأمانة

في الآية الكريمة دليل أهميتها:

أ ـ فحرف التوكيد «ان» على رأس الآية الكريمة يبادر فيؤكد ضرورة الاستمساك بها.

ب ــ ولفـظ الجلالـة «اللـه» يـوحي بـالـرهبة والخشيـة من عقبى التفـريط فيها.

جـ ثم إن الخطـاب مباشر منـه تعالى للنـاس كـافـة (يأمـركم) دون تـوسيط الـرسـول صلى اللـه عليـه وسلم. الـذي تنتهى مهمته بالبلاغ.

د ـ ثم هو تعالى يأمر الناس جميعا: من عنده الأمانة

والمجتمع الـــذي يـــراقـب ويتـــابع. ويساعد على التنفيذ.

ثم هـو تعـالي يأمـر بـالأداء... بفعل المضـارع المفيـد استمـرار الـوفـاء بحق الأمـانـة لتظل شـارة الأمـة التي تـريـد لنفسها البقاء.

ثم هو الأداء إلى أهل الأمـانة : فجارا .. كانوا . أو أبرارا.

فالأمانة في الاسلام كالعدل : مطلقة لا نسبية.

وترتفع قيمـة الأمانـة إلي حد لا يغني بذل الحياة عنها:

عن عبدالله بن مسعـود رضي الله عنه قال:

(القتل في سبيل اللـه يكفـر الـذنـوب كلها. إلا الأمانـة)(من حديث رواه أحمد) ثم تتسع دائرتها لتشمل المؤمن والكافر.. والبر والفاجر.

قال ميمون بن مهران : (ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر:

الأمانة . والعهد . وصلة الرحم)

وذلك سر حـرص الرسـول صلى الله عليـه وسلم على التـذكير بها. والتركيـز عليها في كل موعظة:

عن انس رضى الله عنه قال:

(ماخطبنا رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم إلا قال:

لا إيمان لمن لا أمانة له. ولا دين لمن لا عهد له)(رواه أحمد)

ومن هنـا اشترط فيمن يتـولى أمـور المسلمين أن يكون قادرا على الـوفاء بحق الأمانة في تدبير أمورهم.. وليس كل مسلم صالحا لها.

عن ابى ذر رضى الله عنه قال:

قلت يارسـول الله ألا تستعملني؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال:

يـأبا ذر: إنك ضعيـف. وإنها أمانـة. وإنها يوم القيـامة خزى ونـدامة. إلا من أخـذهـا بحقها وأدى الـذي عليـه فيهـا) (رواه مسلم)

(إن الكفاية العلميـة أو العملية ليست لازمة لصلاح النفس:

فقد يكون الرجل رضي السيرة. حسن الإيمان.

ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة مايجعله منتجا في وظيفـة معينة. ألا ترى إلى يوسف الصديق؟

إنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته وتقـواه فحسب. بل بحفظه وعلمه

أيضا: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ يوسف/ ٣٥

وأبو ذر لما طلب الولاية لم يره الرسول جلدا لها. فحذره منها.

والأمانة تقضي بأن تصطفي للأعمال أحسن الناس قياما بها. فاذا ملنا عنه إلى غيره ــ لهوى أو رشوة أو قرابة ـ فقد ارتكبنا ـ بتنحية القادر وتولية العاجز ـ خيانة فادحة)خلق المسلم ٥٢

معنى جمع الأمانة

تطالبنا الآية الكريمة برد الأمانات.. اذن فهي أمانات.. لا أمانة واحدة..

أ ــ أمانة مع الله تعالى .. بحسن عبادته.

ب ــ ومع العباد : الأبرار والفجار (الأسرة .. الجار .. الحاكم..)

جـ ـ ومع نفسك.

فمن الأهمية بمكان أن تكون أمينا على أسرتك بحسن رعايتها..

ومع جارك بحفظ اسراره والمسارعة الى مساعدته. ونجدته.

ومع الحاكم بنصحه.. وبالتي هى أحسن.. فإن أسأت في الوسيلة فأنت خائن.. فإن مخاشنة الحاكم القادر علي التنكيل بك فتنة للنفس.. وإذا كنت تعتقد أنك ريح .. فقد واجهت اعصارا.. وتذكر قول القائل.

ايا ضاربا حجرا بالعصا
ضربت العصا أم ضربت الحجر

الأمانة بين الترغيب والترهيب

رغب صلى الله عليه وسلم في الأمانة فقال:

(تقبلوا إلي ستا أتقبل لكم بالجنة: اذا حدث أحدكم فلا يكذب. واذا وعد فلا يخلف. واذا ائتمن فلا يخن)(رواه أبويعلي والحاكم والبيهقي)

وفي الترهيب منها يقول:

(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها:

إذا ائتمن خان . وإذا حدث كذب . وإذا وعد غدر . وإذا خاصم فجر)(رواه البخاري ومسلم)

فإذا اقتربت بك الأمانة من الجنة بل وأدخلتك فيها.. فإن على رأس ما يبعدك عن الجنة ويدعك إلي نار جهنم دعا: الخيانة..

من أجل ذلك كان صلي الله عليه وسلم يقول:

(اللهم إني أعوذ بك من الجوع. فانه بئس الضجيع..

وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة)(رواه أبوداود)

ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أمته كيف تحافظ على دنياها بالشبع.. وكيف تحافظ على دينها بالأمانة..

وكيف تجعل من مثل هذا الدعاء الوافي شعارا لها تتجه به إلي ربها ليصون لها دينها ودنياها.

دلالة التعبير بالأهل

أنت مطالب برد الأمانة إلي أهلها.. فانت لست أهلا لها.. وانما هى استثناء عندك.. انها عارية مستردة..

وقد تتجاهل فتظن انك أهلها .. فتجحدها.. وحينئذ فهي بنت غير شرعية

.. فعد بها الى أهلها.. الذين تعبوا في تحصيلها.

وحتى النصيحة : لقد انتصحت انت بما نصحك به غيرك.. فلا تبخل برد الجميل الى غيرك.. برد هذه النصيحة إليه لينتفع بها مثلك.. اي ان النصيحة امانة عندك.. فأخرجها.. وعد بها علي المحتاج اليها..

(لاتجبوا الحكمة عن أهلها فتظلموهم.. ولا تمكنوا منها من ليس أهلا لها.. فتظلموها)

لقد ضاق معنى الأمانة وضمر في اذهان الناس فقصروه على باب الودائع وضرورة الحفاظ عليها. ثم ردها إلي ذويها.

مع ان ذلك شعبة واحدة من شعب الأمانة. ومجال ضيق من مجالاتها.. وفي الاثر:

المؤمن مؤتمن ..

والمجالس أمانة..

والمؤذن أمين على صلاة الناس. وصيامهم.

واذا كانت المجالس امانة فلا يعاد مايجرى فيها من قول أو فعل.

فكان ذلك أمانة عند من سمعه. أو رآه.

إلي غير ذلك من صور النشاط الإنساني.

من مجالات الأمانة:

الأمانة مع الأهل

واخطر مجالات الأمانة ما كان للزوج مع زوجته:

إن الزوج ليعلم من اسرار زوجته. وعيوبها ما لا يعلمه أبوها ولا أمها ولا إخوتها. ومن ثم كانت الأمانة آكد في حقه بمقدار مايعلم من أسرار:

وقد نبه صلى الله عليه وسلم إلي هذه الخطورة بقوله: (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته. وتفضي إليه. ثم ينشر سرها)(رواه مسلم)

إن الزوج هو الذي باشر ورأى.. ومن ثم فهو مصدق دون أن يطالب بالدليل.. ومن هنا تأتي الخطورة لو أذاع الأسرار.

وربما ظل الأمر سرا إلى أجل قريب.. ثم يحدث الخلاف.. فتفوح الروائح الكريهة.. ويتطاير الشرر الذي يصيب الأولاد.. ويتهدد سمعتهم.

وفي تحذيره صلى الله عليه وسلم من ذلك تروي اسماء بنت يزيد انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. والرجال والنساء قعود عنده. فقال:

(لعل رجلا يقول مافعل بأهله.

ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها.

فأزم القوم ــ أي سكتوا مشفقين ــ فقلت:

أي والله يارسول الله!!

انهم ليفعلون.. وانهن ليفعلن !!

قال : فلا تفعلوا .. فان مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة. فغشيها والناس ينظرون)(رواه أحمد)

ان القيادة هنا غير معزولة عن القاعدة..

بل هي تعيش معها .. وتتحسس عيوبها بغية علاجها.. وهكذا احس الرسول منهم عادة غير لائقة ربما تورطوا فيها متساهلين متجاوزين.. فألمح إلى هذه العادة الذميمة.

فسكت القوم آسفين وجلين حين انكشف الغطاء عن سوء مايفعلون.. وهو ما صرحت به اسماء بنت يزيد شاهدة

بأن ذلك واقع من الجنسين معا.. ومن رحمة الرائد هنا انه طوى صفحة الأمس.. وحذر من معاودة الفعل مستقبلا: (فلا تفعلوا ..) ثم هز ضمائرهم هزة أيقظتها على شناعة هذا المسلك.. الذي يشبه شيطانا مع شيطانة في لقاء على قارعة الطريق!!

واذا استوى الرجل والمرأة في تحمل مسئولية حفظ السر.. فان الرجل بحكم طبيعته وجرأته ومخالطته للناس.. أكبر مسئولية كما يفيد تقديم الزوج في الذكر في حديث اسماء الآنف. وهو اشر الناس على الاطلاق لو أذاع سرا من مصلحته هو أن يصان:

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها) (رواه مسلم)

ولقد كان العربي يتغنى بالأمانة ويغالي بحفظها.

قال شاعرهم :

ألم تعلمي يا اسم ويحك انني
حلفت يمينا .. لا أخون يميني
اي : من ائتمنني

وكان للعرض تقديره الخاص:

قال الشاعر :

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها

وقد صقلها الإسلام.. ووصل بها المسلمون — وبخاصة في مجال الأسرة — إلى قمة عليا.

فقد كان ابن عباس يقول:

اني أحب ان اتزين لزوجتي كما أحب ان تتزين لي.

وهكذا يبلغ الحرص على حق الزوجة في أمور قد تدق عن الافهام فلا تدركها.. وبذلك وقى الإسلام الأسرة المسلمة من الانهيار الذي لحق أمما أخرى كاليهود: تركوا التجمل لنسائهم.. فزنت نساؤهم!

أمانة التجار

قد يظن التاجر الجشع ان تحصيل الرزق يتم بالسعي وحده.. ناسيا تقدير الله سبحانه وتعالى.

من أجل ذلك ينطلق كالمسعور في كل اتجاه.. مفسدا بهذا الشعار طعم الحياة.. ثم لا يأتيه في النهاية الا ماقدر له من رزقه. الذي يطلبه.. كما يطلبه أجله.

مخاطر الجشع

ولهذا الجشع المندفع في غيبة الإيمان آثاره الضارة في عالم الضمير.. وعالم الواقع:

١ ـ ان الربح الوفير قد يغري بالتنازل عن حق الإنسان في الكرامة.

٢ ـ عدم تحكيم الشرع في تحصيل الرزق.. ومن ثم لا يحتاط في كسبه الذي قد يكون حراما ما حقا للبركة.

٣ ـ التحامل على زملاء المهنة ليستأثر بالزبائن دونهم.

٤ ـ كثرة الإيمان الكاذبة ارادة ترويج سلعته.. وهو ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم: (الحلف منفقة للسلعة. ممحقة للبركة) (أبو هريرة : في الصغير ٣٨٣٠)

يقول المناوي :

(أي اليمين الكاذبة على البيع: منفقة

أي : مفعلة من نفق البيع: راج. ضد: كسد. أي مزيدة.
وممحقة : مفعلة من المحق. أي : مذهبة للبركة).

معادلة سهلة

ومعنى ذلك : ان التهالك على جلب الرزق عن طريق الحلف لون من الدعاية للسلعة ليكثر طلابها. كما ان المرأة تتزين ليكثر خطابها!

لكن الحديث الشريف يؤكد : ان الحلف الخداع وان حقق ربحا. لكنه في النهاية خسارة تذهب بالبركة.

ولكن .. ماتفسير هذه المعادلة التي تبدو للوهلة الأولى عصية على الفهم؟

ان الحلف بالله تعالى لون من الدعاية.. بالتكرار.. وشأن المسلم دائما: انه من خدعنا بالله انخدعنا له.. ومعنى ذلك: انه سيقبل على السلعة تحت تأثير هذه الدعاية المكرورة.. وعندئذ يكثر ربح البائع.. بل وتتضخم ثروته.. ثم يملي له الربح الوفير.. فيزداد عتوا..

الحساب الختامي

ولكن العبرة بالحساب الختامي الذي لن يكون ابدا في صالح هذا التاجر الحلاف: فسوف تستيقظ نفس المشترى يوما.. ثم تتفتح عيناه على حقيقة مايرى..

ولا شك ان تبادل المعلومات بين ابناء الحي المخدوعين سوف تنتهي إلى اسئلة عريضة تبحث عن الجواب الشافي على النحو الآتي فيما يشبه محاكمة غيابية لهذا التاجر المخادع: ان كثرة الحلف مذمومة شرعا بدليل قوله تعالى :

﴿ ولاتجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾
البقرة/ ٢٢٤

واذن .. فلماذا يحلف هذا التاجر.. بل لماذا يكثر الحلف بمناسبة وغير مناسبة؟ ان احدا لم يفرض عليه أن يحلف؟
فلم الإصرار إذن؟

ثم .. إنه مادام واثقا بجودة سلعته. وتفوقها. واعتدال ثمنها بالنسبة لسلع زملائه.. فلم لا يترك السلعة تعلن عن نفسها.. دون أن يستغل اسم الخالق سبحانه.. والذي ينبغي ان يصان فلا يستغل في مساومات الأسواق؟

وإلى جانب ذلك : لماذا تميز هو بالحلف دون غيره من التجار المجاورين؟

الحقيقة المرة

وهنا يصل المشتري الى الحقيقة التي تفرض نفسها فرضا:

أن هذا التاجر — دون غيره ـ لا شك يخفي بكثرة الحلف عيبا في سلعته. وعندئذ تهتز ثقة المشتري به.. ثم تنهار .. وهي رأس مال التاجر! ولم يبق الا أن يتخذ المشترى قراره بالانصراف عن هذا التاجر الخداع. الى غيره ممن لم يجعلوا الله عرضة لأيمانهم.

وهنا تنحسر موجة الربح إلى الصفر.. إلى جانب الحسرة على عملاء يراهم بعينه يديرون ظهورهم له.. مقبلين على غيره من منافسيه.. فتحترق أعصابه في الوقت الذي تحترق فيه ثروته..

وإذن .. فسوف يضطرب في يده الميزان .. ولن يحسن التخطيط بمزاجه المعتل وعقله المختل..

مفتاح الرزق

لقد اراد هذا التاجر وأمثاله فتح أبواب الرزق بغير مفاتيحها.. من معصية الله تعالى .. ولو عالج هذه الأبواب بطاعة الله تعالي والشفقة على الإنسان.. لتغير الموقف.

يقول ابن الجوزي في هذا المعنى:

(يافاتحا أبواب المعاش بغير مفتاح التقى. كيف توسع طريق الخطايا، وتشكو ضيق الرزق. .

لو اتقيت. ماعسر عليك مطلوب.

مفتاح التقوى يقع على كل باب.

مادام المتقى على صفاء التقى. لا يلقي حينئذ أذى.

فان انحرف عن التقى .. التقى بالكدر.

فلما توليتم عنا .. تولينا.

لاتزال بحار النعم على الخلق في الزيادة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) ويحك:

انما خلقت الدنيا لك. افيبخل عليك بما هو ملكك؟

انما في طعبك شره . والحمية أوفق.

يا أعز المخلوقات علينا . ارض بتدبيرنا.

ليس العجب تغذي المولود في حال الحمل. بدم الحمل. لاتصاله بالحي. انما العجب أن البيضة اذا انفصلت من الدجاجة. فمن البياض يخلق الفرخ. وبالمخ يتغذى. فقد اعطى المتخلق زاده قبل سفر الوجود.

اذا انفقأت بيضة الغراب. خرج الفرخ أبيض.

فتنفر عنه الأم . لمباينة لونها.

فيبقى مفتوح الفم.. والقدر يسوق الي فيه الذباب.. فلا يزال يتغذى به حتي يسود لونه. فتعود الأم!

ألهم الله النملة ادخار القوت .. ثم ألهمها كسر الحب قبل ادخاره. كي لاينبت. والكسفرة. وان كسرت قطعتين تنبت. فهي تكسرها اربعا.

وفي كل شيء له آية

تدل على انه الواحد

لو رأيت العنكبوت حين تبني بيتها. لرأيت صنعة تعجز المهندس:

انما تطلب موضعين متقاربين.. بينهما فرجة .. يمكنها مد الخيط اليها. ثم تلقى لعابها علي الجانبين. فاذا احكمت المعاقد. ورتبت القمط كالسد. اشتغلت باللحمة. فيظن الظان ان نسجها عبث.

كلا .. انها شبكة للبق والذباب.

وانها اذا اتمت النسج انزوت إلى زاوية. ترصد رصد الصائد. فاذا وقع في الشبكة شيء . قامت تجني ثمار كسبها فاذا أعجزها الصيد. طلبت لنفسها زاوية.. ووصلت بين طرفيها بخيط. ثم علقت نفسها بخيط آخر. وتنكست في الهواء. تنتظر ذبابة تمر بها. فإذا دنت منها. رمت نفسها اليها. فأخذتها. واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجلها. افتراها علمت هذه الصنعة بنفسها؟

أو قرأتها على أبناء جنسها؟

افلا تنظر إلى حكمة من علمها؟

لقد نادت عجائب المخلوقات على نفسها. ترشد الغافلين إلى الصانع. غير **﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾**

فليحذر الإنسان

هذا طرف من حكمة الصانع الرازق

المدبـر.. في مملكـة الحشرات.. فليتنبـه الإنسـان.. وليحـذر مـا وراء الغفلـة من خسران مبين..

ان التاجر المستغل..
كالعالم المتكبر..
كالعامل المهمل..
كل اولئك يبيع الياقوت.. بالحصى!
انهم يستبدلون الذي هو ادنى:
الاستغلال .. والكبر .. والاهمال..
بالذي هو خير:
القناعة .. والتواضع .. والجد..

ولايجمل بـالمؤمن ان يطلب الـرزق بالحيلة والخداع.. والحلف الكاذب.. وانما لنسعى إليه بالوسيلة الشريفة:

فاذا اتى ــ وهو آت لا محالة ــ فذلك فضل الله تعالى.. واذا بدا انه تأخر قليلا.. فان لنا في طاعة الله تعالى خير عوض.

إن للشيطان مسالكه الدقيقة الخفية في مجالات البيـع والشراء.. وكـــان الصالحون يتعوذون من السـوء.. عندما يدخلون السوق.. حيث يستثير الشيطان غــريـزة حب المال المتمكنـة في كيـان الإنسـان.. النـزاعـة إلى التملك ولـو من طريق حـرام.. ولذلك سد الـرسول صلى الله عليـه وسلم منافـذ الشيطان.. فنهى عن الخداع.. والخيانة..

قال صلى اللـه عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا. ومن غشنا فليس منـا) رواه مسلم وفي روايـة «من غش» وهي ابلغ من الأولى. من حيث تنـديدهـا بالغش. بغض النظر عن دين من تغشه.

مر رسـول الله صلى اللـه عليه وسلم على صبرة ـ كـومة ـ طعـام. فأدخل يده فيها. فنالت اصابعه بللا. فقال:

ماهذا ياصاحب الطعام؟

قال : أصـابته السماء يا رسـول الله.

قال:

افـلا جعلته فـوق الطعام حتى يـراه الناس! من غشنا فليس منا)

واذ يتـدخل صلى اللـه عليـه وسلم مباشرة ليصلح ما افسـد الشيطان.. فقد كـان يعلم الـرجل القليل الحيلـة حتى لا يخدع من قبل الشطـار منهم: ذكـر رجل لـرسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم انـه يخدع في البيوع؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بايعـت فقل لا خلابه)(متفـق عليه) اي لا خداع.

وقـد كان في الأسـواق من لا عمل لهم الا خـداع النـاس بطـرائق شتى ومنهـا النجش وهو: ان يـزيد الـرجل في السلعة. لاليشتريها. ولكن ليغر غيره فيوقعه فيها. وذلك قـولـه صلى اللـه عليـه وسلم: (لاتناجشوا)(متفق عليه).

وأصل النجش : الاستتـار. لانه يستر قصـده. ويقـال للصـائد: نـاجش .. لاستتاره. والنجاش كثير النجش.

والمقصـود بهذه التوجيهـات النبوية المباركـة دلالة التجـار على طريق الـربح الوفير.. والحلال في نفس الوقت:

وفي الحديث:

الأمانة غنى : أي سبب الغنى:

فـالـرجل اذا عـرف بـالأمـانـة كثـر معاملوه. فصار ذلك سببا لغناه.

قال الاعشى:

لقـد شهـدت التـاجـر الأُمَّـا
ن مـــوروداً شرابـــه

أي : الأمين.

من بركات الكسب الحلال

لم يكن هم سلفنا الصالح أن يأكلوا ويتمتعوا.. مسترسلين مع الآمال في امتلاك الدنيا اللاهية..

انهم لم يطلبوا الشهرة.. ولا اندفعت بهم الشهوة وراء المناصب.. أو الثروة.. ولكن الهمة البعيدة تجاوزت هذه الغايات القريبة.. الى الغايات البعيدة.. فلم تقنع بما دون النجوم.

ومن هؤلاء سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه.

قال : يارسول الله: ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ياسعد: أطب مطعمك. تكن مستجاب الدعوة.

والذي نفس محمد بيده: ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما.

وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به.

ان رغبة سعد رضى الله عنه تتجه به الى أعلى في محاولة لتوطيد صلته بربه سبحانه وتعالى. والتي يرجو ان يكون بها في محل رضا ربه تعالى.. بحيث إذا دعاه.. أجابه سبحانه..

لكنه رجل واقعي .. يحس بضآلة حظه من العبادة.. فيلجأ اليه صلى الله عليه وسلم ليجبر بالدعوة المباركة ما نقص من عمله.. ليتحقق أمله..

وكما قال صلى الله عليه وسلم لطالب الجنة: أعنى على نفسك بكثرة السجود.. فانه يقول لسعد: أطب مطعمك. تكن مستجاب الدعوة..

ومعنى ذلك : ان الرسول صلى الله عليه وسلم .. يفسح الطريق أمام الآمال لتبلغ مداها.. لكن الوصول إلى المأمول مشروط بان يغير الإنسان ما به من عوج.. حتى اذا صلحت نفسه.. كانت قاعدة صالحة للانطلاق.. وذلك قوله تعالى ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ فاطر / ١٠

ومن الأمور التي تفسد النفس.. فينتكس دعاؤها : أكل الحرام.. ان اللقمة الحلال تخلص صاحبها من عقدة الذنب:

فاذا هو آمن .. سعيد.. منبسط النفس.. مقبل على الحياة بكل كيانه .. قادر بهذه السعادة ان يسعد الآخرين.. بعلمه.. وعمله.. اللذين انطلقا من قاعدة سليمة.. فرفعها الله تعالى إليه... وتأكدت بذلك صلته بربه.. فكان بحرصه على الحلال.. مشمولا بتوفيق الله تعالى.. فهو سبحانه طيب لا يقبل الا الطيب..

نذكر هذا .. ونتأمل بعض اناس يتمزقون لأنهم يدعون فلا يستجاب لهم. ولو أنهم فعلوا مايوعظون به فأكلوا الحلال.. لسقطت الحواجز بينهم وبين الإجابة والا .. فسوف يظل طريق الإجابة مسدودا وستظل مقصوص الجناح مادمت على حالك مستسهلا الحرام.. حتى على مستوى اللقمة.. ومايساويها مما لا يلتفت إليه أحد:

ان الورقة تأخذها من ديوان عملك.. والمكالمة الشخصية عبر الهاتف الحكومي..

والسيارة المسخرة لصالح المسئول ذاهبة آيبة..

كل أولئك قد فقد من طول الألفة دلالته المخيفة على مافي أنفسنا من استمراء للحرام اليسير.. والذي يجرنا الى ارتكاب الكبير.. وقد تنجو بالاحتياط من الأسد.. ولكن عشرين نحلة قد تقتلك! فاذا سددنا بهذا التساهل طريق الإجابة.. فلا نلوم إلا

أنفسنا.. ان طعم المعصية في الأمر الصغير كطعمها في الأمر الكبير.. وأعظم العيون إبصارا تحجبها قشة!

وبعد : فها هو ذا صلى الله عليه وسلم يقسم على صيرورة اللقمة الحرام نقمة على آخذها. ذلك بانه لا يأكلها.. فيهضمها.. فتسري في بدنه عافية.. فذكرا. فشكرا.. وانما هو يقذفها في جوفه كرة ملتهبة يصير بها رمادا.. وليس للرماد صوت مسموع.. ولا عمل مرفوع.

ابن سيرين التاجر الصدوق

كان الكاتب الروسي «تولستوى» يقول: «اعطني نظرية .. اية نظرية. تجعلني أفخر بانسانيتي.. تجعلني أزداد حبا للسلام. والخير . وسيادة الأخلاق.

اعطني اية نظرية تجعل دموعي جاهزة على خدي. إذا جرحت أصبع لطفل صغير. تجعلني مستعدا لأن أضحي دائما بكل ما في يدي. من أجل مشهد جميل اخلاقي» ونحن لا نقدم للكاتب نظرية هي حبر على ورق.. وانما نقدم له.. وللدنيا كلها واقعا حيا.. يجعل من الأخلاق هدفه الأعلى.. بغض النظر عن مايتنافس فيه المتنافسون من عرض هذا الأدنى..

نقدم له «ابن سيرين» كواحد ممن صنعهم الإسلام على عينه.. فكانوا بالأمانة تاجا على جبين الحياة:

كان ابن سيرين تاجرا غنيا.. لكنه أفلس أخيرا.. وقضى بقية عمره يلاحقه الغرماء.. حتي أودع السجن بعد عجزه عن سداد الديون.. ولكن لماذا تراكمت عليه الديون؟

لقد وصلت به الأمانة حدا أنه كان يملك كمية كبيرة من الزيت.. فرأى فأرا يقع فيه.. فكب الزيت كله على الأرض!

ثم انه لم يكن يقبل الا المال الحلال.. ويرفض ما كان فيه شبهة ولو كان وفيرا.. كان اذا جاءه درهم مزيف امسك به. حتى لا يروج في السوق. حتى اجتمع عنده يوما اربعمائة درهم..

الثرى .. والثريا

وأين من عثمان وابن سيرين رضي الله عنهما.. أين منهما ذلك التاجر الجشع الذي أشار اليه الحديث الشريف: (بئس العبد المحتكر : ان أرخص الله الأسعار حزن.. وان أغلاها فرح) فهو اناني بطبعه.. غير شاعر بآلام الآخرين.. يسحب السلع من السوق ليتنافس الناس في شرائها بثمن مرتفع..

وهو سعيد قرير العين بهذه الأزمة المفتعلة التي اختلقها هو بسوء تدبيره. ولكن الله تعالي له بالمرصاد: يسلبه البركة في ماله وولده. في الوقت الذي يصير جالب السلع للناس ميسرا له أمره. مباركا له في ماله وولده.

منشأ هذا السعار

قضية الرزق من أهم القضايا التي تثير في قلب الإنسان انفعال الخوف على قوته.. وقد يشتد هذا الخوف.. فيحمل الإنسان على بذل كرامته من أجله.. ولكن الإسلام يلاحق هذه اللهفة ــ عبر الأحاديث الشريفة ــ ببيان أن الرزق بيد الله وحده.. ليطامن الإنسان من خوفه..

وليحتفظ بكرامته.. متسلحا بالشجاعة في مواجهة الحياة.. فلا يستسلم لها. في ظل يقين جازم بأن تذله للآخرين.. وإراقة ماء وجهه في طلبه لن يسوق اليه الرزق المقسوم له سلفا..

(وخير من اللهفة على الرزق. والشقاء المستمر بالتطلع للمزيد منه: الرضا بما يقع منه للإنسان. واليقين برحمة الله له. فقد جعل الله فيهما الراحة والفرج للإنسان. وجعل في السخط: الحزن والهم له)

إلى ساحة الرحمة

وعلى البائع .. كما على المشتري أن يتعرضا لمساقط الرحمة.. من طريقها وهو السماحة : قال صلى الله عليه وسلم: (رحم الله عبدا سمحا إذا اشترى سمحا اذا باع سمحا اذا اقتضى).

وتظهر سماحة البائع فيما قرره علماؤنا:

أ ـ ترك الخشونة في الخطاب.

ب ـ تلافي المشاجرة.

ج ـ الالتزام بالتسعيرة المقررة.

د ـ عدم خلط البضاعة الجديدة. بالبضاعة القديمة.

هـ ـ عدم إيثار السلعة الرديئة بالبيع. حتى يتخلص منها أولا. وذلك بخداع المشترى حتى يقبلها.

أما سماحة المشترى فمن مظاهرها:

أ ـ عدم التشدد في المساومة.

ب ـ لا يشعر البائع بالتعالي عليه. حيث آثر بضاعته بالشراء. دون غيره من زملائه التجار

فاذا كان هناك دين فان السماحة تفرض:

أ ـ الترفق في الطلب.

ب ـ انتظار لحظة اليسار.. بلا تعنت.

ج ـ لا يمن ولا يؤذي.

والمقصود الكلي:

ترك الشح الذي اذا تمكن .. ساء به الخلق. وصعب البر على النفس. فيسوء التصرف.

معنى الدعاء بالرحمة

وقد دعا صلي الله عليه وسلم بالرحمة لمن كان متسامحا.. وان الرحمة في نتائجها لتفوق كل ربح مادي يحققه التاجر غصبا.. لانها تعني:

يسر وصول الخير الى البائع والمشتري.. جزاء يسرهما في التعامل.. واذا كان الجزاء من جنس عمل الإنسان.. أقبل عليه.. واشتاق إليه.

من ثمرات التسامح

كان عثمان . وكان ابن سيرين من التجار الذين كسبوا المال من حله. ثم تحروا في انفاقه مصارفه الشرعية فحققوا بهذا الالتزام مايلي:

أ ـ بارك الله لهم في أرزاقهم وأولادهم.

ب ـ يسر لهم الحصول عليه.

ج ـ أثابهم الله تعالى بما تسامحوا وبما آثروا جنات تجرى من تحتها الأنهار.

هذا .. في الوقت الذي يغتنى فيه تجار محتكرون قساة الأكباد. غلاظ القلوب.. لكنهم حرموا هذا الخير.. وما أغنى عنهم كسبهم شيئا .. وإلا فأية سعادة تلك التي يحسها تاجر جشع تتضخم ثروته على

حساب الآخرين من المطحونين..

فهل يستقيم أمر جسم ترهل.. وحوله أشباح هم حصاد مسغبة دبرها الجشعون.. وهبهم يدلون بعافية تسرى في دمائهم.. ولكن لا قيمة لعافية مخصومة من عافية المجتمع كله.. وليت شعري.. كيف يتذوق طعم العافية عضو سليم.. في جسد مشلول؟!

إن صلاح النفس في الدنيا يكون بالقرآن الكريم..

وصلاح المجتمع كله ببذل المال..

وليس بذل المال أن تخرج من جيبك قرشا تسد به جوعة محتاج .. ولكنه بالإضافة إلي ذلك: اتاحة الفرصة لغيرك - اذا كنت تاجرا - ليعيش مثلك.. ثم ليقف إلي جانبك من بعد. يشد من أزرك من أجل مجتمع هو في حاجة إلى كل أبنائه العاملين.

أمانة الموظف:

ونقصد بالموظف كل من ولى أمرا يأخذ عليه راتبا مهما كان حجم العمل صغيرا أو كبيرا ونقول ابتداء:

المفروض في الدولة المسلمة أنها: تدبر للعاطل عملا.. فاذا عمل.. منحته أجره بالعدل.. فاذا عجز.. جبرت عجزه بمعونة هي حقه.. فاذا شاب وقفت إلي جانبه.. ولو كان يهوديا!

وعلى العامل ان يدفع الثمن أمانة فيما أسند إليه من عمل!

فما هي حدود هذه الأمانة:

وقبل ذلك ماهي مسئولية الحاكم عن اختياره للموظف؟

الدقة في اختيار الموظف المناسب

قال صلى الله عليه وسلم: (من استعمل رجلا على عصابة. وفيهم من هو أرضى لله منه. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)(رواه الحاكم)

وعلى هذا الأساس جرت سنة الخلفاء:

عن يزيد بن ابى سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام: يايزيد: ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة.

وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة. فعليه لعنة الله لا يقبل منه صرفا - أي توبة - ولا عدلا حتى يدخله جهنم)(رواه الحاكم)

والدقة في اختيار الموظف المحقق أهداف الوظيفة يوفر على الدولة متاعب الانحراف مستقبلا.. بقدر مايعفيها من سخط القادرين الأحقاء بالوظيفة .. الى جانب مايصيب دولاب العمل من خلل..

الاعتذار عن العمل اذا لم يثق بقدرته على انجازه شرعا:

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه: ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بعثه على الصدقة فقال: ياأبا الوليد :(اتق الله.. لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء. أو بقرة لها خوار. أو شاة لها ثغاء - صوت الغنم -).

قال : يارسول الله:

ان ذلك لكذلك. قال: أي والذي نفسي بيده.

قال : فوالذي بعثك بالحق. لا أعمل على شيء أبدا (رواه الطبراني في الكبير وإسناده صحيح) ونرى في الحديث:

أن عبادة رضى الله عنه رشح لوظيفة محصل للصدقات .. وأراد صلى الله عليه وسلم ان يبين لـه طبيعـة العمل وحـدود مسئوليته التي قد تسـوقه يوم القيامة الى مثل هذا المصير الرهيب..

وفوجيء عبادة بما اعد للخائنين..

واحس في نفسـه ضعفـا يمنعـه من تحمل الأمانة بنجـاح رغم انه غير متهم.. فقرر عـزل نفسه مقـدما.. فـرارا من هذا المصير.

لايحق للحاكم إكراه أحد على وظيفة

فـاذا رفض المرشح تسلـم الـوظيفـة تحرجا.. وحفاظـا عل دينه فليس من حق الحاكم ان يكرهه عليها:

عن أبي مسعود الأنصاري رضى الله عنه قال:

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا ـ جامعا للصدقة ـ ثم قال: (انطلق ابا مسعـود. لا ألفينك تجيء يوم القيـامة على ظهرك بعير من إبل الصـدقة لـه رغاء قد غللته.

قال: فقلت : اذا .. لا أنطلق. قال:
اذا .. لا أكرهك)(رواه أبوداود).

فـاذا بـاشر العمل وأحس بعجـزه عن اتمامـه بشروطـه فليطلب إعفـاءه من منصبه.. جاء في حديث رواه مسلم وغيره بعد مـا حذر رسـول الله صلى الله عليه وسلم من عاقبـة الخيانة: (... قـام إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل أسـود من الأنصار يقـول الراوي: كأنى انظـر إليه فقـال: يارسـول اللـه : اقبل عني عملك . قال: ومالك؟

قال : سمعتك تقول كذا وكذا)

مع مـلاحظـة ان من أنس من نفسـه القدرة على عمل ما له ان يعرض نفسه..

يقول سبحانه :

﴿قـال اجعلني على خـزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ يوسف/ ٥٥ ولا بأس من أن يبلغ الحاكم بمن تـؤهلـه مواهبـه لإنجاز عمل ما اذا خفى لسبب ما: **﴿قالت إحـداهما يا أبت استأجـره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾** القصص/ ٢٦ إنها القوة الجسمية المحروسـة بالأمانة.. والقدرة العلمية المحروسة أيضـا بالأمانة تعرض نفسها. أو يعرضـها غيرها.. لتأخد نصيبها من العمل مـن أجل أمتها حتى لا تكون طاقة معطلة. فإذا قبل . فواجبه:

الاقتصـار على الـراتب المتفق عليـه ابتداء ولا حق له فـوق ذلك: (قال صلى اللـه عليـه وسلم: من استعملنـاه على عمل فرزقناه رزقا. فما أخـذ بعد ذلك فهو غلول)رواه أبوداد أي خيانة. فمن أخـذ من الـديوان أو المدرسـة: قلما أو ورقـة.. ومن ركب السيارة في مصلحـة شخصيـة. أو أخـذ حتى ابـرة.. فهـو خائن:

(قـال صلى اللـه عليــه وسلم : من استعملنــاه منكم على عمـل. فكتمنـا مخيطا فما فـوقه كـان غلولا يـأتي به يوم القيامة)

فإذا حقـق الموظف ثــراء من وراء وظيفته فليحاكم بقـانون : من أين لك هذا كما فعل صلى اللـه عليه وسلم مع ابن اللتبيـة.. وليكن الحسـاب عسيرا ردعالغيره.

أهمية العدل :

يقرر علماؤنـا أن العدل في الشهـادات والمنازعات الفكرية:

أ ـ أعلى قمم الصحة النفسية.
ب ـ آية تؤكد حضارة الأمة.
ج ـ كلمة الحق في موضعها.

تجلى بها الظلماء. تسكن في ظلهـــا الأحقـــاد. تقطـع الطـــريـق على الظلم واستمراره. وقد تقع أمة في فساد العقيدة. والتهافت في الشهوات. وهي أمراض يمكن التخلص منها.

أو تخفيفها ببديل هو : العلم. والعمل. فلا يعجل بهلاك الأمة.

امـا اذا غـاب القـــول العـدل. والفعل العدل. فهـو الذي يصيب الأمـة في قلبها.

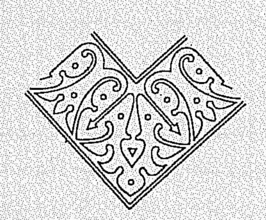
وهناك أمم كثيرة. فاســدة العقيدة.. لكنها تعـدل .. فتنجح .. وأمم اخـــرى سليمــة العقيـدة.. لكنهـا تفشل.. لغيـاب العـدل فيها.

وقـد فهمت أمم غيرنـا مـا للعـدل من قيمة فحرصت عليه.. فأجل الله هلاكها.. ويذكرون في ذلك:

ان قائد السيارة اخطأ خطأ واحدا على مدي نصف قرن من الزمان.. ولما عرضت قضيتـه على المحكمة. تـوجه الى القـاضي برجاء حـار. ان يحكم ببراءته. حتى تظل صحيفـة أعمالـه بيضـاء من غير سـوء. وليظل قدوة طيبة لأبنائه واحفاده.

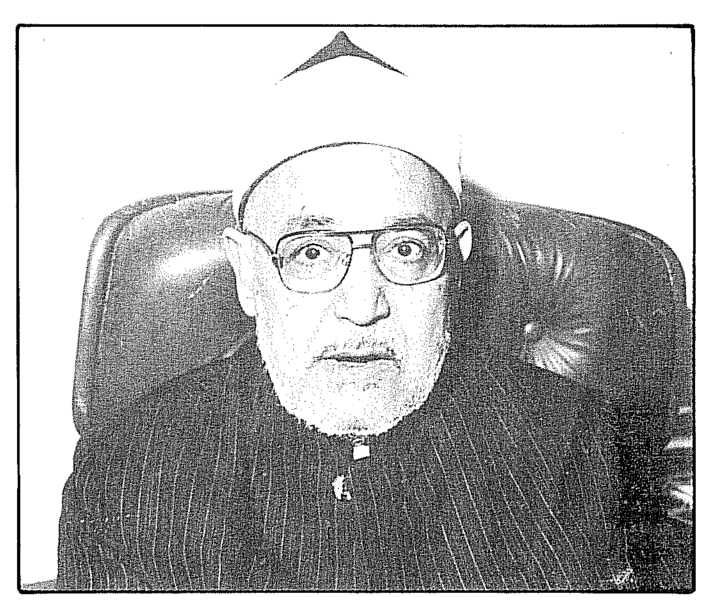
ولان القاضي مؤمن بالعدل.. فقد حكم عليـه بـالغـرامـة.. حتى لا يخدش قيمـة العدل.. ولأن القاضي إنســان.. فقد تطوع ودفع الغرامة من جيبه هو!!

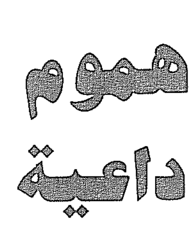
واذا حـرصت أمم الأرض على التمكين لقيمة الأمـانة والعدل.. بمعنـاهما القومي الضيق.. فما احرى أمة الإسلام ان تجعل منهما شرعة ومنهاجا.□



لا ظلم.. ولكن

قال تعالى: ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم مـن لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين. وإن كـذبـوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بـريئـون مما أعمـل وأنا بـرىء ممـا تعملـون. ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمـع الصم ولو كـانوا لا يعقلـون. ومنهم من ينظر إليك أفأنـت تهدى العمي ولـو كانـوا لا يبصرون. إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ الآيات ٤٠ ـ ٤٤ من سورة يونس.





هموم داعية

يقع كتـاب «هموم داعية» لفضيلـة الشيخ محمـد الغـزالي في (١٦٥) ورقة من الـورق الأبيض المتوسط وهو من إصدار دار القلم دمشق. وأيضا دار البشير ـ القاهرة

والمؤلف الشيخ الغزالي غني عن التعـريف فهو من العلماء القلائل الذين يتعـاملون مع الواقع ويبدون آراءهم في القضايا المطروحة على الساحة. ومن بين كتبه الكثيرة اخترنا هذا الكتاب «هموم داعية».

يكشف هـذا الكتاب قطـاعـا من العلماء لا يجاوز ما يقـولـونـه حناجـرهم وذلك لأن تعصبهم لغير القرآن شديـد وآفاقهم العلمية والعملية ضيقة، وهم في حقيقـة أمرهم أعوان للكفار على هذا الدين وأهلـه ـ إما جهلا منهم أو عن عمد مدبر يشغلـون الناس بقضايا لا تضر ولا تنفع. وهم مع ذلك متعصبون لافتراءات ليست من كتاب الله ولا من سنة رسوله الصحيحة الموثقة.

فيقول الشيخ في هـذه الفئة في كتابـه تحت عنوان «ضرورة العنـاية بالقـرآن الكريم»: «ولست أقرر جديدا في هذا الميدان، والذي أراني مضطرا إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه فإن أناســا أدمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورا، فنمت أفكـارهـم معـوجـة وطـالت حيـث يجب أن تقصر، وقصرت حيث يجب أن تطـول، وتحمسـوا حيث لا مكـان للحماس وبـردوا حيث يجب الثـورة! نعم من هــؤلاء من ظن الأفغانيين من أتباع أبي حنيفة لا يقلون شرا عن الشيوعيين أتباع كارل ماركس لماذا؟ لأنهم وراء إمامهم لا يقرؤون الفاتحة (فاتحة الكتاب)!!

ثم يقول فضيلته: والذهول عن المعاني الأولية والثانوية التي نضج بها الوعي المبارك لا يتم معه فقه ولا يصح دين.

وذكر أبو داوود حديثا واهياً جاء فيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تركب البحر إلا حـاجا أو معتمرا أو غازيا في سبيل الله تعالى،

فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا» هذا الحديث الضعيف المردود خدع به الإمام الخطابي، وعلل النهي عن ركوب البحر بأن الآفة تسرع إلى راكبه ولا يؤمن هلاكه في أغلب الأمر! والكلام كله باطل فقد قال المحققون: لا بأس بالتجارة في البحر... وما ذكره الله تعالى في القرآن إلا بحق قال الله عز وجل ﴿وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ «النحل ١٤»

ثم يقرر الغزالي «أن الغفلة عن القرآن الكريم والقصور في إدراك معانيه القريبة أو الدقيقة عاهة نفسية وعقلية لا يداويها إدمان القراءة في كتب السنة ـ فإن السنة تجيء بعد القرآن، وحسن فقهها يجيء من حسن الفقه في الكتاب نفسه وقد ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعي قال: «كل ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، فكيف يفقه الفرع من جهل الأصل؟»».

ثم ينتقل بنا الشيخ الي الواقع والى أمثلة واقعية ويعرض أمثلة من الحوار بينه «الغزالي» وبين أفراد ومجموعات من الناس يقضون سحابة عمرهم في دراسة السنن وصلتهم بالقرآن واهية وبصرهم جهة آياته كليل وهم لذلك لا يحسنون وضع الأحاديث في مواضعها العتيدة من كتاب الله. وبقوا سطحيين في فهم القرآن الكريم. بل قالوا بما يخالف القرآن وأي شذوذ أشذ من مخالفة الرأي؟!

ويطلب منهم الشيخ أن يشرحوا المقررات الإسلامية وبيان الحقائق الثابتة من كتاب الله وما صدق من حديث رسوله فقط، ولا يقيموا أحكاما أو يخالفوا أو يقاطعوا وهم على غير معرفة بكتاب الله..

ويعرض فضيلته صورة أخرى فيقول:

«إن هناك مشتغلين بالعلم الديني قاربوا مرحلة الشيخوخة ألّفوا كتبا في الفروع، وأثاروا معارك طاحنة في هذه الميادين ومع ذلك فإن أحدا منهم لم يخط حرفا ضد الصليبيين أو الصهيونية أو الشيوعية إن وطأتهم أشد على الأخطاء بين أمتهم وبلادتهم أشد تجاه الأعداء الذين يبغون استباحة بغيتهم، بأي فكر يحيا أولئك؟»

ويقول الشيخ في موضع آخر:

إن تعلم الصلاة ـ وهي الركن الأول في الإسلام ـ لا يستغرق دقائق معدودات.. ولكن التدريب على اقتياد دبابة أو طائرة أو غواصة يحتاج إلى زمان طويل.. فبأي فكر يطلع علينا القرن الخامس عشر «الهجري» وجمهورنا جاهل في فنون الجهاد، وبارع في الحديث حول تحية المسجد، ووضع اليدين في الصلاة ومستغرق في قضايا جزئية.

«إن هناك علماء ـ هم في حقيقتهم عوام ـ لا شغل لهم إلا هذه الثرثرات والتقعرات.. وقد أضاعوا أمتهم، وخلفوا أجيالا من بعدهم لا هي في دنيا ولا هي في دين!!

وعلى الطرف الآخر أناس يسعون لفصل العروبة عن الإسلام يستنجدون بالصليبيين وهي أعدى أعدائهم والملحدين من الشيوعيين وهم أعداء الله والمسلمين.. ويتساءل الغزالي هل أقول «إن العرب لا يقرؤون وأنهم يجهلون ذلك حقا»؟ ما أظن!!

ثم يؤكد فضيلته في كتابه «هموم داعية» أن قضية فلسطين خاصة يستحيل تجريدها من طابعها الإسلامي والديني.. إن الذين يبعدون الإسلام عن معركة فلسطين يشاركون في إبادة أمة وإزالة دين ويحولهم أجمعين إلى لاجئين بدون وطن وبدون دين».

ويحدد الغزالي: الفساد السياسي كمرض قديم في تاريخنا وسبب كل علة، وهو يعرض في هذا الكتاب لأحوال المسلمين قبل الهزائم التاريخية الكبرى، وكيف أن التمهيد لها جاء خلال انصياع أمة المسلمين لحكام ورؤساء مستبدين منحرفين.. وعندما كانت الخلافة على أيام عمر بن الخطاب عبئا ومغرما ومسؤولية كبيرة، تقدم المسلمون وسادوا العالم وطهروا الأرض من الفساد والانحطاط وعندما تحول الحكم إلي الملك العضوض والاستبداد السياسي وخمدت أصوات الدعاة إلى الحق انفسح المجال لعارضي الأحاديث الذين يخبطون السنة الشريفة خبط عشواء ولفقهاء الفروع الذين خدعوا العوام بسلعهم وأوهموهم أنهم يشرحون لباب الدين وشعب الايمان الكبرى، وهم في الحقيقة يذكرون تفاصيل ثانوية يكثر فيها الأخذ والرد ولا تمس جوهر العقيدة أو الشريعة وزاد الطين بلة أن فقهاء الفتنة غرفوا من أموال السلطة وأعلنوا حربا غير شريفة على من يخالفهم..

ويقول الغزالي: «وعلى أهل المسؤولية الإسراع في جمع القوى وسد الثغرات، وحشد كل شيء لاستنقاذ وجودنا المهدد!

إن أي أمريء يشغل المسلمين بغير ذلك إما منافق يمالىء العدو ويعينه علي هزيمتنا، وإما أحمق يمثل دور الصديق الجاهل ويخذل أمته من حيث لا يدري وكلا الشخصين ينبغي الحذر منه وتنبيه الأمة إلى شره.

ويعتبر الغزالي أن المليار مسلم الموجودين الآن أغلبهم أصفار... ولابد من المصارحة الحاسبة بحقيقتهم الدينية المظلومة.

نعم لابد من كشف القناع عن هذا الخداع حتى نستطيع الدفاع عن بيتنا المستباح وحقوقنا المهدرة.

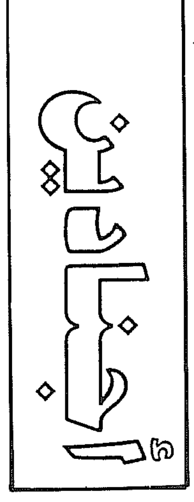
﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة﴾ الأنفال ٤٢ نريد أن نعرف من له دين ينتسب إليه حقا ويحامي عنه في الضائقات ومن فرض عليه وصف لا يقدره قدره.. وحاشاي أن أكفر مسلما أو أفسّق مخلصا ولكن الحساب الذي لابد منه أمام هجوم متتابع لا يغني من رده الادعاء ولا يسد ثغراته الكذب».

وهو يعرض المسلم الحقيقي كإنسان ينطبع إيمانه على عمله وخلقه متعلقا بالآخرة لا يبيع دينه بعرض من الدنيا..

والحقيقة أنه تظهر بين صفحات هذا الكتاب صورة للعمل الإسلامي المطلوب وهو الجهاد بكل أبعاده.. فالجماعات والحكومات والأفراد الذين يتولون الذين كفروا ويحسبون أنهم على شيء ويشغلون الناس بقضايا فرعية مزيفة إنما يخدعون أنفسهم ويخدعون الأجيال القادمة.. وهم في عملهم هذا يحاكون الذين يحاربون الإسلام تحت اسم الأحرار أو التقدميين.. كلا الفريقين يحاربون الإسلام وأمته الكبرى استعادة لجاهليات يزدريها العقل وتعافها الفطرة

ويعقد الكتاب مقارنة واجبة بين الجهود الضائعة المحبطة للمنتسبين إلي العروبة المتمسكين بعبادة الأرض والتراب إذ غفلوا عن القوة الحقيقية التي رفعت العرب طليعة المسلمين ونصرتهم علي القوى الأعظم وقتها وكان نتيجتها أن انضمت الشعوب والأمم تحت راية الإسلام وذلك بالجهاد في سبيل الله.

وبيع الدنيا وشراء الآخرة وكونوا الأمة الإسلامية الخالدة المنتصرة.



تقدمة :

بدأ ظهور الدولة الإسلامية في منطقة ضيقة في الطرف الغربي لجزيرة العرب، ثم سرعان ما امتدت هذه الدولة وانتشر نفوذها حتى غمر الجزيرة العربية كلها وتعداها إلى مختلف بقاع الأرض، فشمل من آسيا بلاد الشام والعراق وما إليهما من الشمال ثم اتجه إلى الشرق متنقلاً من إيران إلى الهند والصين وجاوة والملايو واليابان، ومن أفريقيا شمل مصر وبلاد النوبة والسودان والحبشة وأوغندا وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكثيراً من البلاد، وفي أوروبا امتد الإسلام عبر جبل طارق حتى جنوب فرنسا ثم إلى البلفان وسواحل بحر أوروبا من طريق البسفور وبحر مرمرة والدردنيل، كما نفذ إليها من طريق سيبريا الغربية، ومالبث الإسلام حتى عم معظم بلدان العالم، وأصبح المسلمون يمثلون القوة الأعظم والحضارة الأرقى.. لماذا؟!

المعركة التي قهرت امبراطورية الروم

الأستاذ : سعيد كامل معوض

والناظر إلى خريطة العالم الإسلامي بالأمس القريب، والناظر إلى خريطته اليوم تملأ قلبه الحسرة وتملك لبه الحيرة.. فما عاد المسلمون هم القوة الأعظم، وما عادت حضارة الإسلام هي الحضارة الأرقى!، بل تأخر المسلمون كثيراً كثيراً عن ركب الحضارات الأخرى التي كانت تنهل من ينابيع الحضارة الإسلامية، ودب الضعف والوهن في نفوس بني الإسلام، فبدأوا يفقدون ربوعهم الواحد تلو الآخر، وبدأ التشتت والانقسام يتسلل إلى جموعهم، وبدأ الإسلام يتراجع ليفسح المجال لكثير من الأفكار والفلسفات، التي لم يكن لها ذكر أيام كان المسلمون على صلة وثيقة بربهم المعز، وعندما كانوا يستمسكون بحبل الله المتين، ويرجعون كل أمورهم إلى كتابه الخالد - القرآن الكريم - وسنة نبيه الشافية!، والسؤال الآن: لماذا تراجع المسلمون؟! هل لقلة أعدادهم؟!، هل



لضعف إمكاناتهم؟!، هل .. هل.؟! ألف هل تضخم علامة الاستفهام فتزيد الحيرة وتضيف إلى نفوسنا الندم والحسرة! والواقع المؤلم المرير أن السبب الحقيقي لتراجع بنى الإسلام هو بعدهم عن الإسلام!، نعم لقد بعد المسلمون عن الإسلام وأهملوا أسلحته الماضية التي كان النصر حليفهم حين استخدامها.. أهملوا التوكل على الله، وتوكلوا على أعداء الله وأعدائهم.. هؤلاء الذين لا يعنيهم إلا البحث عن وسائل تدمير الإسلام والمسلمين .. فياللعجب العجاب، ويااللحظ العاثر، وياللعار عندما يسلم المسلم إلى عدوه نفسه وعقيدته يلهو بهما كيفما شاء ووقتما يريد!، فمالنا لا نعود إلى الله ليعود إلينا الله؟! صرخة سأظل أصرخها فقد تجد صدى في النفوس!!.. وهيا معنا عزيزي القارىء نستعرض موقعة أجنادين التي قهر فيها المسلمون – على قلة أعدادهم وعتادهم – إمبراطورية الروم وجيوشها القاهرة الظافرة دائما!

أحداث تمهيدية للمعركة:

عندما هاجر الرسول من مكة إلى المدينة وضع اللبنة الأولى في بناء صرح الدولة الإسلامية الشامخ، وأصبحت زعامة الرسول السياسية، وقيادته للدولة، كزعامته الدينية وأهليته لحمل الرسالة التي خصها به وخصه بها ربه عز وجل، وأراد الرسول أن يوحد شبه الجزيرة العربية تحت لواء حكومته في المدينة، وأن يظل العرب بظلال الإسلام، ولكن قبائل العرب في شمال الحجاز كانت تعتدي على قوافل المسلمين، تساندها في ذلك دولة الفرس ودولة الروم وهما أقوى قوتين حينئذ، ولم يقف الرسول والمسلمون مكتوفي الأيدي إزاء هذه الاعتداءات المتكررة، فأمر الرسول بتجهيز سرية مقاتلة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل على رأسهم زيد بن حارثة، ونصح الرسول جنده إذا قتل زيد أن يولوا قيادتهم لجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فالقيادة لعبد الله بن رواحة، وخرجت سرية الحق وخرج الرسول القائد يودعها، وسارت السرية في طريق الشام فقابلتها جيوش الحدود الغسانية على مسافة بضعة أميال شمال المدينة، فنشبت معركة بين الفريقين انتصر فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً، فنقل الغساسنة أخبار هذه السرية وهذا النصر إلى حلفائهم من الروم، فقام «تذارق» شقيق الأمبراطور «هرقل» بتجهيز جيش جرار للقضاء على الحملة المسلمة!

– ووصل المسلمون إلى «معان» فعلموا بخبر جيش الروم فمازادهم ذلك إلا إيماناً واحتساباً، ودخلت السرية «البلقاء» فالتقت بجيش الروم عند قرية «مؤتة» في جمادي الأولى من السنة الثانية للهجرة، واستمات المسلمون في القتال يبتغون إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وتساقط قوادهم الواحد تلو الآخر، فاستشهد زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة، وهم القادة الثالثة الذين حددهم الرسول، فقاد المسلمين خالد بن الوليد الذي استطاع بذكائه وسعة حيلته النجاة بمن تبقى من جنوده والانسحاب إلى المدينة. حيث قابلهم بعض المسلمين بعبوس وغضب قائلين لهم: «يافرار.. في سبيل الله!»، فرد عليهم رسول الله قائلا: «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله» وصدق الرسول فكانت للمسلمين صولات وجولات مع كفار الروم، وبرغم هزيمة «مؤتة» إلا أن هذه الغزوة كانت درساً مفيداً ومقدمة لفتح الشام والقضاء على دولة الروم، فبعد فترة قصيرة من غزوة مؤتة بعث الرسول عمرو بن العاص على رأس جيش لقتال القبائل الشمالية المقيمة على حدود الشام، فلما وصل عمرو وجد أن قوته قليلة مقارنة بخصومه، فبعث إلى الرسول طالباً المدد، فأمده الرسول بحملة يقودها أبوعبيدة ابن الجراح، وانتصر المسلمون، ودخلت معظم قبائل الشمال في الإسلام في نفس العام.

.. وبعد فتح مكة ووقعة «حنين» أخذ الرسول في الاستعداد لحرب الروم، وفي صيف السنة التاسعة للهجرة أعلن الرسول الجهاد، وخرج الرسول يقود المقاتلين، فلما بلغ «تبوك» صالحه أهلها، كما صالحه أهل «أذرح» و«جرباء» في شرقي الأردن، وأهل «مقنا» بالقرب من

«أيلة» (العقبة حاليا).. وكانوا من اليهود فمنحهم الرسول حرية العبادة على أن يؤدوا الجزية، وأثناء إقامته في تبوك بعث الرسول بفرقة من الجيش بقيادة خالد ابن الوليد إلى «دومة الجندل» فأسر خالد أميرها النصراني، وأتى به إلى الرسول في المدينة، فصالحه الرسول على أن يؤدي الجزية.

ورغم ذلك ظلت حدود شبه الجزيرة العربية غير آمنة بسبب تحرش الروم والقبائل الموالية لهم من العرب واليهود بالمسلمين، فرأى الرسول بعد عودته من حجة الوداع أن يوجه إلى الروم حملة جديدة تقهر جبروتهم.

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة تجهزت الحملة يقودها ابن شهيد مؤتة أسامة بن زيد بن حارثة، لكن الأجل لم يمتد بالرسول فانتقل إلى الرفيق الأعلى تاركا عبء قيادة الأمة لأبي بكر الصديق رفيقه في الغار الذي انتخبه المسلمون خليفة لرسول الله. وبمجرد تولي أبي بكر القيادة، شقت بعض قبائل شبه الجزيرة العربية عصا الطاعة وارتدت عن الإسلام، فما كان من أبي بكر إلا أن بعث بمن يؤدب هؤلاء العصاة المرتدين، ووسط تلك الخطوب التي واجهها أبوبكر رأي بعض المسلمين تأجيل حملة أسامة ابن زيد إلى الروم، إلا أن أبا بكر أصر على تسييرها، وسار أسامة فغزا قبيلة «قضاعة» في أطراف الشام.

وبدأت أركان الدولة الرسلامية تتوطد، وفرغ أبو بكر من محاربة أهل الردة المنشقين، فسير الجيوش إلى أطراف شبه الجزيرة العربية لتشتبك مع الفرس والروم.. وتقدمت الجيوش الإسلامية، وتوالت أنباء انتصارات خالد بن الوليد، والمثني بن حارثة على جيوش الفرس في العراق، وفي الوقت نفسه أمر أبو بكر بتجهيز جيش لفتح الشام، وجعل عليه خالد بن سعيد بن العاص، ولما هاجم خالد الروم في أطراف الشام وجد أن جنود الروم أكثر قوة وعدداً، فعاد إلى المدينة طالباً المدد، وفي مستهل شهر صفر من السنة الثالثة عشرة من الهجرة عقد أبوبكر الألوية لأربعة من قواده:

– الفرقة الأولي وعلى رأسها عمرو بن العاص ووجهتها فلسطين.
– الفرقة الثانية وعلى رأسها يزيد بن أبي سفيان ووجهتها دمشق.
– الفرقة الثالثة وعلى رأسها شرحبيل ابن حسنة ووجهتها الأردن.
– الفرقة الرابعة وعلى رأسها أبوعبيدة ابن الجراح ووجهتها حمص.

وفي «وادي العربة» جنوبي البحر الميت التقى المسلمون والروم في أول لقاء حقيقي مباشر، وانتصر المسلمون انتصارا حاسما جعل جنود الروم يرتدون نحو غزة وتبعهم المسلمون، ورأي عمرو بن العاص ضرورة توحيد جيوش المسلمين في صف واحد.. وكتب بذلك إلى أبى بكر الذي رد عليه قائلا: «اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحدا»

ولما رأى الروم انتصارات المسلمين المتتالية، قدم إمبراطورهم إلى حمص، وأخذ يعد العدة للقضاء على المسلمين قضاء مبرما، فارسل المسلمون إلي أبي بكر يفصلون له الموقف، ويطلبون النجدة، فبعث أبو بكر إلي خالد بن الوليد في العراق يأمره بالتوجه فوراً إلى بلاد الشام كي يحسم الأمر.

وعبر بادية مهلكة بين العراق والشام، وبعزيمة ماضية وإرادة صلبة، وصل

خالد إلى حيث وجهه أبو بكر، وبدأت انتصارات خالد في «حوران» و«مرج راهط» حتى وصل إلى «الثنية» بالقرب من دمشق، وهناك ركز راية العقاب – وهي راية سوداء كانت لرسول الله – فسميت لذلك «ثنية العقاب»، ومنها ارتحل خالد إلى الدير (المعروف الآن بدير خالد) ثم سار حتى نزل على قناة بصري.. وعليها أبوعبيدة بن الجراح، ويزيد ابن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، فاجتمعوا وأمروا خالداً عليهم، وحاربوا بصرى وفتحوها وصالحوا أهلها على دفع الجزية، وكانت بصرى أول مدينة من مدن الشام تفتح في خلافة أبي بكر.

أجنادين:

وسار خالد على رأس الجيوش إلى «أجنادين» وهي بلدة بين «الرملة» و«بيت جبرين» في فلسطين، وهناك انضمت جيوش خالد إلى جيش عمرو بن العاص، لتواجه جيش الروم بقيادة «تذارق» شقيق «هرقل» وتقول روايات التاريخ إن جيش المسلمين لم يكن يماثل نصف جيش الروم الذي كان يزيد على التسعين ألفا! والتقى الحشدان في اليوم السادس من شهر جمادي الأولى سنة ثلاث عشرة للهجرة، وانتصر جند الله بعد أن أبلوا بلاء حسناً.

وتقول روايات التاريخ إن في هذه الموقعة قتل من الروم ما يزيد على الخمسين ألفا وتفرق من بقي منهم وتشردوا في بقاع الأرض.. أما المسلمون فقد سعد بالشهادة منهم أربعمائة وخمسون بطلاً أو يزيد قليلاً. وفي هذه الموقعة قتل «الأرطبون» حاكم فلسطين العنيد، وهرب «تيودور» إلى حمص، وتراجع هرقل إلى أنطاكية، وفر جنوده إلى طبرية.

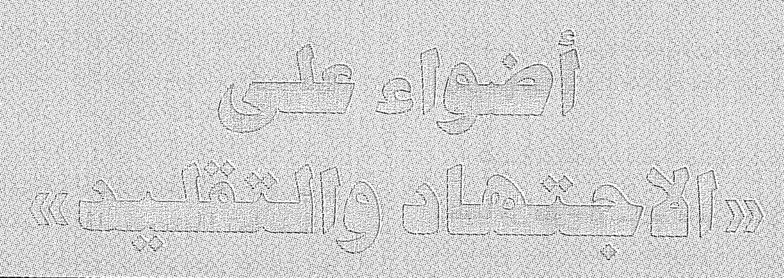
هكذا كانت موقعة أجنادين فتحا عظيما من فتوح الإسلام، فبعدها استولى المسلمون على «لد» و«عمواس» و«يافا» وباقي أنحاء فلسطين. ثم تمت بعد أجنادين موقعة «اليرموك» التي استولى المسلمون بعدها على كل بلاد الشام.

ويصف الضحاك بن عروة هذه الموقعة الخالدة فيقول: «والله لقد دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى، فما رأينا أكثر من جنود الروم، ولا أكثر من عددهم وسلاحهم، فنزلنا بازائهم، فلما كان الغد بادرت الروم نحونا، فلما رأيناهم وقد ركبوا، أخذنا على أنفسنا وتأهبنا، وإن خالداً ركب وجعل يتخلل الصفوف ويقول: اعلموا انكم لستم ترون جيشاً للروم مثل هذا اليوم، فإن هزمهم الله على أيديكم، فما تقوم لهم بعدها أبداً قائمة، فاصدقوا في الجهاد، وعليكم قائمة دينكم،

وإياكم أن تولوا الأدبار فيعقبكم ذلك دخول النار، واقرنوا المواكب، ومكنوا المضارب، ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة، وأيقظوا هممكم».

وكان الضحاك هذا بطلاً من أبطال تلك المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام وبعد عزيزي القارىء فلنطرح السؤال الذي طرحناه في بداية هذه السطور من جديد: لماذا يتراجع المسلمون؟! ولنبحث معا عن الجواب!؟

فقه اسلامى



أضواء على «الاجتهاد والتقليد»

بقلم : عبدالفتاح حسين الزيات

من الأمور البالغة الدقة والتى تؤخذ بتؤدة وترو. مسألة الاجتهاد في الأمور التعبدية، ومبعث الدقة في هذه المسألة أنها تخص أقدس مايمتلك الإنسان وهو عقيدته:
ولذلك لابد من الضمانات الكافية حتى يكون الاجتهاد بحسب ما أمر به الشرع. بلا إفراط أو تفريط.

ولا يجوز بأى حال من الأحوال أن يتذرع متذرع بأن العصر الذى نعيشه أحوج ما يكون إلى الأخذ بمبدأ الاجتهاد لأى سبب. وعند أول بادرة، اعتمادا على ماليه من حصيلة علمية قد لاتؤهله لتحمل تبعة هذه المسألة الخطيرة.
ومبعث العجب في هذه الأيام ظهور كثرة من المفتين الذين يملأون الشوارع في بعض البلاد الإسلامية، فما تكاد تسأل أحدا منهم أى سؤال إلا وأجابك عنه في الحال وكأنه مكشوف عنه الحجاب، ورحم الله علماءنا السابقين الذين كانوا يطلبون مهلة حتى يحضرهم الجواب او يحضرونه مستقبلا.

ومما لاشك فيه أن أشد ما تبتلى به أمة أن يقع التضارب والتضاد بين أصول شريعتها نتيجة الفهم الخاطىء و الإفتاء بغير علم.
وحتى يستبرىء المرء لدينه وتتضح الأمور على حقيقتها ولمعرفة الخطأ من الصواب في مسألة الاجتهاد نقول وبالله التوفيق:
الاجتهاد مأخوذ من الجهد والمشقة وإعمال العقل،: هذا من ناحية تعريفه اللغوى، أما عند الفقهاء فهو بذل الطاقة والوسع في تحصيل حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط وله شروط:
الأول: أن يكون المجتهد ذا فطنة تمكنه من استنباط الأحكام الشرعية.
الثانى: صحة إيمانه بمعرفة البارى – سبحانه وتعالى – وصفاته وتصديق النبى – صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من عند الله.
الثالث: أن يعرف القرآن بمعانيه لغة وشرعا، وأن يعرف معانى المفردات والتراكيب وخواصها في الإفادة. وبالتالى فلابد أن تكون لديه خبرة كافية بعلوم اللغة من نحو وصرف، وأن يعرف المعانى المؤثرة في الأحكام ويعرف أقسام اللفظ من خاص وعام ومشترك ومجمل ومفصل ومشكل ومحكم وخفى ونص ومؤول وغير ذلك مما لابد منه في مثل هذه الأمور بحيث يمكن الرجوع إلى أى من ذلك إذا اقتضى الأمر.

الرابع: أن يعرف السنة متنا وسندا وحـال الرواة والجرح والتعديل، وغير ذلك مما يقدح في الحديث أو يقويه.
الخامس: معرفة القياس بشرائطه وأحكامه وأقسامه والمقبول منه والمردود.
السادس: أن يكون على علم بمسائل الإجماع حتى لايفتى بغير ما انعقد الإجماع عليه.
السابع: أن يكون عالما بالناسخ والمنسوخ علما يمنعه من الوقوع في الحكم المنسوخ.
الثامن: أن يكون عدلا، وهذا شرط في غاية الأهمية لقبول فتواه.
التاسع: أن لايكون اجتهاده واقعا في مقابلة نص قاطع أو إجماع.
هذه شروط عـامة وهامة لكل من يتصـدى للاجتهاد في وقتنـا الحاضر، فمتى تحققت هذه الشروط أو على الأقل الخمسة الأولى منها في أى من المسلمين. أصبح لـزاما على من يسمعه أن يأخذ برأيه ولا إثم عليه.
فمتى أفتى مجتهد في مسألة وسواء كان هو المقصود أو غيره من المجتهدين سقط الوجوب عن الكل لحصول المقصود، ويكون مندوبا إذا كان في حكم شرعى من غير سؤال فيه أو مع السؤال ولكن قبل نزول الواقعة المسئول عنها، ويكون حراما إذا كان البحث في مقابلة دليل قطعى من نص أو إجماع لـذلك فإن الاجتهاد بشروطـه المتقدمـة وهى شروط أساسيـة له، يعتبر من الأمور الدقيقة خصوصا في مسـائل العقيدة، وذلك حتى لايتصدى له كل مدع أو دخيل. فتضطرب الأمور، وتختلط المسائل وتصبح مصادرنا الشرعية في مهب رياح الأهواء والأغراض والنزعات الفردية.

فهل يوجد في زماننا هذا المجتهد الذى تنطبق عليه شروط الاجتهاد المطلوبة، لقد قالها الإمام الغزالى، فهو يرى (أن الزمن خلا عن المجتهد) لماذا؟
لانصراف الناس عن التبحر في العلوم الدينية واشتغالهم بالعلوم الآلية أو المادية حتى من اشتغل بالعلوم الشرعيـة فإنما يشتغل بالنذر اليسير ليكون طـريقا للكسب، وقل في الناس من يتعلم العلم للعلم أو يبحث مسألة من المسائل. قصدا إلى إحقاق حق يدعو إليه، ولايمكن تعميم الحكم وحـال النـاس مـا تـرى وأكثـر أبنـاء الأمم ممن يقصـدون دور العلم إنما يقصدونها للحصـول على شهادات تمكنهم من الوصـول إلى طريق الوظيفـة، نعم إن باب الاجتهاد مفتوح، وهذا من يسر الإسلام وسماحته، ولن يغلق لأن أحدا لايملك إغلاقه، وهذه رخصة أنعم الله بها علينا، حتى لا نضيق بأحكام الشريعة فنضل أو نزل، وليس هناك أى سبب علمى لإغلاق باب الاجتهاد.
نعم هناك مـايسمى بالاجتهاد المطلق. وهـذا أغلق في القرن الرابع ومـازال علماء يحاولون فتح رتاجه ولكنهم يعجـزون أحيانا ويفلحون أحيانا ولكن بقدر ضئيـل جدا، وهذا النوع من الاجتهاد وهـو المتعلق بالأمور الدنيويـة من وجهة النظر الشرعية حتـى لايتخذ ذريعة للاحتيال باسم الدين.
فهل هناك من المجتهـدين مثل أبى حنيفة الذى قال لـه أبو جعفر المنصور مـارأيك في دماء أهل الموصل — وكان قد أخذ عليهم عهدا بأنهم إذا خرجوا عليه أبيحت دماءوهم — فقال ابن تفرمة والآن وقال فلان. وفلان.
وقال أبو حنيفة: هل إذا شرط رجل إذا أعطى رجلا آخر حق القتل. آله أن يقتله؟ إن هذا شرط لايملكونـه، لأن أنفسهم بيد الله. ولايحل دم امـرىء مسلم إلا بإحدى ثـلاث: الثيب الزانى

والمرتد المفارق للجماعة، أو قاتل نفس فسادا في الأرض. فبأى حق تستحق دماءهم: فعمل أبو جعفر بقول أبى حنيفة: ولكن على مضض، نعم لو كان المجتهدون على شكل أبى حنيفة فأهلا بهم فنحن محتاجون إليهم ويجب أن يفتح على يديهم باب الاجتهاد وعلى مصراعيه.

أما التقليد فهو العمل بقول من ليس قوله حجة: وعلى ذلك فالعمل بقول النبى صلى الله عليه وسلم - ليس تقليدا والعمل بالإجماع ليس تقليدا بل إن التقليد في المسائل الشرعية واجب على غير المجتهد لقوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) وهو عام في جميع من لايعلم فيجب عليه سؤال من يعلم، وقد جرى العرف من قديم الزمان على استفتاء غير العالم للعالم والأخذ عنه من غير تكبر، وليس من الضرورى أن يكون المسئول مجتهدا مطلقا بل يجوز لمجتهد المذهب الذى هو (المطلع على مآخذ الأحكام وله ملكة الاقتدار على استنباط الفروع من الأصول التى مهدها أمامه) أن يفتى فيما يسأل عنه بمذهب إمامه من غير نقل لكلام إمامه حرفيا وتقبل فتواه على ذلك ما دام مشهودا له بالعلم والعدالة، وقد انعقد الإجماع على ذلك وأخذ كثير من العلماء يفتون وإن لم يكونوا مجتهدين اجتهادا مطلقا في جميع العصور من غير اعتراض.

أما من أفتى ناقلا ما حفظه أو وجده في كتب المذهب فهذا لايعتبر مقلدا وإنما يعتبر ناقلا، وهو في هذه الحالة أشبه بالراوى، الذى تشترط له العدالة والضبط والحفظ وعليه في هذه الحالة أن يفتى بالراجح لا بالمرجوح، لأن العمل المرجوح إتباع للهوى وخضوع للأغراض الشخصية وذلك محرم شرعا ويحرم الأخذ به.

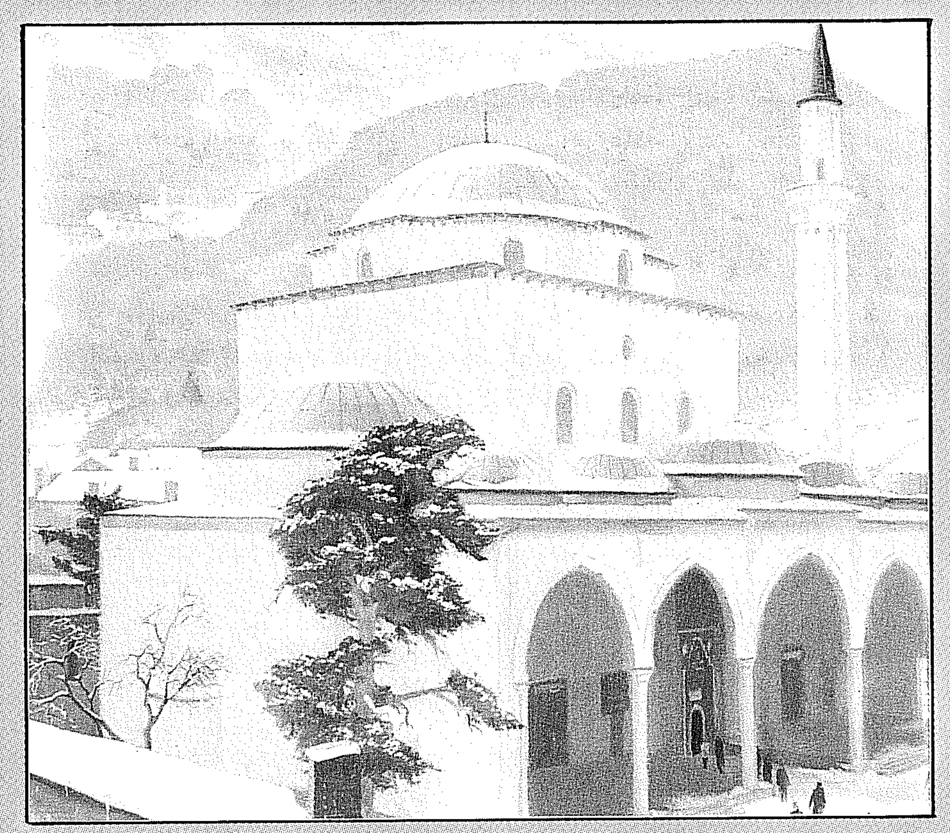
وحتى في التقليد لابد أن يكون المقلد فقيها، لأن من يسأله سوف يأخذ عنه وهو لذلك لابد أن يكون على درجة من الفقة تؤهله لتحمل هذه التبعة، وعلى ذلك لابد له من معرفة حال من يفتى بقوله بأن يعرف حاله في الرواية ودرجته في الدراية وطبقته من الفقهاء.

ولايخفى أن الفقهاء طبقات منهم طبقة المجتهدين اجتهادا مطلقا، ومنهم طبقة المجتهدين في المذهب، ومنهم طبقة المجتهدين في المسائل التى لا رواية فيها عن صاحب المذهب وهؤلاء لايخالفون إما إمامهم لافى الأصول أو الفروع ولكنهم يستنبطون الأحكام من المسائل التى لانص فيها عنه علي حسب الأصول التى قررها.

وهناك من طبقة المقلدين الذين لايستطيعون تمييز الغث من السمين. أو حتى المدلول الشرعى للمسألة، وهؤلاء لايجوز تقليد هم أو الأخذ عنهم، وكيفية معرفة هذه الطبقة أن يقع التضارب والتناقض في أقوالهم وأن يكون حكمهم في المسألة على غير أساس من دليل يقويه: أو أن يكون من أخذ عنه مجهولا اسما وعلما.

وعلى الجملة فإن الواجب على من يتصدى للفتوى مقلدا مذهبا أو إماما أن يتبع الراجح من الآراء والأقوال ولا يتبع المرجوح بأى حال، وأن يعرف مراتب الراجح. قوة وضعفا ويتروى في الإجابة حتى لايقول على الله غير الحق.

من هذا يتضح أن مسألة الإفتاء في الدين من المسائل الحيوية والخطيرة التى يلزم لها استعداد خاص لايتوافر لعامة الناس، وأن الوقوف على الحلال والحرام لايعلمه الا الله والراسخون في العلم الذين بحثوا ونقبوا وتحققوا. حتى تكونت لديهم أحكام شرعية تطمئن نفوسهم إليها قبل أن يخرجوا بها إلى الناس.



فعلى الذين جعلوا من أنفسهم مفتين بغير علم أن يتقوا اللـه في دينهم، وأن يتركوا هذا الأمر لأهله فهم به أحق وأعلم.

عليهم أن يتقوا الله فهذا خير لهم ألف مرة من أن يحرموا حلالا أو يحلوا حراما لا لشيء إلا أن يقال عنهم إنهم مفتون.

عليهم أن يعلموا أن قـراءة كتاب من الكتب المتأخرة غير المحققـة، منه يأخذون معلـوماتهم وعنه يأخذون فتاويهم ليس حجة لهم بل قـد يكون حجة عليهم لأن الفتوى قد تتغير بتغير الأحوال، فلا جمود للنص ولا خلود للفتوى.

ومن قال لا أدري فقد أفتى.

الإحسان من الأخلاق التي أحبها الله سبحانه ودعا إليها وتخلق بها رسله الكرام وصفوة من عباده.. وهو منزلة رفيعة وخلق سام يدعو أهله لمقابلة كل شيء بأحسن منه، حتى السيئة يأمر الله عباده بمقابلتها بالحسنة... ولن يطيق عامة الناس ذلك ففيهم نفوس أمارة بالسوء ولهم أهواء... لذا قضى الله بأن هذه المنزلة لا يلقاها على الثأر وبذا ينالون محبة الله وتكريمه. وكم جاء في آى الذكر الحكيم: ﴿أن الله يحب المحسنين﴾. وليس العجب من فقير مسكين يحب محسنا إليه إنما العجب من محسن يحب فقيرا مسكينا.. (١).

والإحسان يشمل المجتمع والفرد والدولة ولن تقوم تربية راشدة إلا إذا غرسنا معنى الإحسان في النفوس على أنه من محاب الله تعالى..(٢).

المحسنون أهل محبة الله ومعيته

بقلم الاستاذ/ عاطف شحاته زهران

أولا: الإحسان مع الله

وهو إحسان عبادته ومراقبته في كل حال كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» متفق عليه.

قال النووي: «معناه أن تراعى الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك.. وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين.. وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين وهو من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم... (٣).

أما إحسان العبادة فهو يعنى الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود سبحانه.

وقد سجل القرآن الكريم عباداتهم في آيات خالدة ترسم المنهج الذي ساروا عليه فقال: ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. وبالأسحارهم يستغفرون.**

وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذاريات: ١٦ ـ ١٩.

فقد منعهم تعلقهم بالله وعبادته من النوم.. وهم إذا ناموا هبوا بعد قليل ونفضوا عنهم كل شيء وجدوا للخلوة بالله ومناجاته سبحانه ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا**﴾ السجدة/١٦ فإذا جاء السحر إذا هم يستغفرون الله لتقصيرهم في عبادته خشية أن يرد الله عليهم قيامهم، فهم من الذين أثنى عليهم فقال: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون**﴾ المؤمنون/ ٦٠

فالاستغفار جعل ختاما للأعمال الصالحة كلها... الصلاة والحج وقيام الليل، وتختم به المجالس فإن كانت ذكرا كان كالطابع عليها وإن كانت لغوا كان كفارة لها.

وكان بعض الصالحين إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه.. (٤).

ذل الفتي في الحب مكرمة
وخضوعه لحبيبه شرف

إن قوما غرتهم العبادة أو حرموا الإخلاص فيها فحرموا ثوابها ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**﴾ الفرقان/٢٢.

أما هؤلاء فيعترفون بتقصيرهم دائما.. ولا عجب فهم يوقنون أن الله هو الذي هداهم وأعانهم على عبادته.

خرج صلة بن أشيم رضي الله عنه في جيش إلى كابل فنزل الناس عند العتمة فصلوا ثم اضطجع صلة، فقال أحدهم لأرقبن عمله، فالتمس غفلة الناس فقام ودخل غيضة فيها أشجار كثيفة قريبا منا فدخل الرجل على أثره فرآه توضأ ثم قام يصلي. وجاء أسد فدنا منه فلما سجد قلت: الآن يفترسه فجلس، ثم سلم وقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر. فولى وله زئير تصدع منه الجبال، فمازال كذلك يصلي حتى كان عند الصبح جلس فحمد الله تعالى بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قال: اللهم إني اسألك أن تجيرني من النار ومثلي يصغر أن يجترىء أن يسألك الجنة. قال: ثم رجع وأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عالم.. (٥).

ثانيا : الإحسان إلى الناس

لا يليق بمن تعامل مع مولاه بالإحسان أن يسيء إلى الناس قولا أو عملا.. والمحسن عرف من كتاب الله ومن سنة نبيه أن الإحسان إلى الناس باب لمرضاة الله سبحانه .. ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ يونس/٢٦ وجزاؤهم على إحسانهم من الله إحسانا. ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ الرحمن/ ٦٠.

وهم أهل معية الله سبحانه ﴿وان الله لمع المحسنين﴾ العنكبوت/ ٦٩ وهم أهل رحمته أيضا ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ الاعراف/ ٥٦.

وهذه آية أخرى توضح سيرتهم وتحدد أخلاقهم.

قال تعالى : ﴿**الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ آل عمران/ ١٣٤.

فالآية حددت لهم معالم ثلاثة:

أولا: الإنفاق في السراء والضراء:

ومن العجب أن تتصدر هذه الصفة ما سواها. مع أن الله أخرها في سورة الذاريات لمسيس الحاجة هنا.. فالحالة حالة حرب ونشر الدعوة، أما هناك فهم عابدون مستغفرون.. ويبقى الإنفاق من لوازم المحسنين على كل حال، فالمال فتنة وزينة ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ التغابن / ١٦.

وقال عزو جل: ﴿**وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾ البقرة / ١٩٥.

فالمسلم عضو في مجتمع متكامل يألم لألمه ويسعد لسعادته.. يرى غيره يبذل روحه في سبيل الله فكيف يضن بماله وهو يبتغي سعادة الآخرة؟

إنهم ثابتون على البذل ماضون على النهج.. السراء لا تبطرهم فتلهيهم والضراء لا تضجرهم فتنسيهم.. إنما هو الشعور بالواجب في كل حال والتحرر من الشح والحرص ومراقبة الله وتقواه..(٦).

كيف يكون في مصاف المحسنين من يرى في الناس محتاجا فيتخلى عنه؟ انه يعرف أن المال لله والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وذلك من شكرها الذي هو قيد لها من التحول.. وشكر الإله يزيد النعم.

ثانيا: الكاظمين الغيظ

كظم غيظه إذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل.

قال المبرد: تأويله أنه كتم على امتلائه منه. يقال: كظمت السقاء إذا ملأته وسددت عليه.

وهم الذين يكفون غيظهم عن الإمضاء ويردونه في أجوافهم قال سبحانه : ﴿**و إذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾ الشورى/ ٣٧.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامه رضا» رواه ابن أبي الدنيا.

قال سبحانه : ﴿**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**﴾ المؤمنون / ٩٦.

وقال: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾ النحل/ ١٢٦.

إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه وشواظ يلفح القلب ودخان يغشى الضمير فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب فهو الانطلاق من ذلك الوقر والرفرفة في آفاق النور والبرد في القلب والسلام في الضمير (٧)

ثالثا: والعافين عن الناس

قد تكظم غيظك ولكنك تحقد وتنتظر فرصة للثأر.. أما المحسن فيكظم في عفو محتسبا الأجر عند الله الجواد الكريم ﴿**فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ الشورى/ ٤٠.

أما نفسه وحظها من الثأر فلا مجال لها.. إنه أمات نفسه الأمارة بالسوء، فلم يعد يهتم بما سيقوله الناس عنه بل ماذا سيكون مصيره هناك.. وفي أي درجة

سيكون؟ إن الإحسان جعله خلقا آخر.

قال تعالى: ﴿**فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**﴾ المائدة /١٣.

وقد قيل: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يشرف له في البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه» رواه الحاكم في المستدرك وصححه.

جاءت جارية ميمون بن مهران

بصحفة فيها مرقة حارة وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية: يا مولاى استعمل قول الله «والكاظمين الغيظ» قال لها: قد فعلت، فقالت: اعمل بما بعده «والعافين عن الناس» فقال: قد عفوت عنك، فقالت الجارية: «والله يحب المحسنين» قال ميمون: قد أحسنت اليك فأنت حرة لوجه الله تعالى (٨).

قال الرازي: والإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضر عنه فإيصال النفع المراد بقوله: «الذين ينفقون في السراء والضراء» ورفع الضرر عن الغير إما أن يكون في الدنيا بكظم الغيظ وإما أن يكون في الآخرة وهو المراد بقوله: «والعافين عن الناس» فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير.. (٩).

الإحسان صور ومواقف

قدم القرآن الكريم صورا تتجلى فيها أخلاق المحسنين.. وجههم إليها القرآن لكيونوا قدوة لغيرهم في مجالات الخير..

فبعد أن نهى الله عن أكل الربا وتوعد بالمحق من تعاملوا به وجه لما يجب أن يكون عليه المسلمون من تعامل، وقدم البديل الإسلامي الصحيح للربا فقال:

﴿**وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ البقرة/ ٢٨٠

فالمرابي يمتص دماء الناس ويسعى لزيادة ماله بكل طريق غير مبال بغيره، أما المحسن فيقرض قرضا حسنا وينظر المعسر أو يحط عنه، إنه صورة تبرز ما في الإسلام من سمو خلقي وحرص على مصلحة المجموع.. إنه يسعى لينال حظ المحسنين عند الله « وما عند الله خير أوبقى»

وفي مجال القصاص والديات يوجه القرآن لما ينبغي أن يقدم على غيره، فإن كان القصاص حقا فهناك ما هو أولى

﴿**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**﴾ البقرة /١٧٨ أي إن عفا ولي المقتول عن القصاص وارتضى الدية.. وانظر لروعة التعبير القرآني الذي عبر عن الغريم بالأخ إبرازا لمعنى المصالحة وأنها قلبت الشر الأكيد إلى حب وطيد، والتباعد إلى تقارب وتآخ .. . وفي الآية الكريمة إيماء بقيام الصفاء مكان الجفاء والمودة مكان العداء فلا ثأر ولا عدوان ولا مكان لنزغ شيطان(١٠).

أما مجال العلاقات الأسرية فليكن الإحسان هو السائد بين أطرافها فلا مانع من التنازل عن بعض الحقوق أو التساهل أحيانا ليبقى الإحسان مظللا تلك العلاقات.. وما أقساها من حياة حين

تخلو من الإحسان! قال سبحانه: ﴿**وأن تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم**﴾ البقرة/ ٢٣٧.

فالتمسك بالحق ليس عيبا.. أما التنازل عنه أو عن بعضه أحيانا فذلك شأن أهل الإحسان وهذا هو المنتظر والمقبول في مثل هذه الأحوال، فإذا تعذرت الحياة بين الزوجين، وتنافرا إلى الحد الذي لم يبق معه أمل في حياة آمنة يغشاها السكن والمودة وأصبح الطلاق هو آخر الدواء هنا في هذا الجو الملبد يوجه الله أيضا إلى الإحسان: ﴿**فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾ البقرة/ ٢٢٩.

لا تفكر في تبديد حق من حقوقها أو إجبارها على ما يضر بها.. وأخلاق المحسنين تملى عليك حتى في هذا الموقف الحرج أن تعاملها بكل خير وهذا ما قدر الله.

﴿**ولا تنسوا الفضل بينكم**﴾ هل هناك أعجب من ذلك؟ وقد قيل : ليس الإحسان ان تحسن لمن أحسن إليك ذاك مكافأة إنما الإحسان أن تحسن لمن أساء إليك...

وختاما:

إن الله سبحانه وتعالى حبانا بتلك القيم وضمن لأهلها سعادة الدارين فإذا رأينا غير ذلك فلأن القوم لم يقدروا قيمة ما بأيديهم ولم يحسنوا الإفادة منه.. فلم يحسنوا إلى أنفسهم.. فتأخروا بدل أن يتقدموا، وقد سجل التاريخ بفخر لأسلافنا تقدمهم وانتصاراتهم لما عرفوا قدر هذه القيم.. فلما تخلينا عنها هنًا على الله وعلى الناس..

«فالرسالات العظيمة تنجح عندما تجند لها المواهب العظيمة وهذه المواهب تبدأ بتعود النظام وتنمية الملكات واستكشاف القدرات والخبرات والتجاوب مع فطرة الله في الانفس والآفاق والكراهية الشديدة للتبلد والكسل والعجز والكراهية الأشد للفساد ورؤية الفوضى تدس أصابعها في كل شيء فتجعل العامر بلقعا والدين تواكلا وتخلفا وانهزاما أمام إلحاد مقدام وشهوات جموح». (١١) فما أحوجنا للإحسان في كل مجالات حياتنا وعلى كل المستويات.. رزقنا الله الإحسان وأعزنا بالإسلام وهدانا لكل خير.□

المصادر

١ ـ أبن القيم ـ الفوائد ص ٥١
٢ ـ محمد الغزالي ـ المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص ١٩٨.
٣ ـ ابن حجر العسقلاني ـ فتح الباري حـ ١ ص ١٤٦.
٤ ـ ابن رجب الحنبلي ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص ٢٢٨ و٢٢٩
٥ ـ ابن القيم ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص ٨٥.
٦ ـ سيد قطب في ظلال القرآن حـ ١ ص ٤٧٥.
٧ ـ نفس المصدر والصفحة.
٨ ـ تفسير القرطبي حـ ٤ ص ٢٠٧
٩ ـ تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب حـ ٤ ص ٤٥٨.
١٠ ـ ابن الخطيب أوضح التفاسير ص ٣٣.
١١ ـ محمد الغزالي المحاور الخمسة ص ١٩٩.

الصحة الاجتماعية في الإسلام

الصحة الاجتماعية: تعبير يقصد به أن يكون الانسان متوافقا مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه والتوافق مع النفس يعنى ان يكون الانسان قادرا على التعامل معها والسيطرة عليها فتكون حياته خالية من التوترات والصراعات النفسية التى تقترن بعناصر القلق والضيق والشعور بالذنب وهو يواجه المشكلات بطريقة موضوعية فينعم بحاية مستقرة هادئة ويشعر بالرضا والاقبال على العمل والانتاج ويزداد ارتباطه بالحياة وبالعمل والتعاون لخير الجماعة وتقبله راضية مرضية، حالات لا يغشاها الاحتكاك والتشكي والشعور بالاضطهاد وبدون ان يشعر بحاجته الى السيطرة او العدوان على من يقترب منه أو برغبة ملحة في إطرائهم او استمرار عطفهم او طلب المعونة منهم.

* بقلم الاستاذ: علي القاضي

والانسان لا يستطيع ان يعيش في مجتمعه عيشة راضية مرضية الا اذا استطاع ان يتعامل في المجتمع على اساس من الفهم والتقدير وبذلك يكون اقدر على ضبط نفسه في المواقف التى تثير الانفعال فهو لا يثور ولا يتهور لاسباب تافهة ولا يعبر عن انفعالاته بصورة طفلية الى جانب قدرته على معاملة الناس له بصورة واقعية لا تتأثر بما تصوره له افكاره عنهم، ولذلك يوصف المتوافق اجتماعيا بأنه ناضج انفعاليا.

الاسلام والصحة الاجتماعية:

منهج الصحة الاجتماعية في الاسلام وضعه رب العالمين العالم بنفوس خلقه ما يصلحهم وما يصلح لهم وهو لذلك منهج فطري يسر للقلوب السليمة والنفوس المستقيمة التى تهتدي الى الطريق السوي.

وهذا المنهج هو بمثابة العروة الوثقى التى تربط بين افراد الامة الاسلامية مهما اختلفت اجناسهم ولغاتهم وزيهم والوانهم واشكالهم، نور يضيء قلب المسلم فيتعرف طريقه ويوضح له الحقائق ويبين له ما هو مقبول وما هو

* المحاضر بكلية اللغة العربية والدراسات الاسلامية طشقند/ اوزبكستان

مرفوض في نظر الاسلام وما هو حلال وما هو حرام من خلال الشريعة ويمكن به قلب المؤمن فلا يطيع هواه ولا تغلبه الشهوات ويقنع عقل المسلم فلا يستجيب للمناهج الاخرى وهذا المنهج فيه الكمال والثبات والصدق والشمول والعمومية.

والفرد يخاطبه الاسلام بدون وساطة ويعطيه حقوقا ويلقى عليه تبعات تبرز في النهاية كيانه الفردي المستقل فله حق الملكية الخاصة وهو عضو عامل في المجتمع، والجماعة يخاطبها الاسلام كذلك ويعطيها حقوقا ويلقى عليها تبعات تبرز كيانها المترابط من الشورى والدعوة الى الخير والبعد عن كل ما حرم الله.

وقد اثبتت الدراسات النفسية ان القيم الروحية تجنب الفرد الوقوع في الخطأ وبالتالى تخفف منه حدة التوتر الذي يسببه له تصارع الدوافع والاتجاهات وما يؤدي اليه من مشاعر الذنب الناتجة عن ارتكاب الاخطاء.

والانسان يشعر بالامن النفسي حينما يسلك سلوكا مقبولا نابعا من قانون اخلاقي يستند الى الدين ففي ضوء هذه القيم يعيش الفرد في اطار نفسي وفكري يستمد منه دائما أنماطا سلوكية سليمة وبالتالي صحة اجتماعية سليمة.

والمسلم الذي يتمسك بقيم الاسلام يجد سندا قويا يلجأ اليه اذا ضاقت الامور به وشعوره بهذا السند المتين يكون باعثا له على الاطمئنان النفسي يقول الله تعالى: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ الاسراء/ ٨٢.

فالقرآن شفاء من القلق ومن الحيرة ومن الاضطراب ذلك لان المسلم يحس بأن الله يرعاه فيحس بالراحة والاطمئنان والامن وذلك يبعده عن اليأس والقنوط. والى جانب ذلك فان الاسلام له قيمه البعيدة عن قيم الناس في المجتمعات المختلفة فالمال والجاه ليس لهما اهمية كبيرة، ثم ان المسلم اذا اراد شيئا في هذه الحياة فانه لا يسأل الا الله ولا يلجأ الا الى الله. قال تعالى ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله**﴾ النساء/ ٣٢.

والاسلام يجعل المسلم يحس بكيانه وبأهميته في الحياة لانه خليفة الله في الارض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل والامن بين الناس ويحس بأن الكون وما فيه صديق له وقد سخره الله له قال تعالى ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا..**﴾ البقرة/ ٢٩. فهذا يجعله في راحة نفسية كما يجعله اقدر على التكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه.

والاسلام يقوى عوامل الصحة الاجتماعية المتمثلة في القدوة الصالحة والترغيب والملاينة وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر**﴾ آل عمران/ ١٥٩. لان الافراط في العقاب أو اللوم قد يفضي بالفرد الى حالة من اليأس و عدم الاكتراث، وقد ترتب على الصحة الاجتماعية التى تحققت في المجتمع الاسلامي الاول ان دخل الناس في دين الله افواجا لانهم وجدوا في صاحب الدعوة الرجل الذي يعرف نفسه ويسير في الطريق المستقيم ووصلت الصحة

الاجتماعية وسعادة الافراد والجماعات في المجتمع الاسلامي الى درجة تهفو اليها نفوس الناس في الشرق والغرب على السواء.

مظاهر الصحة الاجتماعية:

وللصحة الاجتماعية مظاهر يراها الناس ويحس بها الافراد والجماعات ومنها:

التوازن:

وهو القاعدة الكبرى للصحة الاجتماعية في الاسلام ذلك ان الغلو كالتفريط يخل بالتوازن ويتمثل التوازن في بدايته في السلبية بالنسبة لله سبحانه وتعالى وفي الايجابية بالنسبة للبشر.

والسلبية: بالنسبة لله الخالق ميزة للمسلم ذلك ان التسليم المطلق لله والطاعة لاوامره ونواهيه هو تسليم الحب والاجلال قال تعالى: ﴿**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ آل عمران/ ٣١. بل ان المسلم يستمد ايجابيته تجاه الناس والاحداث من تسليمه لله سبحانه وتعالى. والسلبية بالنسبة لله تعالى تظهر في سلوك المؤمن في العبادات بمعناها الشامل للزمان والمكان والتي تجعل الدنيا كلها معبداً للمؤمن ويظهر هذا في قوله عليه الصلاة والسلام: «**ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ويكفرها السعي على العيال**» وفي قوله «**لان يمشي احدكم في حاجة اخيه خير من ان يعبد الله شهرا في مسجدي هذا**».

والايجابية: بالنسبة للبشر تعنى الا يكون المسلم امعة يسير في اتجاه الناس صوابا او خطأ بل انه ينصح ويوجه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الى الله على بصيرة.

والايجابية في حقيقتها التقاء النظام الواعي الذي يستهدف السيطرة على الحياة ويوجهها طبقا لحاجات الفرد وحاجات المجتمع البشرى كله، ومن التوازن ان يكون الانسان وسطا في كل اعماله ومن ذلك التوسط في الانفاق قال تعالى: ﴿**ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**﴾ الاسراء/ ٢٩. ومن ذلك ايضا التوسط في اقامة الشعائر وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«**ان اتقاكم واعلمكم بالله انا ومع ذلك فاني اقوم وانام واصوم وافطر واتزوج النساء هذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى**» البخاري.

الرجل والمرأة:

وقد جعل الاسلام الصلة بين الرجل والمرأة قائمة على التوازن ووضع لها ضوابط:

أ ـ ضوابط شخصية: وتتمثل في الاستقامة على قوانين الفطرة الطبيعية، حياة الطهارة والعفة والتقوى قال تعالى: ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**﴾ النور/ ٣٣.

ب ـ ضوابط اجتماعية: وهى تتمل في غض البصر بالنسبة للمرأة وللرجل على السواء، قال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين**

يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ النور/ ٣٠، وقال تعالى: **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن﴾** النور/ ٣١ وحرم الاسلام خلوة الرجل بالمرأة الاجنبية.

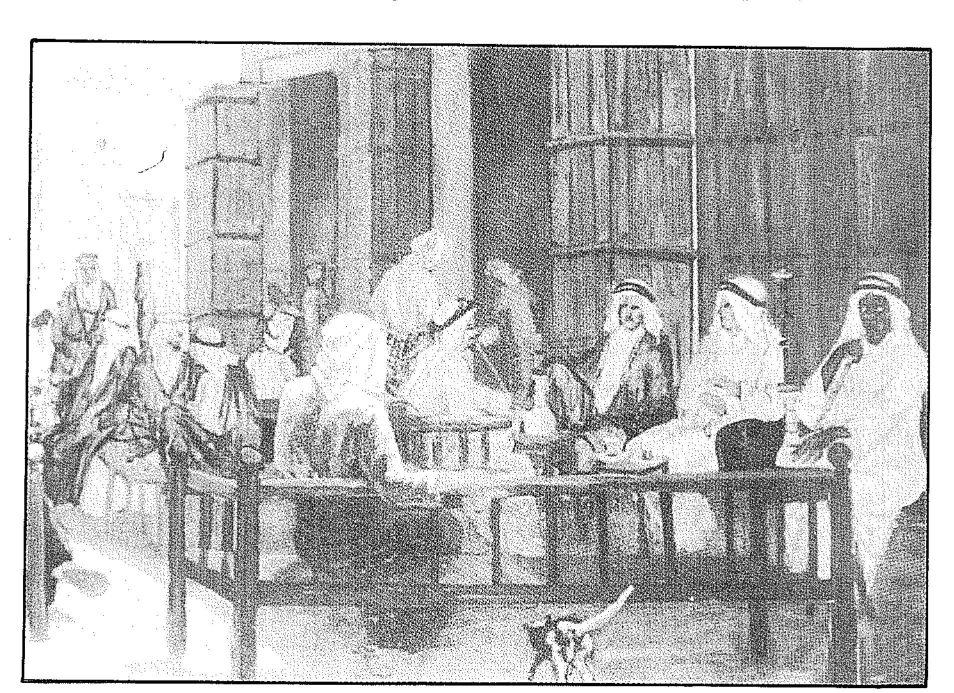
وحدة المجتمع:

ومن مظاهر الصحة الاجتماعية وحدة المجتمع واعتصامه بحبل الله وعدم التفرق فالمؤمنون اخوة وهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر، والمسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.

والتناصح بين المسلمين من مظاهر الصحة الاجتماعية على ان يكون لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وكذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن واجب كل مسلم رأي منكرا ان يغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان.

ووحدة المجتمع الاسلامي تستلزم العدالة الكاملة والمساواة الحقيقية بين الناس جميعا. كما تستلزم الشورى وطلب العلم طوال الحياة بحيث لا يبقى في المجتمع الا عالم او متعلم والله سبحانه وتعالى يقول: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾** المجادلة/ ١١.

ومن مظاهر الصحة النفسية العمل الصالح الذي يحقق وظيفة المسلم في الحياة والمسلم مطالب بالعمل الدائم حتى يلقى الله وكل ذلك في ميزان



حسناته مادام يبتغي بـه وجه الله يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «انما الاعمال بـالنيـات وانما لكل مـــرىء مـا نــوى» البخاري.

وحتى اذا كانت الساعة وفي يد المسلم فسيلة فـاستطاع الا تقوم حتى يغـرسـها فليغرسـهـا فله بـذلك اجر كما في الحديث الذي رواه احمد.

فالكفـاية في العمل والانتـاج في حدود ذكـاء الفـرد وقـــدراتـه المختلفـة تجعل الانســـان يطمئن الى ادائه لـوظيفتـــه في الحياة والقدرة على ضبط النفس، وتحمل المســـؤوليـــة تجعل الانســـان يشعـــر بالسعـادة حين يواجه مشكـلات الحياة بالحكمة.

الصحة الجسمية والنفسية:

ومن مظـاهر الصحـة الاجتماعية ان تكـون صحـة افـراد المجتمع الجسميـة سليمـة من النـاحيـــة التكـوينيـة اذ ان الامراض قـد يكون سببهـا عدم التكيف كالقلق والخوف والشعور بـالذنب ومنها

ان يشعـر افـراده بـالـــراحـة النفسيـة فيستطيع افـراده تخطـى العقبـات وحل المشكـلات بطريقـة موضـوعية وبـذلك

يمكنهم الصمود حيال الازمات والشدائد وضروب الاحباط المختلفـة دون ان يختل ميزانه ودون ان يلجأ الى اساليب ملتوية غير ملائمة لحل ازمته.

اثر الصحة الاجتماعية:

المجتمع الاســـلامي يبنى لاهـــداف يحققها كل فرد في حياته كما يعنى لما بعد الحياة.

والغـاية من هـذا كله تحقيق سعـادة الفـــرد والمجتمع في الـــدنيـا والاخـــرة، والمجتمعات الغربية المعاصرة مع تقدمها في العلم والانتـاج فـانها تفتقد السعـادة الحقيقيـة لانها تفقـد الامن الـداخلي كما تفتقد الامن الخارجي.

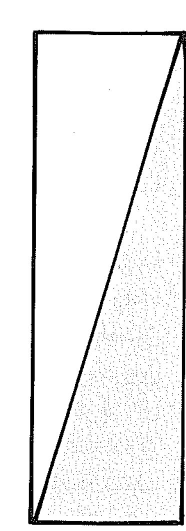
وهى في حاجة الى نهج جديد يحقق ما تفتقده ويجعلها تحس بـالاطمئنان وهذه رسـالـة المسلمين قال تعـالى: **﴿ولتكـن منكم امـة يدعون الى الخير ويـأمرون بالمعـروف وينهون عـن المنكر﴾** آل عمـــران/ ١٠٤، وقـــد لاحظ المستشرق الفرنسي ادوار نوفتيه مدير جامعة جنيف الصفات الموجودة في المسلمين والتى تدل على الصحة الاجتماعية فقال:

«الاســـلام ينتشر بوسـاطـة المسلمين انفسهم فالمسلم على وجـه العموم مؤمن قوى العقيدة وتلك خاصية من خصائص الـدين الاسلامي ان يستحـوذ على نفس المؤمن بكليته وجزئيته في الحياة، فيسعد الافـراد ويسعد المجتمع كلـه ويتبع هـذا المنهج من يريـد ان يسعد من المجتمعات الاخـرى التى تسير الى الهداية» وصـدق اللـه العظيـم القـائل **﴿الـذيـن آمنـوا وتطمئن قلـوبهم بذكـر الله الا بـذكر الله تطمئن القلوب﴾** الرعد/ ٢٨□

قصة قصيرة

التناغم

طارق عبدالفتاح شديد



دلف سامي إلى حجرته الخاصة المكتظة بالكتب، أو «صومعته» كما يحلو له أن يسميها، متأبطا حافظة أوراقه ومجموعة الصحف والمجلات والكتب الجديدة التي ابتاعها وهو عائد من الجريدة.. مسح كتبه ــ المتراصة في أناقة ونظام، والتي تغطي فراغات الحجرة ــ بنظرة إعجاب حانية.. ألقى ما يتأبطه فوق مكتبه.. أنار «كشاف القراءة» وهم بتصفح المطبوعات الجديدة.. ووقعت عيناه على ساعة المكتب أمامه.. كانت عقاربها متعانقة معلنة انتصاف الليل.. ندت عنه شهقة مندهشة:

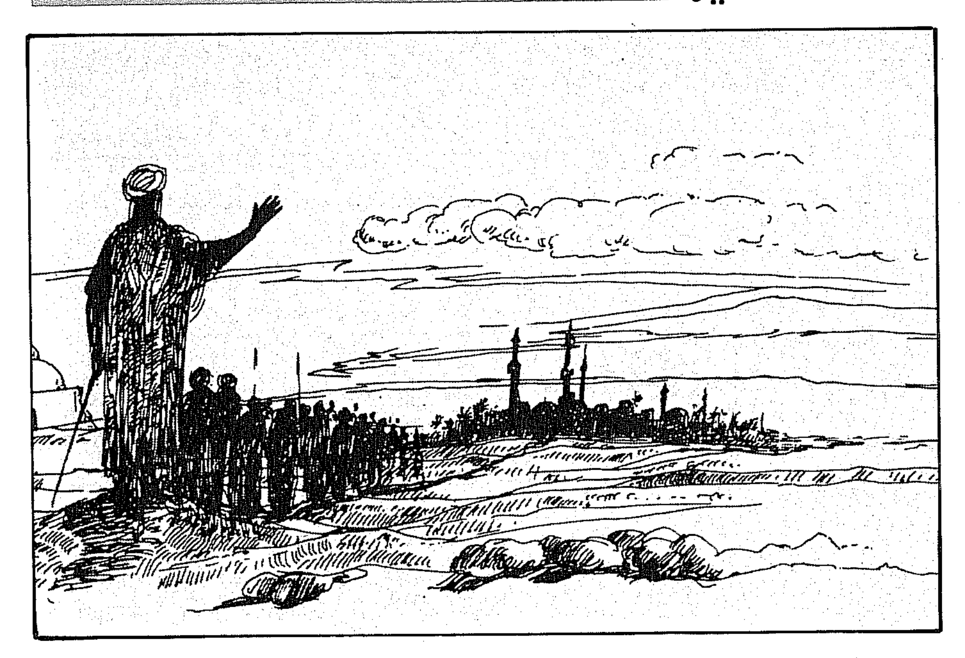
ـ «مرت ساعتان على خروجي من مكتبي بالجريدة، ولم أكتب بعد، بل ولم أستقر على فكرة الموضوع الذي سأسلمه غدا لرئيس التحرير كي ينشر في زاوية (الرأي الحر) لهذا الأسبوع»..

أزاح المطبوعات الجديدة جانبا.. تلقف قلما من المقلمة،، واستل أوراقا بيضاء من حافظة أوراقه.. انكب عليها يريد أن يسودها حتى يثبت لرئيس التحرير أنه أهل للثقة التي خصه بها دون زملائه.. وأخذ يشجع نفسه على الكتابة:

ـ «هيا ياسامي.. لقد أتيحت لك فرصة ذهبية، ستكتب زاوية (الرأي الحر) الموقوفة على كبار المفكرين، والتي ظل رئيس التحرير يرفض مساهمة أي عضو من أسرة التحرير فيها، حتى ولو كان في مرتبة رئيس قسم»..

فقد استدعاه اليوم رئيس التحرير وطلب منه الاتصال بالأساتذة المفكرين المتعاملين مع الجريدة، ورغم عكوف سامي على الهاتف أكثر من ساعة، فلم يفلح في انتزاع وعد من أحدهم بكتابة زاوية (الرأي الحر) لهذا الأسبوع، فهذا مشغول بإعداد بحث سيلقيه في مؤتمر سيعقد قريبا، وذلك يضع اللمسات الأخيرة على كتاب جديدو وثالث عازم على السفر غدا للمشاركة في أعمال ندوة، ورابع مرتبط بموعد الليلة ولا يستطيع كتابة سطر واحد..

وظل سامي يقلب صفحات مفكرته حتى استنفد كل الأسماء التي تحوز ثقة الجريدة، ولم يبق أمامه إلا اسم ذلك «الدعي» الدكتور «ع. ك» ـ كما كان يسميه ـ الذي يتاجر بعلمه،



ويتعامل مع الناس بزهو وعجب شديد بنفسه، مما يتنافى وكونه مفكرا مسلما، فهو يتذكر صورته المتعالية عندما كان يأتي إلى الجريـدة ليتقاضى أجر مقالاته ولا يلقي بالتحية على أحد.. ومازال يتذكر أصداء الصوت الممجوج لذلك الدعي خلال الاتصال الأول ـ والأخير ـ معه على الهاتف يطلب منه ألإذن بمحاورة صحفية حول إحدى القضايا، فكان رده البارد الذي أذهل سامي وأربكـه: «كم ستدفعون في مقابل ذلك؟»!!.. بعد أخـذ ورد طويلين عزم سامي على الاتصـال به قائلا لنفسه: «فلتكن مـوضوعيا(!) ولتأخذ منـه علمه، ودعك من سلوكه الشخصي»!، بيد أن صوت زوجة الدكتور، عندما جاءه على الطرف الآخر من الخط، بـدد آخر محاولاتـه، فـالـدكتور «عـامـر كـريم» قد أدخل إلى المستشفـى لإجراء عمليـة جراحية(!).. دعا له بالشفاء العاجل، وهو يخاطب زوجته، وتمنى أن يهديه الله ويستوعب درس هذا الابتلاء بعد أن أغلق سماعة الهاتف!

حكى سـامي لرئيس التحـرير محاولاتـه الفاشلـة في استكتاب أحـد المفكرين البـارزين، ففاجأه رئيس التحرير بقوله: «تكتب أنت المساهمة واستلمها منك غدا..»

ظن في البدء أن رئيس التحرير يمزح معه، لكن سرعان ما انقشعت سحائب ظنه أمام جدية ملامح رئيس التحرير وتواصل حـديثه: «يا سامي ثقتي فيك كبيرة، فأنت مثال للصحفي المسلم الواعي المجتهد»..

خرج سامي من مكتب رئيس التحرير ولسانه يلهج بعبارات الشكر والامتنان، وقلبه مثقل بالفرح الممزوج بعبء المسؤولية.. ظل طـوال طريقه إلى بيته يستعرض الأفكار التي جرت العادة على معـالجتها في هـذه الزاويـة، ليستبعدهـا تباعـا: فلن يكتب عن تخلف شعـوبنا الإسلاميـة وتشرذمها وتنـاحرها وتبعيتهـا وتكالب الأمم عليهـا نتيجة بعـدها عن منهج الإسلام وشريعته، ولن يخوض في حديث عن الدم المسلم المستباح والمسترخص من القريب

والبعيد، ولن يتكلم في علاقة الإسلام بالغرب وحضارته المعاصرة، ولن يعرض لأزمة الحرية وحقوق الإنسان في أمتنا، ولن يتحدث عن الغزو الثقافي والأخطار المحدقة بهويتنا، ولن يتناول الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي استشرت في جسد أمتنا وتحول دون صحوتها ونهوضها الحضاري، ولن...، ولن...، هكذا استمر يتذكر ويستعبد، وحتي لحظة جلوسه إلى مكتبه في (صومعته) كان لايزال يجهل أي موضوع سيطرق في زاويته المرموقة..

ومع أنه أمسك بقلمه وانحنى فوق أوراقه فارضا علي نفسه وضعية الكتابة ـ على أمل أن تترفق به الأفكار فتهبط عليه سخية — إلا أنه مكث لحظات طوالا عاجزا عن خط حرف واحد، فنهر نفسه قائلا: «ماذا بك ياسامي؟!.. ألم تعد قادرا على طرح فكرة ومعالجتها؟!.. هل استفحل العقم في عقلك وفي خيالك إلى حد شل يدك عن الكتابة؟!».. لكن هذا التوبيخ لم يأت بالمردود المرتجى.

خطر بذهنه أن يصنع لنفسه «فنجانا» من القهوة ينبهه ويشحذ ذاكرته، وبعد أن احتسى قهوته في تؤدة ـ محاولا بين رشفة وأخري لملمة شوارد أفكاره ـ وجد قلمه مازال جامدا في يده، والأوراق أمامه تتحداه ببياضها الناصع..

حاول مرة أخرى بحزم وقبض بعزم على قلمه، وخط في أعلي ورقة بيضاء كلمتي: «الرأي الحر»، ومع أنه ظل قابضا علي القلم بالعزم فقد تعذر عليه تسطير كلمة واحدة أخرى.. نظر في حنق إلى «رأس» القلم، وضغط بأصابعه على «جسمه» وكأنه يحاول إرغام كلمة ـ قد انتصبت في حلق القلم ـ علي الخروج، ولكن الكلمة في عنادها متشبثة!

شعر سامي بصداع خفيف يغزو رأسه.. قام وابتلع قرصين لصد الغزو، ثم عاد إلى أوراقه يشجع نفسه: «هيا يا سامي، اعصر دماغك وفكر مليا».. ولكن يبدو أن الفشل قد صار حليفه!..

تلصصت عيناه بقلق علي ساعة المكتب أمامه: «أووه!!».. زفر بها في حدة وغضب.. طارت على إثرها عصافير اليأس واخترقت رأسه، وتسللت رويدا رويدا عبر شرايينه إلى جميع خلايا جسده.. لقد صار الليل شيخا هرما ولم تبزغ بعد فكرة جديدة، ولم يطلق هو سراح قلمه.. شعر بخدر عميق يسري في عروقه.. تسارعت نبضات قلبه.. تفصد جبينه عرقا باردا.. أحس باختناق شديد.. اندفع نحو شرفة «صومعته» يتلمس نسمات تسعفه.. صافحت وجهه نفحات ربيعية ناعمة، فأحس شيئا من الانفراج.. سبح ببصره في أرجاء القبة السماوية المرقطة بقطع الألماس اللامعة.. أعمل عدسته التدبرية، فاستدعت هذه اللقطة الباهرة ـ في مخيلته ـ لوحة السماء نهارا، وتعجب.. كيف أن رسول النور — منذ إشراقه ـ يحجب عن بصره العالم الأكبر كله، فيصبح أعمى لا يراه، وعندما يغيب رسول النور ويحل الظلام، يصبح أهدى، ويكون للعالم الأكبر أبصر!..

اتسعت عدسته التدبرية حين تمركز نظره على القمر شبه المكتمل والمائل نحو المغيب: «هذا الوجه الوضاء الذي ألهب خيال الشعراء، وأجج عاطفة المحبين علي مر العصور، ثبت أنه قناع زائف يرتديه الوجه الذي هو ظلام، وتراب، وصخر، وخلاء، وصمت، ووحشة رهيبة مديدة».. ثم تسائل: «هل هذا الوجه الساكن المتجهم يعبر عن حقيقة الذات القمرية؟!»..

تلاشى إحساسه بالاختناق.. شعر بالدماء تتدفق في شرايين التواصل الكوني داخله..

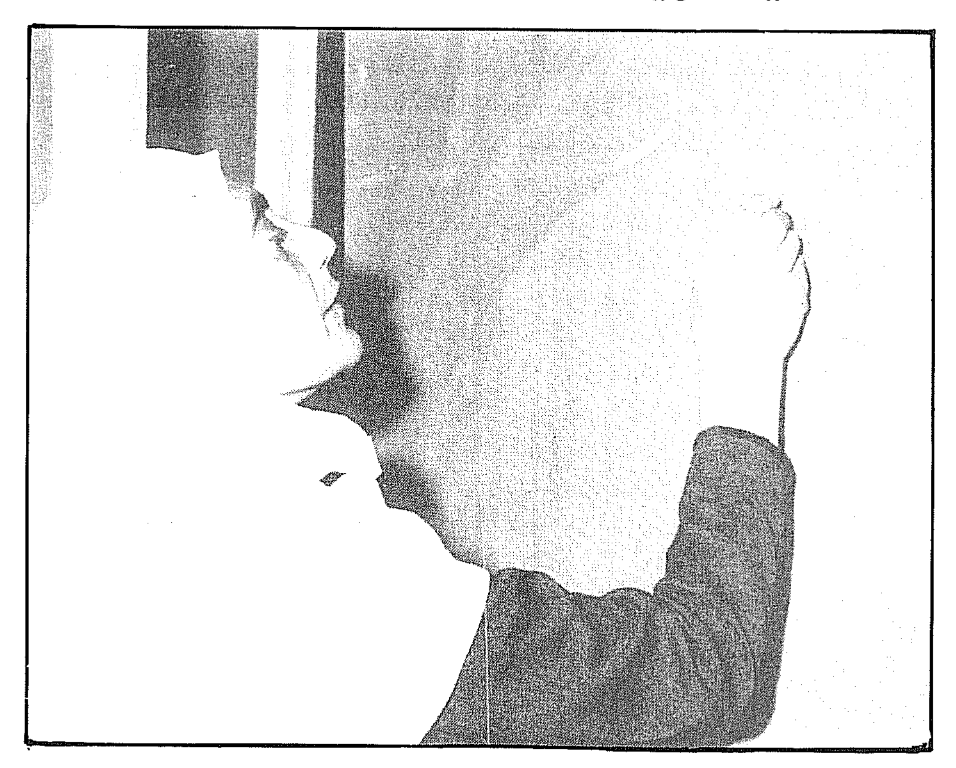
وخيل إليه كأن خيوطا نسجت بين ذاتــه والقمر كذات عابدة ساجدة: «قــاموس هذه الذات القمرية اللغوي يستوعب جميع مفردات (التسبيح والقنوت) التي نعرفها والتي لا نعرفها، ولكننــا نحن الجهــابـذة المغــرورين بقطـرات علمنــا المحــدود لا نفهم كيفيـة تسبيحهــا المتفرد(!).. هــذا القمر العابد يستبشر بنــا حين ننسجم معه تسبيحيا، ويكــاد يتفطر كلما سمعت أذنه المرهفة أحــاديثنا الجاحدة، وكلما بصرت عيونه النافــذة تصرفاتنا الآثمة، إنها الغيرة التي تسكن قلبه الســاجد الأواب، كم حزن هذا القلب حينما رأى أول أقــدام بشرية تطأه هي أقدام الجحود والضــلال، وأول علم يزرع فوقه هــو علم الشرك والطاغوت، فكم تمناها أقدام العرفان والطهارة، وعلم التوحيد والهداية»!

هذا التواصل مع إيقاعات القمر القانت الأواب جعله يتذكر فجأة أنه لم يؤد صلاة العشاء، فقد ترك مكتبــه في الجريدة دون أن يصليها في جماعة مع بعض زمــلائه كما تعود.. انسل من الشرفة عــازما الوضوء.. أحس بعــد إسباغه الوضــوء بارتياح طرح عن كــاهله أحمالا ثقيلة.. افترش سجادة الصلاة.. وقف بين يدي ربه تغمره بحار الخشوع.. سجدت جميع خلايــاه تسبيحا وقنوتا.. رفـرفت روحه محلقة عبر أجوائهــا النورانية.. شعر بــانسجام الأنغام النابعة من ذاته مع المعزوفة الكبرى للكون الأواب من حوله..

ما أن فرغ من صــلاته، وشرع في العودة إلى مكتبه لتحرير الزاويــة العصية، حتى انهمرت عليه الأفكــار المنتظرة: «أزمــة النخبة الثقافيــة والسياسية في عــالمنا الإســلامي».. «خطر الاستغراب والمستغــربين».. «محنة المسلم مع حضــارة العصر».. «أمة اقــرأ متى تقرأ؟».. «المسلمون والخروج من دائرة رد الفعل إلى دائرة الفعل الحضاري»...

أوقف سامــي سيل الأفكار المتدفق عليــه، مندهشــا من الجدب الذي حل بــذهنه طــويلا، وفشله المرير في قنص فكرة واحدة، ثم انثيال الأفكار عليــه بمجرد عودته إلى ذاته العابدة، وتجاوبها مع إيقــاعات الكــون القــانت.. تنــاسى الأفكار الجديــدة.. مكث يتأمل تجربتــه ويبلور أفكارها: «إذن، فالإنسان السوي المتفوق، المتوحد، المتسامي، يتحقق في مرونة تثير الــدهشــة والإعجــاب حينما يلتــزم بمنهج الخالق.. ووجــود هــذا الإنســان سيحل جميع مشاكلنا المزمنة تلقائيا.. فما أمس حاجتنا إلى ذلك الإنسان الذي ينشده الإسلام.. الإنسان الذي يأكل الطعــام ويمشي في الأسواق، يضحك ويبكي، يمزح ويجد، ويتوقــد ذكاء، يتألق أخلاقا، يشع نظافة جسدية وجمالا روحيــا، يتضوع محبة وألفة وودا، يثور كالبركان إذا اقتضى الأمــر أن يثور، ويصبر كــالجبال الــرواسي إذا اقتضى الأمر أن يصبر.. إنســان لا تفارق البسمــة شفتيه حتى وهــو يبكي، ولا النور والوضــاءة عينيه وجبهتــه، حتى وهو يجتــاز الدروب المظلمــة.. إنســان حاضر دومــا في قلب العصر الــذي ولد فيــه، وفي صميم الجماعة التي شرفها بــوجوده، ولأنه حاضر دوما، فإنــه يسهم في تغيير التاريخ وفي صنعه أيضا»..

وللحال، وقبل أن يــرحل الليل وهو مستغرق في تــوصيف الإنسان المنشــود، قبض سامي على قلمه، وبدأ بتسطير عنوان مقالته: «الإنسان الرباني.. أولا وأخيرا».. وبأقل من ساعة، وقبيل أن تتناغم ذاته مع الكــون الساجد تلبية لنداء الفجر، كــان قد سود الأوراق، وأنجز الصياغة..



المرأة بين الدور والعمل

للأستاذ : محمد أحمد حسن الشافعي

إن «عمل المرأة» بمعنى قيام المرأة بعمل الرجل، من القضايا الملحة التي أدلى فيها كثير من المفكرين والمثقفين بدلائهم. فدبجوا مايعز حصره من صفحات، تعج بالبراهين المنتخلة والأدلة المنتخبة. لكن تحديد المصطلح «عمل المرأة» لم يحظ بقدر مناسب من العناية، مما نهض حائلا دون بلوغهم الغاية المأمولة والهدف المرجو، من الإحاطة والبيان.

وأس القضية أن الرجل والمرأة ليسا مخلوقين مختلفي الغايات والمرامي وإنما هما مخلوق واحد ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ الروم/ ٢١

﴿**ما خلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير**﴾ لقمان / ٢٨.

﴿**فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ الشورى/ ١١.

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**﴾ النساء/ ١

ويسعى هذا المخلوق لغايته التي خلق من أجلها وهي عبادة الله ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ الذاريات/ ٥٦

وذلك من خلال إحسان القيام بدوره في خلافة الأرض ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون**﴾ البقرة/ ٣٠

فإحسان الخلافة ينتهي بالإنسان إلى تحقيق العبادة بمعناها الواسع، وهو تحقيق المنهج الإلهي على الأرض. بما يضمن ثواب الآخرة وسعادة الدنيا.

ولباب الأمر، أن الرجل والمرأة سواء في المنزلة عند الله وسواء في مبدأ التكليف، وسواء في الأهمية بخصوص القيام بأعباء الخلافة. لا يعمر كون ولا يبقى نوع ولا تتم عبادة الا بكليهما غير أن لكل منهما دورا يكمل الآخر، ولا يماثله، وفي ذات الوقت لا يخالفه فالرجل والمرأة شريكان لهما نفس القصد والغاية التي لا سبيل إليها إلا بتكامل دوريهما. وعلى ذلك فإن تحديد المصطلح يقتضينا أن نستبدل «بعمل المرأة» «دور المرأة» وبدهي أن دور المرأة يحتوي فيما يحتويه عمل المرأة، وأن تكامل الدورين دور الرجل ودور المرأة يعني بالضرورة تكامل عمليهما، دون تماثل أو تنافر، إذ يعني التماثل إمكانية أن يغني أحد المتماثلين عن الآخر.. كما أن المتنافرين لاتجمعهما غاية وبقاء أحدهما أو قوته لا يتم إلا بذهاب الآخر أو ضعفه.

وقد بدأ الرجل والمرأة في ممارسة دوريهما في الجنة، قبل أن يهبطا إلى الأرض، فآدم عليه السلام وقد تسلح بالمعرفة ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾البقرة/ ٣١

قد أوشك أن يكمل تأهله ليمارس دوره في حماية نوعه «متمثلا في زوجه قد انفرد بالخطاب الإلهي» ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾ البقرة/ ٣٥.. وإفراد الخطاب لآدم هنا، وهو متعلق بأوامر ونواه لا تخصه وحده، يسمح بهذا الاستدلال. ثم وقعا في غواية ابليس وتقرر هبوطهما إلى الأرض ﴿**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾ البقرة/ ٣٦

وأحس آدم وحواء بالزلل الذي أنشبتهما فيه الغواية فجعلا يستغفران

الله سبحانه وتعالى ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ الأعراف/ ٢٣

﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾ البقرة/ ٣٧

والإفراد في الخبر في الآية الأخيرة مع عموم المخالفة، وعموم الاستغفار، ثم عموم المغفرة والتوبة. يفيد ما أفاده إفراد الخطاب لآدم قبل ذلك.

وفي الجنة لم يكن دور حواء واضحا وضوح دور آدم، فاقتصر على استجابتها للأمر الذي تلقاه زوجها لكليهما إذ لم يكن لها أن تمارس دورها الأول الذي أهلت له وزاولته من بعد على الأرض، من مشاركة لآدم في «حفظ النوع»، ومن قسمة أعباء الرعاية والحماية لصلاح النوع، الرعاية للمرأة، والحماية للرجل، بموجب الاستعداد الخلقي والخلقيَ لكل منهما. هذا الدور الذي جلاه القرآن الكريم وأبرزه، حين أوصى الإنسان بوالديه حسنا، مدللا على استحقاقهما للمعاملة الطيبة بجهد الأم ودورها ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير**﴾ لقمان/ ١٤

﴿**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين**﴾ الأحقاف/ ١٥

فإذا انتقلنا إلى «عمل المرأة» وهو فرع في دورها العام، فالطبعي أن يدور مع دورها دوران الجزء مع الكل.

والحقوق والواجبات والأوامر والنواهي والحلال والحرام والضرورات والمحظورات كل ذلك وغيره لم يحدده الشارع الحكيم عبثا، وإنما رسم بدقة ووفق حكمه تجاوزان قدرة الإنسان على التصور - وإن لم يحرم نعمة الإلمام ببعضها - وعلى ذلك فإن أي مخالفة من قبل الإنسان للمنهج تعني قدرها أو مثلها من اضطراب الوسائل وضلال السعي إلى الغاية وجر الشقاء والحرمان من ثواب الآخرة.

والحقوق غير المشروطة أو غير المقيدة «بظرف أو إمكانية» تقابلها واجبات تشاكلها وتماثلها في الإطلاق.. حتى ليكون الحق والواجب أمرا واحدا.. فمن حق له العمل وجب عليه العمل ومن وجب عليه حق له.. وكذا الأمر في غير ذلك من مناشط الحياة.

أما الحقوق المقيدة فهي رهن بحالات استثنائية تمخضت عنها أحوال أو قدرات استثنائية يوشك غياب الحق المقيد إزاءها - بما يلزمه من واجب يضاهيه - أن يسلب الفرد أو المجتمع توازنه.. كإباحة الزواج من أربع..

وثمة محظورات تبيحها الضرورات إذا حاق مايهدد بقاء حياة الإنسان تهديدا مباشرا سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة.. وهو استثناء على الاستثناء.. ويكون المباح من المحظور على قدر الضرورة كأكل الميتة مثلا.

وإنما يلتبس الأمر عند من يقع في أحبولة الخلط بين الحق المطلق، بما يقابله من واجب عام، وبين الحق المقيد، والواجب المقيد، والمحظور الذي تبيحه الضرورة على قدرها. فأداء المرأة لفريضة الجهاد في

ظروف استثنائية معينة، لا يقاس عليه تجنيدها بالجيوش في ظروف بعيدة عن الاستثناء أو الضرورة.

ولاينبغي الإفراط في الاستدلال بالمتواتر عن نهوض المرأة بأمور تبدو من عمل الرجال كعنايتها بفرس أو مشاركتها في أعمال الحقل.. إلى مايشبه ذلك. فهذه أعمال يسهل على المرأة أداؤها، ولا تناهض دورها ولاتلزمها ترك ميدانها في منزلها.. فالمعهود في الأعمال التي تؤديها الفلاحات أو البدويات، أنها مما تعتاد المرأة ممارستها في منزلها جامعة بينها وبين دورها في الرعاية، أو هي من قبيل الأعمال التي تنتقل إليها الأسرة جميعها، حاضنها ومحضونها كأعمال الحقل، وهذا اللون من الأعمال، يمكن للمرأة فيه أن تدع الفرع إذا دعاها الأصل، في أي وقت كما أن الاختلاط فيها اختلاط بين محارم.. ويتشاكل الأمر أيضا حين يستدل بعض الباحثين بالوقائع المحدودة، على عموم الأحوال وما لا يعد من الوقائع.. بينما يتغافلون عن النظر في بدهية مقاربة أعداد الإناث لأعداد الرجال في عموم البيئات والعصور.

وعن ربطه بما تخلص إليه دلالات الإحصاء من أن مدى قيام المرأة بعمل الرجل لا يخرجه بأي حال من دائرة الشذوذ والاستثناء إلى دائرة المساواة.. وأن إسهام المرأة في القيام بعمل الرجل من جهة العدد ومن جهة الجهد لم يساو مطلقا إسهام الرجل من جهة العدد والجهد – في بيئة معينة وزمن محدد إلا أن يكون ذلك علة أو نتيجة لخلل اجتماعي وحضاري.

وليس من الجائز كذلك أن يستدل بمظاهر حركة المرأة في المجتمع إبان عصر صدر الإسلام آنذاك.. فكثير ممن يناقشون قيام المرأة بعمل الرجل – في هذا العصر الرشيد الوضيء – يعرجون على الاستشهاد.. بإتيان النساء للمساجد أو طلبهن العلم.. إلى ما شابه ذلك.. خالطين

بذلك بين مظاهر قيام المرأة بعمل الرجل وبين مظاهر حركتها في المجتمع.. ومعروف أن تخصصها في الدور لا يلغي حركتها الاجتماعية بحال من الأحوال.

ولما كان الرجل من جهة التكليف، والصلاحية، قادرا على الوفاء بمقتضيات الحماية والسعي، فقد كفيت المرأة أن تؤدي دورا لا تحسنه، ولا تصلح له، ولاينبغي لها، إلا وفق ضوابط محددة، لتفرغ لدور لا يصلح له الرجل ويناسب كل المناسبة قرات المرأة وإمكاناتها.

وعلى ذلك، فإن الدعوة إلى خروج المرأة لتؤدى عمل الرجل، لايبعد عن أن يكون دعوة لفوضى الاجتماع.. وجرأة على سنن المنهج الإلهي، تباعد بين الفرد والمجتمع، وبين السعادة وإحسان الخلافة والعبادة.

والقول بحق المرأة أو واجبها في القيام بعمل الرجل، ان لازمه القول بأن عملها المرجو يسبق واجبها الأول في الحفاظ على النوع ورعايته، فهذا هراء. وإن لازم الدعوة إقرار بواجبها في رعاية النوع فهو ظلم.. يصادم العدل الذي هو من أعلى مقاصد الشريعة والاجتماع البشري، فلا يكون من العدل أن تعمل المرأة في جبهتين،

وأن تنوء بغالبية أعباء الخلافة، ومن مشاركة مبهظة في الحفاظ على النوع، إلى انفراد برعايته، ثم تكلف حمايته بخروجها إلى العمل. لا سيما إذا وضعنا في الاعتبار أن رعاية النوع ممتدة بالنسبة

للمـرأة – مـن قيـام بأمـر الـزوج.. إلى حضانة الطفل الأولية «الحمل – الميلاد – الرضاع» إلى توالي أشكـال من الحضانات ومراحلها بسبب تكرار الميلاد وتعاقبه.

وعلى ذلك فهل تحسـب المنـاداة بحق المرأة في القيـام بعمل الرجل منـاداة بظلم المرأة وهضمهـا وإعنـاتها، أو منـاصرة وتكريما لها..؟!!

والمتأمل لواقـع المجتمعات التي يشيع فيها عمل المرأة، يـدرك بيسر وسـهولة، أن الأمـر انتهى فيهـا غير محمود العـاقبـة، ففسد أمـر المنزل ولم يحسن أمـر العمل الذي تؤديه، ودفع الجميع ثمنه، «الرجل» والمرأة «والأبناء».

فما بـال من يتنـادون بـاحترام التخصص في كل حـركة الحيـاة، يغفلون عن أن الدعوة إلى قيام المرأة بعمل الرجل، هو هـدم لمبدأ التخصص في أول أشكـاله وأهمها على الإطلاق؟

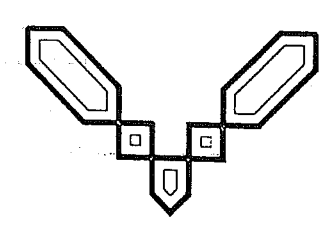
ومن المهم في هذا المقام أن نلتفت إلى أن : النسـاء الـلاتي أورد القـرآن الكـريم ذكـرهن في موضع التكـريم، كن أمهـات، وحـواضـن، وراعيـات لأطفـال أعـددن للنبوة.. أو راعيات لآباء أو قائمات برعاية أزواج فثمة.. مريم ابنـة عمران أم عيسى عليه السـلام.. وأم موسى عليـه السلام، وأخت موسى، وآسية بنـت مزاحم زوجة فرعون، وأم إسماعيـل عليه السلام، وأم اسحاق ويعقـوب عليهما السلام، وابنتـا شعيب.. وإحداهن تزوجهـا موسى عليه السلام..

ويلاحظ أن تكريمهن في القرآن وارد في سياق الحكـاية لأدوارهن في رعـاية أعظم الرجال من أبناء أو آباء أو أزواج.

وأن عظمتهن مقـاسـة على عظمـة المحضـون أو المرعي وعلى قدر المحنـة في احتضـانـه ورعـايتـه والأهم من ذلك أن الخطاب «الفقهي» للمـرأة يحدد دورها في رعـايـة النـوع.. إكمالا لـدور الـرجل في حمايته، ووصولا بالدورين معا إلى صلاح النوع، لتقـوم خلافته وتتم عبـادته، كما يؤكـد هذا الخطـاب على كونها في حمايـة الرجل، وكفالته ابنة، وزوجة، وأما..

وهذا جلي في رؤيـة الشارع الحكيم لما يتعلق بـالمرأة من أمور: الخطبـة، الزواج، الطـلاق، الصـداق، الميراث، الشهـادة، الحجـاب، الحقـوق الـزوجيـة. ضـوابط الحركة الاجتماعية إلى غير ذلك من أمور..

والله أعلى وأعلم

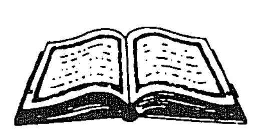


فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء..

والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

كما يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ــ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية ٢٤٤٤٤٠٥ و٢٤٦٦٩١٤ و٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩.. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



ماحكم العمل في البنوك؟

* ماحكم الشرع في العمل بالمؤسسات التنموية والبنوك هذا العمل الذي يعتمد أساسا على تقديم القروض والأعانات المالية للدول الفقيرة وهذه القروض بطبيعتها من النوع الميسر أي لها فترة إمهال طويلة للسداد فوائد بسيطة تقدر ما بين ٩٨ إلى ١٠٦ علما بأن العاملين بهذا الصندوق يتقاضون رواتبهم عن طريق الرسوم الإضافية المفروضة لإدارة هذه القروض التي تفرض أساسا على المقترض زيادة على مبلغ القرض الأساسي الممنوح، ولاتعتبر هذه الرسوم من ضمن الفوائد.

وماحكم الشرع في عمل الموظفين الذين يتطلب عملهم تحضير اتفاقية القرض والتي عادة تتضمن هذه الفوائد وذلك من خلال تقييم المشاريع ومناقشة بنود اتفاقية القرض والتوقيع فيما بعد لتسهيل واتمام إجراءات القرض ومن ثم متابعة المشروع.

ماحكم الشرع في عمل الموظف الذي يعمل بشركة تجارية تعتمد التسهيلات البنكية في استيراد البضائع ثم بيعها في الأسواق المحلية ثم تدفع للبنوك فوائد بنكية، علما بأن هذا الموظف هو ابن صاحب الشركة.

– أجابت اللجنة بأنه يحرم القيام بالوظائف التي من مهامها إنشاء المعاملات الربوية، أو اقتراح الدخول في الربا، أو تداول السندات أو أسهم المؤسسات الربوية لحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء) رواه مسلم.

وعلى المستفتي البحث عن عمل آخر مباح إذا كان عمله متصلا بالمعاملات الربوية ولا يجوز له الاستمرار في عمل ذي صلة بالمعاملات الربوية الا للضرورة التي تبيح المحرمات.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هل يجوز استعمال الدف والدربكة في الأناشيد؟

ماحكم الشرع في التسجيلات الإسلامية التي تحتوي على الدف أو الطبل (الدربكة).

علما بأن هذه الأناشيد ذات طابع جهادي وحماسي تحث على الجهاد والبطولة.
– أجابت اللجنـة : أنه لا بأس باستعمال الـدف، و(الدربكة) المسماة بـالكوبة المصـاحبة للأناشيد الإسـلامية والحماسية ولكن الأفضل تجنبها خروجا مـن اختلاف الفقهاء فيها، والله أعلم. وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الترويج للسلع بالتلفزيون

تقوم حاليا احـدى الجمعيات بدراسة مشروع استغلال أجهزة التلفـزيون الموجودة داخل السوق المركزي في الإعـلان عن السلع والأصناف بقصد ترويجها والدعـاية لها، وإزاء ما قد يقترن العرض الإعلاني أو يتخلله أو يصاحبه من موسيقى أو معازف فإن الجمعية تود قبل الشروع في التنفيـذ تحريـا لحكـم الشرع. ان تستطلع الـرأي في جـواز اقتران الأعمال الدعائية والإعلانية المذكورة داخل السوق بمعازف أو موسيقى.
– الموسيقى المجردة أو الموسيقـى التي يصاحبها غنـاء من الأمور التي اختلـف الفقهاء في حكمهـا بين مبيح ومـانع ولكل دليلـه وحجته، فهي مـن الأمور المشتبـه، فأقل درجـاتها الكراهـة، والأولى تركهـا إلا إذا صاحبهـا محرم ككشف العورات والـرقص والغنـاء أمام الرجال الأجانب أو كـان ملهيا عن الواجبات الشرعية ونحوهـا، فتكون محرمة، والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هل يجوز بيع أدوات التجميل؟

* هل يجوز المشـاركة في التجارة مع شخـص يضع أموالـه وديعة في بنك ربوي، ويـأخذ عليها فوائد؟

وهل يجوز بيع أدوات المكياج ومستحضرات التجميل؟
وهل يجوز بيع أقـلام وساعـات تحتوي بجـزء أو بكل علي عيار ١٤، ١٨، ٢١ من الـذهب وماشابهها من أشياء يستخدمها الرجال مثـال خاتم الذهب للرجال مع ذكر الأدلة جميعا من الكتاب والسنة؟

– وبعد المناقشـة آجابت اللجنة بأنه : يجوز المشاركة مع هـذا الشخص إذا كان رأس مال الشركة من مـال حلال خـال من الربا بحيث يكـون عند هذا التـاجر مـا يغطي نصيبه في الشركة من المال الحلال بأن يكون أكثر ماله حلالا.
كما أجـابت اللجنة : بأن الأصـل جواز بيع أدوات المكيـاج ومستحضرات التجميل والأولى عدم بيعها لمن علم عنها يقينا أنها ستستخدم في التبرج والزينـة أمام الرجال الأجانب والله أعلم.

وحول النقطة الأخيرة أجابت اللجنة : بأنه يجوز لبس الساعة المطلية بالذهب إذا كان يسيرا بحيث لا يمكن استخلاصه منها، أما اذا كانت في الساعة أجزاء من الذهب الخالص فإنه لا يجوز للرجال لبسها مطلقا، ويجوز لبسها للنساء دون الرجال وينطبق على البيع ما ينطبق على اللبس من أحكام. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

اقتناء أجهزة الستالايت

ظهر في الآونة الأخيرة بكثرة جهاز استقبال تلفزيون المسمى بـــ (الستالايت) يستطيع الإنسان من خلاله استقبال بث محطات التلفزيون العالمية ولا يخفي عليكم ما تبثه تلك المحطات من سموم وحرب لدين الله بكل مظاهره وأساليبه يتضمن ذلك أفلاما مخلة بالحياء ونشرا لتعاليم النصارى أو الدول الكافرة، فهل يجوز اقتناء مثل هذا الجهاز أو الدعوة إليه والاتجار فيه، علما بأن البعض يقتنيه لمتابعة المستجدات في العالم.

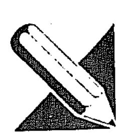
أجابت اللجنة : بأن الأصل في الأشياء الحل، وأن للوسائل حكم المقاصد فاذا كان الغرض من اقتناء هذه الأجهزة وبيعها والاتجار بها أمرا مشروعا كمشاهدة الأخبار العلمية والمستجدات العالمية فإنه لا مانع شرعا من اقتنائها لهذا الغرض المشروع، شأنها في ذلك شأن كل الأجهزة التي يمكن استخدامها في الخير والشر، كالتلفزيون، والفيديو والراديو.

وأما اذا كان الغرض من اقتنائها النظر إلى الأفلام المحرمة، أو جلب فتنة، تضر بالاخلاق والقيم الإسلامية الفاضلة، أو تؤثر على العقيدة الإسلامية فإن اقتناءها حينئذ لهذا الغرض محرم شرعا لما تجره من مفاسد. كما يكون الاقتناء والاستعمال محرمين فيما اذا غلب الاستعمال المحرم على الاستعمال المباح أو كان ما يستقبل بواسطة هذه الأجهزة من مباح مختلطا مع المحرم بحيث لا يمكن تفاديه أو صرف الأبناء عن مشاهدته فيكون محرما سدا للذريعة المفضية إلى الحرام افضاء غالبا، خاصة مع عدم خضوع البرامج المستقبلة عبر هذه الأجهزة للرقابة الرسمية، والله أعلم.

وتهيب اللجنة بأولياء الأمور أن يحرصوا على استعمال هذه الأجهزة استعمالا شرعياً مفيداً، وألا يتركوا الفرصة لابنائهم وبناتهم أن يتابعوا القنوات والمواد الهابطة والمنافية لتعاليم ديننا الحنيف، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مرسى

فأما الزبد فيذهب جفاء



هنا يرسو قلمُ أحدنا، ينفض عن كاهلِهِ وطأة الأيام وازدحام الاعمال وهموم الواقع، فيبث القاريء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

بقلم
تمام أحمد

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»

احتفلت المملكة العربية السعودية في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر الماضي بالذكرى الثالثة والستين لليوم الوطني الذي يعد في رأي المراقبين المنصفين انطلاقة تحول كبرى ونقطة بارزة مضيئة عكست إنجازات ضخمة على كافة نواحي الحياة في المملكة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وذلك عبر مسيرة شاقة طويلة مليئة بالتحديات نقلت المملكة إلى بر الأمان والازدهار والتقدم والرفاه خلال فترة وجيزة نسبيا في عمر الدول والحضارات.

إن من حق كل عربي ومسلم أن يفخر بهذه الإنجازات والأعمال الجليلة التى حققتها المملكة داخليا وخارجيا والتى تعبر ولا شك عن أصالة القيادة التاريخية ورجاحة عقلها وبعد نظرها وجلدها في تحمل الأعباء بصبر وحكمة وروية حيث تمكنت بنجاح من المواءمة بين أصالة الماضي وحداثة الحاضر في تناغم جميل متوازن قل أن تحققه قيادة من القيادات كما تعبر هذه الإنجازات الرائعة عن عزيمة وإيمان وإصرار الشعب السعودي في مسيرته المظفرة خلف قيادته يشد من أزرها وقت الملمات ويدعم خطاها في كل ميدان بعيدا عن العاطفة والعصبية وأسلوب النفاق والمجاملات والتهريج التى تنتهجه بعض الأنظمة الأخرى.

لقد أضحت المملكة ولله الحمد بفضل سياستها الرشيدة والحكيمة هذه الشقيق وقت الضيق لكافة الشعوب الإسلامية المضطهدة حيث وقفت بجانبها تقدم لها المساعدة والدعم حتى تنال حقوقها المسلوبة وحتى يعود الحق إلى نصابه في عالم تتحكم فيه المصالح والأهواء دون أن ينسيها موقفها هذا واجباتها تجاه كافة القضايا الإنسانية في العالم.

إن سقوط المذاهب الوضعية والنظريات المادية وفشلها جميعا في دفع مسيرة الحياة لدليل حي على صدق رسالة الإسلام وصلاحيته لكل عصر وزمان وهو ما تبنته المملكة منذ انطلاقتها الميمونة على الرغم من الحملات المضللة التى شنت عليها محاولة النيل من سياستها وإعاقة مسيرتها وتقدمها وصدق الله العظيم.

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»

اقرأ في الأعداد القادمة

- الفقة الاسلامي حركة مستمرة الى الامام
- كيف ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة تقود الامم
- لغتنا بين المناهج الدراسية وفنون
- القول
- الدولة الاسلامية بين الحقيقة والافتراء
- مقالات فى اصالة المفكر المسلم
- دور الاوقاف فى صناعة الحضارة الاسلامية وفى تجديدها
- تعدد الزوجات لم يأمر به الاسلام وانما رخص فيه

كل هذا إضافة للعديد من المقالات والمواضيع الاسلامية المتنوعة والابواب الثابتة


الشعب التركى يعود إلى هويته الإسلامية
من احتفالات الشعب التركى فى شهر مايو الماضى
بذكرى فتح القسطنطينية